

زَهْرُ الْأَكْبَادِ

وَمَرَاةُ الْبَابِ

لِأَبِي إِسْحَاقَ الْحَصْرِيِّ الْقَيَّرَوَانِيِّ

نُفُصْلٌ وَنَضْبُوطٌ وَسُرُودٌ

بِقَلَمِ

الدَّكُونِ زَكِيٍّ مُنَابَرِكٍ

الْجَوْنِ الْأَكْبَادِ

الطبعة الثانية — حقوق الطبع محفوظة

مطبعة دار المناسبات التجارية الكبرى بأول شارع في
لصاحب دار المناسبات

الطبعة الثالثة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن بن شريف

كِتَابٌ

الموازنة بين الشعراء

هو الكتاب الذي يشقُّ عقلك، ويهذب ذوقك، ويوقظ وجدانك،
ويطبع فيك الحاسة الفنية، ويمصمك من الخطأ في فهم أغراض الشعراء
ومذاهب الشعراء

مقدمة الطبعة الأولى

الحصري القيرواني — أبو الحسن الحصري — طَرَف من
أخباره — حياته الأدبية — داليتيه ودالية شوق — أبو اسحق الحصري
شعره ونثره — طريقته في التأليف — التعريف بزهر الآداب —
إغفال المحزون — تهذيب كتب المتقدمين — رأى الدكتور طه حسين
تهذيب زهر الآداب — تفصيله وضبطه وشرحه — قيمته الأدبية

الحصري القيرواني

الحصري — بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها
راء مهملة — نسبة الى عمل الحصري أو بيعها ، كما ذكر ابن خلكان —
والقيرواني نسبة إلى مدينة القيروان
ويعرف تاريخ الآداب رجلين بهذا الاسم أولهما :

أبو الحسن الحصري

وأبو الحسن هذا هو علي بن عبد الغنى الفهرى المقرئ الضريب
القيرواني ، وقد كان — كما ذكر ابن بسام فى الذخيرة — بحور براءة ،
ورأس صناعة ، وزعيم جماعة

طراً على الأندلس — كما قال ابن بسام — منتصف المائة الخامسة
من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والآدب بأفق الأندلس

يومئذٍ نَافِقُ السُّوقِ ، معمور الطريق ، فهاداه ملوك الطوائف تهادى
الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأُنس المقيم
ولكنه ، فيما نُقِلَ ، لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مَضَضَ يَتَنَ
زمانه ، وبعُدَ قُطْرَه ، ثم اشتعلت عليه مدينة طنجة بعد خلع ملوك
الطوائف ، وتوفي بها سنة ٤٨٨ هجرية

طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِهِ

ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ
ابْنِ عَبَّادٍ صَاحِبِ اشْيِيلِيَّةٍ ، وَاسْمُهَا فِي بِلَادِهِمْ رَحْمَضُ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَاغَهُ
أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ يَحْفَلْ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَأَ الرَّكْبَ الْمُهْجُوعَا * وَلَمْ الذُّعْرَ الْفَجُوعَا

رَحْمَضُ الْجَنَّةُ قَالَتْ * لِفَلَامِي لَا رُجُوعَا

رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي * مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزُّيْدِيِّ خَمْسَمِائَةَ
دِينَارًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَهَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِمُجْزِرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ
مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ مِثْلَهَا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْحَضْرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْتَجِبَنَّ لِرَأْيِي كَيْفَ شَابَ أَسَى * وَاعْجَبَ لِأَسْوَدَ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ
الْبَحْرُ لَارُومًا لَا يَجْرِي السَّفِينُ بِهِ * إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالْبَرُّْ لِلْعَرَبِ

وكتب له الحضرى :

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ * غَيْرِي، لَكَ الْخَيْرُ، فَاخْصُصْهُ بِذَا الدَّاءِ
مَا أَنْتَ نُوحٌ فَتُنَجِّنِي سَفِينَتُهُ * وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشَى عَلَى الْمَاءِ

حياته الادبية

ذكروا أنه كان عالماً بالقرآآت وطُرُقها ، وأنه أقرأ الناس القرآن
الكریم یسبته وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها فى قرآآت نافع ، عدد
آياتها ٢٠٩ ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيًّا بِكَاسٍ * هَا مِنْ مِسْكِ رَقَّتْهِ رِخْتَامُ
أَمِنْ خَدَيْكَ يُعْصِرُ؟ قَالَ كَلَّا * مَتَى عَصِرْتَ مِنَ الْوَرْدِ الْمُدَامُ؟
وأشهر قصائده تلك الدالية التى افتبى فى معارضتها الشعراء ^(١)
ولنذكرها هنا لقيمتها وأثرها فى تاريخ الآداب العربية . قال :

يَالَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ * أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقْدَ السَّمَارِ وَأَرْقَهُ * أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ * مِمَّا يَرَعَاهُ وَيُرْصِدُهُ
كَلِفُ بَغْزَالِ ذِي هَيْفٍ * خَوْفُ الْوَاشِينِ يُشْرِدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شُرَكَاءَ * فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِي عَجَبًا أَنَّى قَنَصُ * لِلشَّرْبِ سَبَاقِي أَغِيدُهُ

(١) نجد هذه المعارضات فى مجموعة صغيرة نشرها الأديب محيى الدين أفندى رضا

صَمٌّ للفتنة مُتَّصِبٌ * أهواه ولا أَعْبِدُهُ
صاحٍ والحر جَنَى فِيهِ * سكرانُ اللحظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضُو من مُقلته سَيْفًا * وكانَ نُعَاسًا يُغْمِدُهُ
فِيرِيقُ دَمِ العشاقِ به * والويلُ لمن يتقلدُهُ
كلا لا ذنبَ لمن قَتَلَتْ * عيناه ولم تقتل يَدُهُ

يا من جَعَدَتْ عيناه دَمِي * وعلى خَدَّيهِ تَوَرَّدُهُ
خَدَاكَ قد اعترفا بدمي * فعلامُ جُفُونِكَ تَجِدُهُ
إني لأَعِينُكَ من قَتْلِي * وأظنك لا تَعْمِدُهُ
بالله هَبِ المشتاق كَرِي * فاعملْ خيالَكَ يُسْعِدُهُ
ماضِرُّكَ لو داوَبْتَ ضَنْي * صَبَّ يَدَيْكَ وَتَبِعِدُهُ
لم يُبْقِ هواك لَهُ رَمَقًا * فليبك عليه عَوْدُهُ
وغداً يَقْضَى أو بعد غدٍ * هل من نَظَرٍ يَزُودُهُ

يا أهل الشوق لنا شَرِقْ * بالدمع يفيض مُورِدُهُ
يهوى المشتاق لقاء كُمْ * وصروف الدهر تُبْعِدُهُ
مأحلى الوصل وأَعْدَبُهُ * لولا الأيام تَسْكُدُهُ
بالين وبالهجران فيا * لَقَوَادِي كيف تَجْلِدُهُ

ومن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القفراوى

إذ يقول:

قد ملَّ مريضك عَوْدُهُ * ورثى لأسيرك حَسَدُهُ

لم يُبقِ جفائك سوى نفسٍ * زفراتُ الشوق تُصعده
 هازوت يُمنعن فن السحر إلى عينيك ويُسنده
 وإذا أغمدت اللحظ فتكست فكيف وأنت تجرده
 كم سهلَ خدك وجهَ رضا * والحاجب منك يُعقده
 ما أشرك فيك القلب فلم * في نار الهجر تُخلده
 وناصح الدين إلا رجائي إذ يقول:

هل أنت بطولك مُسعدُه * يا ليل فصبيحك موعده
 لا كان قصير الليل فتى * ميعاد منيته غده
 في صدرى من كلفٍ بكم * جندُ للشوق يُجندُه
 أعليل اللحظ وعلته * منها المتألم عوده
 عينك لسفك دى جنتا * فالصدغ علامُ تجعده
 ودى لا يحسن محله * فى الناس فلم تتقدمه
 لم أنس برامة موقفنا * والشمل أظل تبدده
 رشا قدأقلت من شركى * والبين غدا يتصيدُه
 سرب قد عن بنى سلم * وغدا بفؤادى أغيدُه
 وتطاول يُتبعهم نظراً * صب قد طال تباده
 حرّان القلب مُتيمه * حيران الطرف مسده
 وأبرع من عارضها من المعاصرين فخر مصر والشرق أمير
 الشعراء أحمد شوقي بك إذ يقول:

ضناك جفاه مرقده * وبكاه ورحم عوده

حيرانُ القلبِ مُعَذِّبُهُ * مقروحُ الجفنِ مُسَهِّدُهُ
 أودى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا * يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِذُهُ
 يَسْتَهْوِي الْوُزْقَ تَأْوُهُ * وَيُذِيبُ الصَّخْرَ تَنْهَدُهُ (١)
 وَيُنَاجِي النَّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ * وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
 وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْوُوفَةٍ * شَجَنًا فِي الدَّوْحِ تَرُدُّهُ
 كَمْ مَدَّةً لَطِيفِكَ مِنْ شَرِّكَ * وَتَأْدَّبُ لَا يَتَصَيَّدُهُ
 فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسَعِّفُهُ * وَلَعَلَّ خِيَالَكَ مُسَعِّدُهُ
 الْحَسَنُ حَافَتُ «يُوسُفَهِ» * وَ«السُّورَةِ» أَنْتَ مُفْرَدُهُ
 قَدِيدٌ جَمَالُكَ أَوْ قَبَسًا * حَوَارِثُ الْخُلْدِ وَأَمْرَدُهُ
 وَتَمْنَتْ كُلُّ مُقْطَعَةٍ * يَدَهَا لَوْ تَبِعْتُ تَشْهَدُهُ
 جَعَدْتَ عَيْنَكَ زَيْدِي * أَكْذَلِكَ خَدُّكَ يُجْحِدُهُ
 قَدْ عَزَّ شُهُودِي إِذْ رَمَتَا * فَأَشْرَتْ خَلْدُكَ أَشْهَدُهُ
 وَهَمَّتْ بِجِيدِكَ أَشْرِكُهُ * فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَصِيدُهُ
 وَهَزَزْتُ قُورَامَكَ أَعْطَفُهُ * فَنَبَا وَتَمَنَّعَ أَمَلُهُ (٢)
 سَبَبٌ لِرِضَاكَ أُمِّهْدُهُ * مَا بَالُ الْخَصْرِ يُعَقِّدُهُ
 بَنَى فِي الْحُبِّ وَبَيْنَكَ مَا * لَا يَقْدِرُ وَاشٍ يُفْسِدُهُ
 مَا بَالُ الْعَاذِلِ يَفْتَحُ لِي * بَابَ السُّلُوفِ وَأَوْصِدُهُ
 وَيَقُولُ تَكَادُ تُجْنُّ بِهِ * فَأَقُولُ وَأُوشِكُ أَعْبِدُهُ
 مَوْلَايَ وَرَوْحِي فِي يَدِهِ * قَدْ ضَعِيفًا سَلِمْتُ يَدَهُ

نَاقُوسُ الْقَلْبِ يَدُقُّ لَهُ * وَخَنَائَا الْأَضْلَعُ مَعْبِدُهُ
 حُسَّادَى فِيهِ أَعْذَرُهُ * وَأَحَقُّ بِعَذْرَى حُسْنُهُ
 قَسَمًا بَثْنَايَا لَوْلَاهَا * قَسَمَ الْيَاقُوتَ مُنْضِدُهُ
 وَرُضَابٍ يُوْعَدُ كَوْنَهُ * مَقْتُولُ الْعَشَقِ وَمُشْهَدُهُ
 وَبِخَالٍ كَادَ يُجِجُّ لَهُ * لَوْ كَانَ يُقْبَلُ أَسْوَدُهُ
 وَقَوَامٌ يَرُودُ الْغَصْنَ لَهُ * نَسَبًا وَالرَّمَحَ يُفَنِّدُهُ
 وَبِخَضْرَاءٍ هُنَّ مِنْ جَلْدِي * وَعَوَادَى الْهَجَرِ تَبْدُدُهُ
 مَا خَنَتْ هَوَاكَ وَلَا خَطَرَتْ * سَلَوَى بِالْقَلْبِ تَبَرُّدُهُ

وإنما ذكرت حياة أبي الحسن الحضري، وشيئنا من أخباره،
 لأنني رأيت أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب، ولأنني
 أحب دائما أن أقدم للقارىء ما يُمتنعُ عقله ووجدانه من المعارف
 الأدبية، لآية مناسبة؛ ولأن أبا الحسن الحضري ابن خالة أبي إسحق
 الحضري صاحب زهر الآداب، وفي هذه القراءة ما يدعو للتنبؤ به
 في هذا المقام، والظفر للقارىء على أي حال^(١)

أبو إسحق الحضري

أما أبو إسحق الحضري فهو إبراهيم بن علي بن تميم التوفقي
 سنة ٤٥٣ هجرية، وقد عني به كثير من كتاب التراجم: فتكلم عنه

(١) في كتاب (الموازنة بين الشعراء) فصل مسهب في الموازنة بين الحضري
 وشوقي، فليرجع إليه القارىء إن شاء.

ابن رشيق في الاممودج، وابن بسام في الذخيرة، والرشيدي بن الزبير
في الجنان، وابن خلكان في وفيات الأعيان
وقد كان شباب القيروان - فيما قالوا - يجتمعون عنده، ويأخذون
عنه، وكان لديهم من المسكرمين

شعرة ونثره

أورد ابن رشيق من شعره هذين البيتين :
إني أحبك حباً ليس يباغته * فهم ولا ينتهي وصف إلى صفته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي * بالعجز مني عن إدراك معرفته
وأورد له ابن بسام هذين البيتين
أورد قلبي الردي * لأم عذارٍ بدأ
أسود كالكفر في * في أبيض مثل الهدى
واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

ياهل بكيت كما يكت	ورق الحمام في الفصون
هتفت سحيراً والربى	للقطر رافعة الجفون
فكانها صاغت على	شجوى شجى تلك الأحون
ذكرتني عهداً مضى	للأنس منقطع القرين
فتصرمت أيامها	وكانها رجع الجفون

واختار له أيضاً

كتمت هوائك حتى عيل صبرى وأدتني مكاتمي لرمسى

ولم أقدر على إخفاء حال يحول بها الأسي دون الناسي
وحبك مالك لحظي ولفظي واظهاري وإضماري وحسي
فإن أنطق ففبك جميع نطقي وإن أسكت ففبك حديث نفسي
ولو تقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعين منزلته

بين الشعراء

أما نثره فمُسْتَمَلَحٌ ، ويغلب فيه السجع المقبول ، الخالص من
شوائب الصنعة والتكلف ، والسجع في الأصل حلية وزينة ، وإنما يعاب
عند الغلو والافراط

وإليك أمودجاً مما جاء من نثره في مقدمة كتابه ، قال :

« ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث
صعصة ابن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرهما ، إذ كانت هذه
(يريد الفقر الصغيرة) أجمل لفظاً ، وأسهل حفظاً ، وهو كتاب يتصرف
فيه الناظر من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ،
إلى مفاخرته ، ومناقشته ، إلى مساجلته ، وخطابه المبهت ، إلى جوابه
المُسْكِت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ،
إلى أمثاله السائرة ، وجِدّه المعجب ، إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع ،
إلى رقيقه البارع »

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دقة الصنع ، ورقّة الطبع ، فهو في

دقته مطبوع ، لا مصنوع

طريقته في التأليف

الأدب لا موضوع له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد
المرصفي ، وكذلك كان يفهمه أبو إسحق الحصري ، فهو لا يحفل بترتيب
المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات . وإنما يتصرف من الجدل إلى الهزل ،
ومن الأوصاف إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع
إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أعم الطرق في التأليف ، وإن عابها من
لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .
ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصون في سر الهوى المكنون »
في مجلد واحد ، فيه ملح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب
وثمر الألباب » ، وإنه ليسجع حتى في تسمية كتبه ، وكذلك كان يفعل
في عهده المؤلفون .

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يصفون زهر الآداب إلا بأنه « دَجَمٌ كُلٌّ
غَرِيبٌ » وهو وصف صادق ، وإنى ذا كرمه هنا بعض صفات هذا
الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه
بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه .

« وإنا لنجد » .

أولاً - يهتم براءة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه
بهذه الجملة :

«الحمد لله الذى اختص الانسان ، بفضيلة اليان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المين ، والكتاب المستين ، الذى تحدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً»

ويحتمه بهذه العبارة :

«وقال ابن الأعرابي : أمدح بيت قاله المحدثون قول أبى نواس أخذت بحبل من حبال محمد * أميت به من طارق الحد ثان (١)»
ثانياً — يُعنى عناية خاصة بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدوّن آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، في ذلك الحين

ثالثاً — يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب فينقل هذه التعابير :

— قد نُعي سليلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصى والبتول —
— تجمّد في بيت الرسالة رُزْمُ جدّد المصائب ، واستعاد النوائب —
— انها لمصيبة تحيقت جانب الوحي المنزل ، وذكّرت بموت النبي المرسل الخ الخ

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف . كنقله هذه العبارات :

(١) في إحدى النسخ المخطوطة فصل في صفات الله عز شأنه ، ختمه الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام

« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ندى الرسالة وتهدأت أغصانه عن نبغة الامامة ، وتبعجت أطرافه في عَرَصَةِ الشرف والسيادة ، وتفقات يصفته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضبعه وشقّ الوحي عن بصره وسمعه » الخ

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فصلتها بعض التفصيل في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وإلاّ فإن النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : « فاذا نُفِخ في الصور فلا أنساب بينهم »

رابعاً — يُبْدَى الحُصْرَى ويعيد في الكلام عن البلاغة والباءاء ، والشعر والشعراء ، والإِنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدرس النثر والشعر ، ونحن مدينون لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية

خامساً — يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهد ، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب التسامح ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات ، وما له من الحقوق

اغفال المجون

وقد جرى أبو إسحق الحصري في زهر الآداب على إغفال المجون ، فتجده يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصنّت الكتاب عن ذكره »

وقد صرحت بانكار هذا المنهج في « مدام العشاق » ويثبت هناك أن حرص الحصرى على الأخلق ضيغ علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ، وكنا في حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأولون وأحب أن يعلم القارئ أن المجنون لون من ألوان الغذاء التي تحيا بها العقول ، فكأن الأجسام تحتاج في تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من الملح ، والحلو ، والمر ، كذا العقول تحتاج في تغذيتها إلى المعارف المتباينة : من جدّ القول وهزله ، وحلوه ومُرّه ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يُخل كتابه من المجنون ، بل ومن فاحش المجنون ، وللقارئ أن يتتبع ما وقع من ذلك في ألفاف الكتاب ليرى كيف غلب المؤلف على أمره ، فأباح مالا يباح !^(١)

(١) في مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب (حب ابن أبي ربيعة وشعره) تفصيل لأراء الباحثين ومناهج المؤلفين في تحيّر الأدب المكشوف . وقد صأرخنا الأستاذ على الجارم أجد شعراء الوجدان المغتازين . في هذا النص باستنكاره ما جاء في تلك المقدمة ، وأضاف إلى ذلك انكاره لمنهج التأليف الذي اختاره مؤلف حب ابن أبي ربيعة وشعره لأنه في رأيه لا يصلح لأن تطلع عليه فتاة . غير أنه استدرك قائل : ولكن يظهر أن حرصنا على التجميل في التأليف هو الذي جعل فتياتنا من بين فتيات العالم أضعف وأوهن من أن يقدم لمن الأدب المكشوف ، ولو اتهم ألهم عادثة الرجال ، وخفت الحواجز بين الجنسين ، لتأصلت فيهن المناعة الكافية لمقاومة الفتاوى . ثم ضرب المثل بنساء الإنجليز والأمريكان ... وأنا أذهب إلى أنهن من ذلك فأقرر أن بعض الفتي رشد ، وأن الحياة تفقد حيويتها إذا انقلبت إلى هدى خالص لا يشوبه ضلال .

تهذيب كتب المتقدمين

بهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب يتحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا الأسلوب ، والمهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مذهب الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخضري منذ أسابيع ، ويرجح أن يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التي أصابها صاحب حديث الأرباء

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ، لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارئ فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجدل إلى الهزل ، إلى آخر ما قال

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنت بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلط ، ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد هو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ، لأن المؤلف وضع قليلاً من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن

غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب
وأرجو أن لا يجد القارئ في هذا الصنع تشويهاً لعمل المؤلف ،
فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناونه وأبوابه ، وفقره
وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بُنْط خاص ، فإذا شاء
القارئ أن يعرف كيف وَضَعَ الكتابُ مُؤَلِّفه فليرفع فقط ما جَدَّ
من العناوين

أهمية هذا التفصيل

على أنني مطمئن إلى ما صنعت ، فقد كان الكتاب متقاذف الأرجاء ،
بسبب ما كثرفيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود
الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارئ إلى مئات المسائل الأدبية ، من
غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضي المقام ذلك ،
وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد ، من غير
ضبط ولا شرح ، وكان يكفي أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح
مثلاً في المسح والتشويه ، ولتقضى في قراءته العيون ، وتضل في فهمه
العقول ؛ فأنفقت من جهدي ومن وقتي ، في تحقيق ما جناه مرُّ السنين

وَعَبَثُ الجاهِلين ، مالا أُمْنُ به على القارىء إلا وأنا آسفٌ محزون ،
لأننى مدينٌ لمن طبعوه أولَ مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ،
وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور

فى الطبعة القديمة كثير من الأغلط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان
الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه
الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أتق
به من مختلف المااجم والقواميس ، فان استطاع القارىء أن يلفتنى إلى
خطأ فاتنى لإصلاحه ، فانى بشكره خلىق

أما الشرح فقد اجتهدت فى أن يكون غاية فى الإيجاز ، لأن
الإطناب فى شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة
بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ، لأننى أمقت التكلف ، وأبغض
التكلفين

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى
ثلاثة ، وهى مسألة اعتبارية ، لأن الكتاب فى الأصل مبنى على التنقل
والاستطراد

قيمة زهر الاداب

كان المتقدمون يُعْمِنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين
للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنواذر لأبي علي القالي ، وكانت
هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن
زهر الآداب أغزر مادةً ، وأكبر قيمةً من جميع تلك المصنّفات ، لأن
ذوق الحصري ذوق أدبيّ صرف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم
موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف

إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جناية
الليالي ، والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس
محمد زكي عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

موضوع زهر الآداب — الوصف عند كتاب القرد الرابع —
نماذج من التعابير الوصفية — نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصنعة —
الخصومات الأدبية في القرد الرابع

رأى القارئ في مقدمة الطبعة الأولى اشارات الى الخصائص التي
امتاز بها زهر الآداب، ونريد في هذه الكلمة ان ننص على ان هذا
الكتاب أريد به أن يكون صورة للعصر الذي عاش فيه مؤلفه رحمه الله،
وانه ليدكر ان أبا الفضل العباس بن سليمان رحل الى المشرق في طلب
الكتب « باذلا في ذلك ماله » مستعذبا فيه تعب، الى أن أورد من كلام
بلغاء عصره، وفصحاء دهره، طرائف طريفة، وغرائب غريبة، ثم
سأله أن يجمع له من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها، وأن يضيف
الى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه وشابهه ومثله الخ . فباية
الكتاب اذا تخير ما طاب من ثمرات العقول في أواخر القرن الرابع
وأوائل القرن الخامس

ولندكر أولا ان الحصرى توفى سنة ٤٥٣، ولكننا نرجح انه وضع
زهر الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاماً، فقد حدثنا في أثناء
كتابه انه يعاصر الثعالبي اذ قال « وأبو منصور يعيش الى وقتنا هذا »

حين أشار الى مختار ما كتبه الميكالى اليه . والتعالى توفى سنة ٤٢٩ ؛
وانما عينا أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى
أشار الى ان فيمن تقل عنهم من أدركه بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك
العهد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت خصائصه ومميزاته فى كتابى
الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع ، وانى لمشير هنا الى
بعض الجوانب البارزة فى أدب ذلك العصر ليكون القارئ على بينة من
الروح الذى استوحاه مؤلف زهر الآداب

أظهر ميزة فى ذلك العصر هى اجادة الوصف ، فقد اهتم كتابه
اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى فى خواطرهم ، ولم
يكن الوصف عندهم مما يأتي عفواً عند المناسبات الطارئة كما كان الحال
فى أوائل العصر الاسلامى ، لا ، بل تعمداً استقصاء الموضوعات
الوصفية: فأطالوا الحديث عن الازهار ، والرياح ، والنبات ، والنسيم
والرياح ، والليل والنجوم ، والجداول والغدران ، والأنهار ، والبحار ،
والأحواض والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء
والغلمان ، والجوارى السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ،
وأهوال المشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والثلج والصحو ، والبلاغة
والشعر والنثر ، والخيال ، والسيوف ، والتار ، والأفاعى ، والثعابين ،
والطيور ، والأطعمة ، والفواكه ، والسكاكين ، والكؤوس ، والخوانم
والحلى ، والقلائد ، والمحابر ، والأقلام ، والسفن ، والدواب ، والجيوش
والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع

وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية ، كما أطنبوا في وصف
المرئيات ، فتكلموا عن أهواء النفوس وترعاتها ، فوصفوا الحقد ، والبغض
والكرم ، والنبيل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء : من الهنات
والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على انه كان لهم برنامج خاص
لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعمية أنه حملهم على
التكلف والاسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم وترتيب
أغراضهم ، فإن القارئ يرى لهم قوة في تصوير المرئيات والمعنويات
لا يراها لمن سبقوهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذي جعل في عصرهم
مدرسة وصفية لا نراها في عصر الخلفاء ولا عهد بني أمية ولا أوائل
أيام بني العباس .

ولا نتكر أن الكتاب السابقين أجادوا الوصف في كثير من الموضوعات
ولكننا نقرر أن كتاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،
أو يجري في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا مفصلا مقصودا
بطريقة لم يفكر في مثلها المتقدمون



وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن
متفرقة من كتابه عن الأوصاف التي غنى بها كتاب ذلك العصر . فلنثبت
منها شيئا ليرى القارئ صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى
إجادة الوصف

من ذلك قولهم في وصف الماء :

— ماء كالزجاج الأزرق —

— غدير كمين الشمس —

— ماء كالسان الشععة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضاض ، مسبح —

النضاض .

— ماء أزرق كمين السُّنور ، صاف كقضيبي البلور .

— غدير تفرقت فيه دموع السحاب ، وتواترت عليه أنفاس —

الرياح الغرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القدر ساقها ، أو الأجل ساقها ، مُرهفة الصدر ،
منطقة الخصر ، يحول عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن
المنية ت برق من حدها ، والأجل يلعب من متنها ، ركبت في نصاب آبنوس
كأن الحدق نقضت عليه صبغها ، وحب القلوب كستة لباسها ، أخذ لها
حديدها الناصع بحظ من الروم ، وضرب لها نصابها الحالك يسهم من
الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو بجمراً أبدى سنا نار ، ذات غرار
ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الاعداء
وتتنفع نفع الأصدقاء »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى .

حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكان يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقيان لم يتكلم إلا بحكته والشمس لم تطاع إلا من جيئته ، والتمام لم يبد إلا من يمينه ،

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتماثيل الوصفية الرائعة في أكثر أبواب الوصف . ومن ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

— نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد

— نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق

— رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالخندرة الرشيدة

— نثر كما تفتتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر

وقولهم في أوصاف النساء :

— هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض

— هي من وجهها في صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس ، كأنها فلقة قر على بُرج فضة .

— بدر التَّم يضيء تحت ثيابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها

— لها عنق كالبريق اللجين ، وسرة كدهن العاج

— مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، وملقط الورد من

خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس

الغصن من قدمها ، ومهيل الرمل من ردفها . الخ الخ

وقولهم في صفات الغلمان :

- جاءنا في رغالة نتمّ على ما يستره ، ونحنو مع رقها على ما يظهره
- الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجلال يترقق في خده ، ومحاسن الربيع
- بين سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه
- له طرّة كالفسق ، على غرة كالفلق
- الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره
- هو قر في التصوير ، وشمس في التأثير
- وجهه بماء الحسن مغسول ، وطرفه بمروء السحر مكحول
- شادن فاتر طرفه ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون
- تشربه

— السحر في ألاحظه ، والشهد في الفاظه . النخ الخ
 ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية منبعاً يستقى منه الكتاب الى
 العصر الحديث ، والتقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ ابراهيم في وصف
 الصبياء :

خمرة قيل انهم عصروها * من خدود الملاح في يوم عرس
 وهو خيال سبق اليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة
 إذ قال :

وشربها عذراء تحسب انها * معصورة من وجنتي عذراء
 وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين ان حافظ ابراهيم أول من
 ألهم بهذا الخيال فنقده وسفّهه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فلينقل

المركة اذن الى ميدان القرن الرابع ، وان كنت لا أدري كيف يعاف
الشراب المعصور من خدود الملاح

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكرى فى وصف النساء
« صدور كالأغريض ، وأصدور البزاة البيض »^(١)

وهى عبارة مأخوذة من قول تعالى فى وصف آثار السرى الرفاء :
« كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس
وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح »^(٢)
وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التى يُغرم بها كتاب
الصنعة فى العصر الحاضر من امثال الأساتذة: صادق عنبر ومحمد السباعى
ومحمد هلال

وكان القرن الرابع يؤدى للقرون التى تلتها ما اخذه عن القرون التى
سبقتها ، فقد كان كتابه مولعين بحل الشعر لا يرونه معنى بديعاً ، ولا
خيالاً طريفاً الا اقتبسوه ، وأضافوه الى ثروتهم النقدية
وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية (الفن الفن) وان لم يدركوا
ما لهذه النظرية من الأوضاح والتقاليد ، فقد عودوا القراء تذوق
الكتابة البديعة ، وحسبوا اليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون
يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ، وصارت فنون البديع من
تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يمدح القارىء لذة ومُتعة حين يراها

(١) صاهريج اللؤلؤ ص ٢٣٤

(٢) القيمة ص ٤٥٠ ج ١

وقعت موقعا حسنا وأصاب الغرض الذى وضعت له ، ولو كان غرضاً
لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود



ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة فى فهم ذلك العصر ؟ بلى ، إنه
يدلنا على أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها
وطرائق تعبيرها ، وكان همهم أن يرتبوا الألفاظ والمعانى والتعابير
والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن يحشر أبواب الصناعات فى صعيد واحد
ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على طريقته وبأسلوبه الذى يختاره فى مقر
مهنته ومهده عمله .^(١) وما نحسب كتاب القرون الأولى مثلاً كانوا يفكرون
فى جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم ، وإنما كانوا قوماً
يكتفون فى سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة الواضحة الموجزة التى
يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا فى
حاجة إلى صفوة تقرأ لهم وتفهم عنهم ، إذ أصبح خيالهم قوياً ولغتهم
غنية لا يدرك أسرارها الجمهور ، فليس كل قارئ ولا كل سامع بمستطيع
أن يتذوق تشبيه الخط الجميل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحور ،
والمعاني بالآلىء ، ولا أن يدرك كيف تمنى كل جارحة أن تكون أذنًا ،
تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلى مطالعه ومناظره ، أو لسانًا
يدرس محاسنه ومفاخره .

(١) راجع ص ١٥٤ من هذا الجزء

إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الاغراق في الصنعة بابا من الغموض



ومن أم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ، فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن اطماعهم في الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المفرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ، فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تقريبهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالخطوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بدیع الزمان الى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ، ومن النبيل عند الفقرة : إذ « تنسيهم أيام اللدونة أوقات الخشونة ، وازمان الغدوبة ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقلت نارهم الا انطفأ نورهم ، ولا زاد ملهم الا قص معروفهم ، ولا ورمت أكياسهم الا ورمت أتوفهم ، ولا صلحت أحوالهم الا فسدت أعمالهم ، ولا فاضن جاههم إلا غاضت مياههم ، ولا لانت برودهم إلا صلبت خدودهم »^(١)

وفى تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التى كانت
تقع بين الكتاب دليل على جشعهم فى حب الحياة وفهمهم لها فهم ما ديا
يتناسب مع تلك العبقريات الغنية التى ظهرت فى فقرهم ورسائلهم وأبحاثهم ،
فانه من المؤلم ان تظل قوة الحقد ويقظة الأثرة ، وشدة العداوة ، فى كل
عصر من السمات الغالبة على كبار الكتاب ، ومن النادر أن نجد كاتباً
كريماً يعطف على زملائه ومحب لهم الخير ويتمنى لهم السداد . وقديماً
أفزعته هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى - وكان رجلاً نبيلاً - فكتب
وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب الى التعاون ونبذ الاحقاد ، وفى
أيامنا تُبعث تلك الشائيل من جديد فلا نجد كاتباً فى العالم العربى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه ، بحيث نظن ان شيوخ العبقريّة يوحى بالطمع
والاستبداد بالفضل ، والاستئثار بالجاء

وأهم الخصومات التى وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني
والخوارزمي ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمداني والخوارزمي فترجع إلى رغبة الهمداني فى
الظهور ، وطمعه فى الانفراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة
المطولة التى كتبها الهمداني فى وصف المناظرة التى قامت بينهما وبين الخوارزمي ،
وهي رسالة مغرضة مملوءة بالتعامل والصغرنة ، وليس فيها أفكار جديدة
تجعل خصومة الرجاين خصومة بين عقلاء ، إنما هي محاورات لفظية تدل
على غلبة الزخرف وتمكنه فى السيطرة على عقول أهل ذلك الجيل . ولو أن
الخوارزمي دون بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين فى بسط ذلك الحادث

الأدبي واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين، ولكن
الهمذانى تكلم وحده فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطمعه فى كبت
كاتب كان يومئذ على رأس الدكتيين

أما خصومة التوحيدى لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم
إلى سبب مادى، وذلك أن التوحيدى رغب فى مال ابن عباد وجاهه
فضاق عنه صدر هذا، فكتب التوحيدى كتابه «أخلاق الوزيرين»
وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد. ثم عاد إليهما
بالتجريح أيضا فى كتابه (الامتناع والمؤانسة) وأسلوبه فى الهجاء أسلوب
خطر فطيع إذ يختلق الحوادث والاشارات وينطقهما برسائل
ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض. ويعتبر التوحيدى من الوجهة
الفنية رجلا خصب الذهن، غنى اللغة، وافر المحصول، قوى الخيال

وقد تنبه المتأدبون الى تحامل التوحيدى وإسرافه فى التعصب
والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه أخلاق الوزيرين كتاب مشثوم
لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله، ويذكر ابن خكان أنه جرب هذا
وجربه من يثق به^(١) فإذا صح هذا الوم كان التوحيدى قد عوقب على
بقيه وظلمه وبهتانه: فقد أنطق الصاحب بن عباد بعبارات منجلة يندى
لها وجه القارىء، وينفر منها الطبع والذوق، وإن كانت وضعت بأسلوب
شائق خلاب



تلك ، أيها القارىء ، كلمة وجيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن
تكون كافية في وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التي عمل في ظلها
مؤلف زهر الآداب ، واني لا أمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار
الجهد والحرص على الصواب بعض ما يجب في خدمة الآداب العربي
الذي أصبح إحياءه ونشره من أظهر محامد مصر في العصر الحديث

زكى مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩



مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختص الانسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتيوا بمثله ، فمجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً

وبعد فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات : في الشعر والخبر ، والفصول ، والفقر^(١) ، مما حسن لفظه ومعناه ، واستدل بحجواه على مغزاه^(٢) ولم يكن شارداً حوشياً^(٣) ، ولا ساقطاً سوقياً^(٤) بل كان جميع ما فيه ، من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحترى^(٥) :

في نظام من البلاغة ما شك * امرؤ أنه نظامٌ فريد^(٦)
حُزنٌ مستعمل الكلام اختياراً * وتجنب ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فادرك * ن به غاية المراد البعيد

ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صعصة

(١) الفقر : جمع فقرة بكسر الفاء وفتحها ، وهي فصل أو بيت شعر ، وتقول : ما أحسن فقر كلامه ، أى نكته ، وهي في الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهر

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وحجواه هو ما يفهم منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتبع حوشى الكلام -

(٤) السوقى : نسبة إلى السوق ، وهم طاعة الناس

(٥) البحترى شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد في منبج - بن القرات

وحلب - سنة ٢٠٦ وتوفي سنة ٢٨٤

(٦) الفريد : هو المراد الذي يفصل بين الذهب في القفلة المفصلة ، قاله فيها فريد

والذهب مفرد ، بتشديد الراء

ابن صوحان^(١)، وخالد بن صفوان^(٢)، ونظائرهما، إذ كانت هذه أجل لفظاً وأسهل حفظاً. وهو كتاب يتصرف الناظر فيه من ثمره، إلى شعره، ومطبوعه، إلى مصنوعه، ومحاورته، إلى مفاخرته، ومناقشته^(٣) إلى مساجلته^(٤)، وخطابه المبهت^(٥) إلى جوابه المسكت، وتشبيهاته المصيبة، إلى اختراعاته الغريبة، وأوصافه الباهرة، إلى أمثاله السائرة، وجدّه المحجب^(٦) إلى هزله المطرب، وجزله الرائع، إلى رقيقه البارع

وقد نرعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت^(٧) وعن إبعاد الشكل عن شكله، وإفراد الشيء من مثله، فجعلت بعضه مسلسلاً^(٨) وتركت بعضه مرسلًا^(٩) ليحصل محرر النقد^(١٠)، مقدّر السرد^(١١) قد أخذ بطرفي التأليف، واشتمل على حاشيتي التصنيف، وقد يرمز المعنى فألحق الشكل بنظائره، وأعلق الأول بآخره، وتبقى منه بقية أصرفها في سائره^(١٢) ليسلم من التطويل الملل، والتقصير المحل، وتظهر في التجميع إفادة الاجتماع، وفي التفريق لناذة الإمتاع، فيكمل منه ما يوتق القلوب والأسماع^(١٣) إذ كان الخروج من جد إلى هزل، ومن حزن إلى سهل^(١٤) أننى للكلل^(١٥) وأبعد من الملل، وقد قال اسماعيل ابن القاسم^(١٦)

(١) صمصمة بن صوحان خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع علي . ونفاه المنيرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية فمات فيها حوالي سنة ٦٠ للهجرة (٢) خالد بن صفوان كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار مع عمر ابن عبدالعزيز وهشام بن عبد الملك توفي نحو سنة ١١٥

(٣) ناقل الشاعر الشاعر : ناقضه ، ورجل نقل بفتح فكسر وذو نقل بفتح حاء إذا كان جليلاً مناقلاً (٤) المساجلة : المفاخرة (٥) المبهت : الخير (٦) المحجب الذى يعجبك جماله (٧) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة . يفتح السين ويوصل اتصال الشيء بالشيء (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن (١١) السرد : النسيج ، والتحرير والتقدير : الضبط (١٢) سائره : باقيه

(١٣) يوتق : يعجب (١٤) الحزن ما غلظ من الأرض ويقابله السهل (١٥) الكلل : الإعياء ، ومثله الكلال (١٦) هو أبو علي الفاي كذا ذكر السيوطي في بنية الوعاة :

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حالٍ الى حالٍ^(١)
 وكان السبب الذي دعاني إلى تأليفه ، وندبني إلى تصنيفه ، ما رأيته من
 رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان ، أطال الله مدته ، وأدام نعمته ، في الأدب^(٢)
 وإتفاق عمره في الطلب ، وماله في الكتب ، وأن اجتهاده في ذلك حمله على أن
 ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغص في طلبها^(٣) بأذلا في ذلك ماله ، مستعذبا فيه
 تعب ، إلى أن أورد من كلام بلقاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ،
 وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمع له من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها ،
 وأضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين : ما قاربته ، وقاربه ، وشابهه ، ومآله ،
 فسارعت إلى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألفت له هذا الكتاب ، ليستغنى به
 عن جميع كتب الآداب ، إذ كان موشحاً من بدائع البديع^(٤) ، ولا لى الميكالى ،
 وشهى الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، وقيس قابوس ، وشذور أبي منصور^(٥)
 بكلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة . وليس لى فى
 تأليفه من الافتخار ، أكثر من حسن الاختيار ، واختيار المرء قطعة من عقله ،
 تدل على تحفله أو فضله ، ولا شك إن شاء الله فى استجادتهما استجدت ، واستحصان
 ما أوردت إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفس ، ولا اجتمع حس ، ولا مال سر ،
 ولا جال فكر ، فى أفضل من معنى لطيف ، ظهر فى لفظ شريف ، فكساه من
 حسن الموقع قبولاً لأيدفع ، وأبرزه يخال من صفاء السبك ، وصحة الديباجة ،
 وكثرة اللآنية ، فى أجمل حلة ، وأجل حلية

ولدى سنة ٢٨٨ بديار بكر وتوفى فى قرطبة سنة ٣٥٦ . ومن أشهر مؤلفاته كتاب الامالى

(١) مدبرة : ذات سأم وملال ، والمدبرة فى الأصل : الهزء (٢) فى الادب :

متعلق بكلمة رغبة (٣) أغص وغص : ذهب ، وغص السيف فى اللحم ظاب

(٤) موشح : مرصع (٥) البديع والميكالى والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو

منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من منظومهم ومشورهم ، وهم من رجال

يستنبط الروح اللطيف نسيمة^(١) أرجاً ويؤكل بالضمير ويشرب^(٢)
وقد رغبت في التجافى عن المشهور ، في جميع المذكور ، من الأسلوب الذى
ذهبت إليه ، والنحو الذى عوكت عليه ، لأن أول ما يقرع الآذان ، أدعى إلى
الاستحسان ، مما مجته^(٣) النفوس لطول تكراره ، ولفظته^(٤) العقول لكثرة استمراره ،
فوجدت ذلك يتعذر ، ولا يتيسر ، ويمتنع ، ولا يتسع^(٥) ويوجب ترك ما ندر ، إذا
اشهر ، وهذا يوجب فى التصنيف دخلاً^(٦) ، ويكسب التأليف خلا ، فلم أعرض
إلا عما أهانه الاستعمال ، وأذاله الابتغال^(٧) ، والمعنى إذا استدعى القلوب إلى
حفظه ، ما ظهر من مستحسن لفظه : من بارع عبارة^(٨) ، وناصع استعارة ، وعذوبة
مورد ، وسهولة مقصد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابق أنحاء ،
وتجانس أجزاء ، وتمكن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع ، وجودة إيضاح
يتقنه تنقيف القيداع ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدره أكمل تقدير ، فهو
مشرق فى جوانب السمع ، لا يخلقه عوده على المستعبد^(٩)

وهو المشعّ بالمسامع إن مضى * وهو المضاعف حسنه ان كرّرا
وإن كنت قد استدركت على كثير من سبقى إلى مثل ما جريت إليه ،
واقترضت فى هذا الكتاب عليه ، ملّح أوردتها كنوافث السحر^(١٠) ، وفقر
نظمها كالفنى بعد الفقر ، من ألفاظ أهل العصر ، فى محال النثر ، ومعقود
الشعر ، وفيهم من أدركته بعمرى ، أولخه أهل دهرى ، ولهم من لطائف الابتداع
وتوليدات الاختراع ، أبكار لم تفتقرها الأسماع^(١١) ، يصبو إليها القلب والطرف ،

القرن الرابع ، وسنذكر تراجم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

(١) يستنبط : يستخرج (٢) مجته : مقسته (٣) لفظته : رتمته (٤) يتسع : يسهل
(٥) الدخل والداخل : السبب ، ونحلة مدخولة : عفة الجوف (٦) أذاله : أهانه
(٧) من إضافة الصفة للموصوف ، أى عبارة بارعة ، وكذلك ما بعده

(٨) لا يخلقه : لا يذهب بجذته وروقه (٩) الملح : جمع ملح ، وهى الكلمة
المستلحة المستعذبة . التواف : جمع نافذة ، وهى الساحرة (١٠) افترع البكر فض بكارتها

ويقطر منها ماء الملاحه والظرف ، وتمتزع بأجزاء النفس ، وتسترجع نافر الأتس ،
تخلت تضاعفه ؛ ووشجت تأليفه ؛ وطرزت ديباجه ، ورصعت تاجه ، ونظمت
عقوده ، ورقمت بروده ، فنورها يرف ، ونورها يشف ، في روض من الكلم موق ،
وروق من الحكم مشرق

صفا ونفى عنه القذى فكانه * إذا ما استشفته الميون تصعدا (١)
فهو كما قلت

بديع نثر رق حتى غدا * يجري مع الروح كما تجري
من مذهب الوشى على وجهه * ديباجة ليست من الشعر (٢)
كرهرة الدنيا وقد أقلت * ترود في روقها النضر (٣)
أو كالنسيم النض غب الحيا * يختال في أردية الفجر (٤)

ولعل في كثير مما تركت ، ماهو أجود من قليل مما أدركت ، إذ كان اقتصارا
من كل على بعض ، ومن فيض على برض (٥) ، ولكني اجتهدت ، في اختيار
ما وجدت ، وقد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات ، وبمر البيت في خلال الأبيات ،
وتعرض الحكاية في عرض الحكايات ، يتم بها المعنى المراد ، وليست مما يستجد ،
ويبعث عليها فرط الضرورة إليها في إصلاح خلل ، فهما تره من ذلك في هذا
الاختيار ، فلا تعرض عنه بطرف الإنكار ، وما أقل ذلك في جميع المسالك
الجارية في هذا الكتاب ، الموسوم بزهر الآداب ، وثمر الألباب ، لكني أردت
أن أشارك من يخرج من ضيقة الاعتذار ، إلى فحة الاعتذار

ويسى بالاحسان ظنا لا كن * يأتيك وهو بشعره مفتون (٦)
والله المؤيد والمسدد ، وهو حبينا ونعم الوكيل

(١) تصعد : ارتفع (٢) ونى مذهب : مطرز بالذهب
(٣) ترود : تختال (٤) غب الحيا : عقب المطر (٥) فيض : كثير ، وبرض : قليل
(٦) هكذا حور المؤلف البيت ، وهو لأب تمام ، ونصه في الاصل ،
ويسى بالاحسان ظنا لا كن هو يابنه ويشعره مفتون

ان من البيان لسحرا

روى عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْرَان بن بدر وعمرو بن الاهتم ، فقال الزُّبَيْرَان : يا رسول الله : أنا سيد تبهم ، والمطاع فيهم ، والمجباب منهم ، آخذ لم يجتهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك - يعنى عمراً - فقال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانع لحوزته ، ^(١) ، مطاع في عشيرته ، شديد المعارضة فيهم ^(٢)

فقال الزُّبَيْرَان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ! فقال عمرو ، أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن ^(٣) زمن المروءة ^(٤) أحق الأب لئيم الخال ، حديث الفنى ؛ فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت : فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة) ويروى لحكما ، والأول أصح . والذى روى أهل التثبت ^(٥) من هذا الحديث أنه قسّم رجلاً من أهل المشرق فخطباً فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، أو من بعض البيان لسحرا .

(١) حوزة الرجل : ما يحوزه ويملكه (٢) المعارضة : البديهة وقوة الكلام

(٣) العطن : المتأخر حول الورد ، وضيق العطن كناية عن البخل

(٤) زمن : بالى (٥) أهل التثبت : أهل الثقة

عمرو بن الاهم والزبرقان بن بدر

وعمر بن الاهم هو عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن حبيد بن الحارث والحارث هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناه ابن تميم . وسمى سنان الاهم لأن قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر ضربه بقومه فهزم فاه . هذا قول أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . وقال غيره بل هزم فوه يوم الكلاب الثاني ، وهو يوم كان لبني تميم على أهل اليمن ، وكان عمرو يلقب المسكحل لجماله ، وبنو الاهم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والاسلام ، وعبد الله بن عمرو بن الاهم هو جد خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وكان يقال : الخطابة في آل عمرو . وكان شعره حُللاً منشرة عند الملوك تأخذ منه ما شاءت . وهو القائل

ذريني فان البخل يا أم مالك * لصالح أخلاق الرجال سرور

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق^(١)

والزبرقان اسمه حصن بن بدر بن امرئ القيس بن الحارث بن بهدلة ابن عوف بن كعب بن سعيد ، وسمى الزبرقان لجماله ، والزبرقان القمر ، وقيل لأنه كان يزرع عمامته ، أي يصفرها في الحرب ؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون : اللفظ الجميل من إحدى النفثات في العقد

(١) هذا البيت ورد أيضا في أبيات بشار التي مطلعها :

خليلى إن العسر سوف يفيق وإن يسارا فى غد فخليق

غلام يتكلم في حضرة عمر بن عبد العزيز

وذَكَرَ بعض الرواة أنه لما استُخْلِفتِ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فأشرب منهم غلام للكلام ^(١) فقال عمر : يا غلام ! ليتكلم من هو أسن منك ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغريته . قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عيته لساناً لا فظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ، ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحق . بمجلسك منك ! فقال عمر : صدقت ، تكلم فهذا السحر الحلال . فقال يا أمير المؤمنين ! نحن وفد التهنة ، لا وقد المرزئة ^(٢) ، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، لأننا قد آمننا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا .

فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشرين

وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً ، فنظر إلى وجه عمر قد تهلّل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يظنّ جهل القوم بك ، معرفتك بنفسك ، فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهووا في النار ^(٣) أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ، فيكي عمر حتى خيف عليه ، وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ .

وقد روى أن عمر قال للغلام : عطى ؛ فقال هذا الكلام ، وفيه زيادة

يسيرة وقص

(١) اشرب : تطلع (٢) المرزئة : الاستجداء وطلب التوال (٣) هووا :

سقطوا ، من هوى يهوى على وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فانه بمعنى أحب

السحر الحلال

أخذ قول عمر : (هذا السحر الحلال) أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي

إذا ما الحاجة انبعثت يداها ☆ جعلت المنع منك لها عقلا
فأين قصائدك لي فيك تأتي ☆ وتأف أن أهان وأن أذلا
هي السحر الحلال لمحتليه ☆ ولم أر قبلها سحراً حلالاً
وكتب أبو الفضل بن العميد^(١) إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه :
« وصل ما وصلتني به ، جعلني الله فداك ، من كتابك ، بل نعمتك التامة ،
ومنتك العامة ، فمرت عيني بوروده ، وشفيت نفسي بوفوده ، ونشرتة فحكي
نسيم الرياض غب المطر ، وتنفس الانوار في السحر^(٢) وتأملت مفتحه ، وما
اشتمل عليه من لطائف كلك ، وبدائع حكمك ، فوجدته قد تحمل من فنون البر
غنك ، وضروب الفضل منك ، جداً وهزلاً ، ملا عيني ، وغمر قلبي ، وغلب
فكركي ، وبهر لبّي ، فبقيت لا أدري : أسموط در خصصتي بها ، أم عقود
جوهر منحنيها ؟ كما لا أدري أبكراً زفقتها فيه ، أم روضة جهزتها منه ، ولا
أدري أخلوداً ضُرّجت حياء ضمّنته ؛ أم نجومًا طلعت عشاء أودعته ، ولا أدري
أجدك أبلغ وأطف ، أم هزلك أرفع وأظرف ، وأنا أوكل بتبع ما انطوى عليه
نفسا لا ترى الحظ إلا ما اقتنته منه ، ولا تعدّ الفضل إلا فيما أخذته عنه ، وأمتع
بتأمله عينا لا تهر إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندك ، وأعطيه نظراً :

(١) الانوار : جمع نور بفتح النون وهو نوار الزهر

(٢) كان ابن العميد امام الكتاب في عصره حتى قيل فيه :

: بدئت الكتابة بعبق الحميد وحمت بابن العميد . توفي سنة ٣٦٠ بعد أن تولى
كثيراً من المناصب العالية

لا يملُّه ، وطرفا لا يطرف دونه ، وأجعله مثلاً أرسمه وأحتديه ، وأمتع خلقي بروقه ، وأغذني نفسي بهيجته ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح صدرى بقراءته . ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديده ما ذكرته متخلفاً ، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السحر الحلال »

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً

وإذا جرى قلم له في مُهرَقٍ * عَجَلَانٍ فِي رَفْلَانِهِ وَوَجِيفِهِ^(١)
نظمت مراشفه قلاند نُظُمَتْ * بنفيس جوهر لفظه وشريفه
بدعاً من السحر الحلال تولدت * عن ذهن مصقول الذكاء مشوفه^(٢)
مثلاً لضاربه وزاد مسافري * جُعِلَتْ وَتَحْفَةٌ قَاسِمٍ لِأَلِيفِهِ

وصف رجل نبيل

وعلى ذكر قوله وتحفة قاسم قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : وصف رجل رجلاً فقال : (كان والله سَمَحاً سهلاً ، كما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياة سبب ، إنما هو عيادة مريض ، وتحفة قاسم ، وواسطة عقد)

كلمة تهديد

وأخذ بعض بني العباس رجلاً طالبياً فهم بمقوبته ، فقال الطالبى : والله لولا أن أقصد ديني بفساد دينك للمكت من لساني أكثر مما ملكت من سوطك ، والله إن كلامي لفوق الشعر ، ودون السحر ، وإن أيسره ليشق الخردل ، ويحيط الجنذل

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة والجمع مهارق — عجلان : مسرع — الرفلان : السير في تبخر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المجلول

حلاوة الحديث

وقال علي بن العباس^(١) يصف حديث امرأة
 وحديثها السحرُ الحلالُ لو أنه * لم يجنِ قتل المسلم المتحرز^(٢)
 إن طال لم يُكَلِّ وان هي أوجزت * ود المحدث أنها لم تُوجز
 شرك العقول ونزهة ما مثلها * للمطمئن وعقلة المستوفز^(٣)
 ألم في بيته الآخر بقول الطائي
 كواعبُ أترابٍ لفيداء أصبحت * وليس لها في الحسن شكل ولا ترب^(٤)
 لها منظرٌ قيد النواظر لم يزل * يروح ويغدو في خفارتها الحب^(٥)
 وأول من استثار هذا المعنى امرؤ القيس بن جحر الكندي في قوله
 وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكلي^(٦)
 وقالت علية بنت المهدي
 أشرب على ذكر النزال * الأغيد الحلو الدلال
 اشرب عليه وقل له * يا غل ألباب الرجال^(٧)

(١) هو ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٢ (٧) المتحرز: المتحفظ (٢) الشرك: الفسخ — العقلة:
 العقال — المستوفز: المستعجل — والشاعر يذكر أن حديث هذه المرأة نزهة
 للمطمئن وعقال لمن يهم بالانصراف — وفي كتاب «أفان الجمال» روايت من الشعر
 في حلاوة الحديث (٤) الكواعب: جمع كاعب وهي الفتاة تكعب نديها، أي
 تتأ كالسكب — أتراب: خديئات، وقاربت الفتاة الفتاة: خادتها، قال كثير
 تاربت يضاً إذا استلعت كأم الغباء ترف الكباتا
 وقد يراد بالأترب الشبهات في السن والحسن — والفيداء: الناعمة
 (٥) قيد النواظر: هو للنواظر كالقيد — الحفارة: الحماية (٦) الوكنات جمع
 وكنة وهي الش، والمنجرد الفرس سقط شعره من الضمور، والأوابد الوحوش
 النافرة، والميكل الضخم (٧) الل: هو الطوق يوضع في عنق الأسير

عليه بنت المهدي

وكانت عليه لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجازي الكلام ، ولها الخان
حسان ، وعلقت بفلام اسمه رشا ، وفيه تقول

أضحى الفؤاد بزينا * حباً كثيلاً مُتعباً
فجعلت زينب ستره * وكتمت أمراً معجباً

فُنمى الأمر إلى أخيها الرشيد ، فأبعده ، وقيل قتله
وعلقت بعده بفلام اسمه طل ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكركته لأقتلنك !
فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ : فإن لم يصبها وابل فانهى عنه أمير
المؤمنين ، فضحك وقال : ولا كل هذا ^(١) وهي القائلة

يا عاذلي قد كنتُ قبلك عاذلاً * حتى ابتليتُ فصرتُ صباً ذاهلاً
الحب أول ما يكون مجانةً * فإذا حُكِّم صار شغلاً شاغلاً ^(٢)
أرضي فيغضب قاتلي فتعجبوا * يرضى القتل ولا يرضى القتالا
والقائلة

وُضع الحب على الجور فلو * أنصف المشوق فيه لَسُجَّ ^(٣)
ليس يُتَحَسَّنُ في نَمِّ الهوى * عاشق يُحْسِنُ تأليف الحُجج
وكانها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأحنف
وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تُروِّعُ بالهجران فيه وبالعتبِ
إذ لم يكن في الحب سُخْطٌ ولا رضى * فأين حلوات الرسائل والكُتُبِ

(١) انظر غرام النساء بالنساء في كتاب «مدامع العشاق» لتقابل صور الفساد في المدينة
القديمة بصوره في المدينة الحديثة (٢) المجانة : العبت (٣) سجع : قبح

وقد زاد الخيري في هذا فقال :

راحتي في مقالة العذال * وشفتائي في قيلهم بعد قال
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب * لصبٍ إلا بمنس خصال
بسماع الأذى وعذل نصيح * وعتاب وهجرة وقال^(١)
وقال بعض المحذنين

لولا أطراد الصيد لم تك لذة * فطاردي لي في الوصال قليلا^(٢)
هذا الشراب أخو الحياة وماله * من لذة حتى يصيب غليلا^(٣)
وقال آخر

دع الصب يصل بالآذى من حبيبه * فان الآذى ممن تحب سرور^(٤)
غبار قطيع الشاة في عين ذئبها * اذا ما تلا آثارهن ذرور^(٥)
وأشد الأصمعي^(٦)

لاخير في الحب وقفا لا تحركه * عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع
لو كان لي صبرها أو عندها جزعى * لكنت أملك ما آتى وما أدع
اذا دعا باسمها داع ليحزني * كادت له شعبة من مهجتي تقع^(٧)
لا أحمل اللوم فيها والغرام بها * لا حمل الله نفساً فوق ما تسع

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي

لا تكثرن ملامة العشاق * فكفاهم بالوجد والأشواق
إن البلاء يطلق غير مضاعف * فاذا تضاعف كان غير مطاق

(١) التتالي: التباعض (٢) أطراد الصيد: جريه (٣) الغليل: الطعام الشديد

(٤) يصل: يجترق (٥) الضرور: هو الملح يذرع اللحم والغليل يوضع على التريد وهو كذلك النواء في العين والمراد أن غبار الشاة في عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام (٦) هو عبد الملك بن قريظ ونسب إلى جده أصعب نشأ بالبصرة وأخذ عن

خصماء البادية واتصل بالرشد توفي سنة ٢١٦ (٧) شعبة: قطعة

لا تُطْفِئَنَّ جوىَ بلومٍ إنه • كالريح تُرعى النارَ بالإحراق
ويشبه بيتَ عليّة الآخر بيتُ أنشد في هذامن شعر روى لأبي نواس ورواه
قوم لعنان جارية الناطقي ^(١) وهو

حلو العتاب يهيجُ الأدلالُ * لم يحلُ إلا بالعتاب وصالُ
لم يهوَ قطُّ ولم يُسمِّ بعاشق * من كان يصرف وجهه التّعدالُ ^(٢)
وجميع أسباب الغرام يسيرة * ما لم يكن غدرٌ ولا استبدالُ
تصف القضيبي على الكتيب قناتها ■ ولها من البدر المنير مثالُ
ولربّ لابسَة قناع ملاحٍ * حسناء سار بحسنها الأمثالُ
كسّتِ الحدأة ظُرفها وجمالها * نوراً فها شبابه يختال ^(٣)
وكأنها والكأسُ فوق بنائها * شمسٌ يندُّ بها إليك هلالُ
حتى إذا ما استأنست بحديثها * وتكلمت بلسانها الجريال ^(٤)
قلنا لها إن صدقت أقوالها * أفضالها وجرى بهنّ القال
قولى فليس تراك عينُ نيمَةٍ * حَضَرَ النصح غابت العذلُ
وضمير ما اشتملت عليه ضلوعنا * سرٌّ لدى أبوابه أقفال

قيد الأوابد

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى قيد الأوابد فقال يصف كلباً:
نيلُ المني وحكم نفس الرُّسُلِ * وعُقْلَةُ الظبي وحُفَّت التَّغْفُلِ ^(٥)
كأنه من علمه بالْمَقْتَلِ * علمَ بقرّاط فِصَادَ الأَكْحَلِ ^(٦)

- (١) الناطقي رجل من أهل بغداد، وعنان شاعرة حاجنة سمع بها الرشيد فاشتراها
بعد أن غالى بها سيدها ولها أخبار كثيرة مع أبي نواس توفيت في نحو سنة ٢٠٠
(٢) التّعدال: اللوم ومثله العذل (٣) يختال يترقرق (٤) الجريال: الحر، يريد
الشاعر أن يصف تلك الحسنة بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصبا
(٥) التغفل: التغلب. وفي النسخ القديمة (المتقل) وهو تصحيف (٦) بقراط:

وقال في بني حمدان

مُتَصَلِّكِينَ عَلَى كَثَافَةٍ مَلِكِهِمْ * مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ (١)

يَتَقِيلُونَ ظِلَالِ كُلِّ مُطَهَّمٍ * أَجَلَ الظُّلَمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ (٢)

وقال أعرابي يصف فرساً : أنه لدرك الطالب ، ومنجى الهارب ، وقيد الزهان .

وزين الفناء .

وقال بعض أهل العصر في وصف غلام :

(وجهه قيد الأبصار ، وأمد الأفكار ونهاية الاعتبار)

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباد (٣)

وقد أَعْتَدَى لِلصَّيْدِ غَدْوَةً أَصِيدِ * أَعْجَلَ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشَ هُجِدُ (٤)

فَعَنَتْ ظِلْبَاءُ خَفْنٍ تَحْتَ مُطْلَقِ الْيَدَيْنِ بِهِ أَيْدَى الْوَحْشِ تَقِيدُ (٥)

فَأَدْرَكْتُهَا وَالسَّيْفُ لَمَّةٌ بَارِقُ * وَلَمْ يَنْفِهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ (٦)

وقد رُعْتَهَا إِذْ كَانَ شَعْرِي رَائِعًا * وَطَرَفَ مَشْيِي عَنْ عِنَارِي أَرْمَدُ (٧)

وما بلغتُ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مَدَّتِي * وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدُّ (٨)

من كبار الأطباء القدماء ، والأشهر كل عرق في اليد (١) متصمك : متظاهر بالفقر .

والكثافة : الضخامة (٢) مطهم : مضمر دقيق الجسم — الظليم : ذكر النعام ، والريقة :

الرباط ، والسرحان الذئب — والمعنى أنهم يتقيلون ظلال كل جواد في عدوه أجل

الظليم وقيد الذئب (٣) هو الصاحب بن عباد المشهور المتوفى سنة ٢٨٥ (٤) الأصيد :

من يرفع رأسه كبرا (٥) عنت : عرضت ، ومطلق اليدين وصف للفرس بالسرعة

(٦) الإحضار : نوع من السير ، وتجهد : تعب (٧) أرمد : كليل البصر ، يريد

أن الشيب لم يسم بصره الى عذاره

(٨) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الحياض

عود الى حلاوة الحديث

وأيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث ، وقد توسع الشعراء في هذا الباب وكثر إحسانهم ، كما كثر افتنائهم ، وسأجرب شأواً في مختار ما قيل في ذلك وأعود إلى ما بدأت به . قال القطامي واسمه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ التَّغْلَبِيُّ (١) وسمى القطامي لقوله

يَصْطُطُّهُنَّ جَانِبًا جَانِبًا * حَطَّ الْقَطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِيَا (٢)

وقال أبو عبيدة ويقال للصقر قطامي وقطاني

وفي الخُدُورِ غمامات يرقن لنا * حتى تصيدننا من كل مُصْطَادٍ

يَقْتَلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَمْلَهُ * مِنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادٍ (٣)

فهنَّ يَنْبِذُنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ * مَوَاقِعُ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُقَّةِ الصَّادِي (٤)

وقال أبو حية النخعي واسمه الهيثم بن الربيع

وخبَرَكَ الْوَاشُونَ أَنْ لَنْ أَحْبَبَكَ * طِي وَسُتُورِ اللَّهِ ذَاتِ الْحَارِمِ

وإن دَمَا - لَوْ تَعْلَمِينَ جَنِيَّتَهُ (٥) * عَلَى الْحَيِّ جَانِي مَثَلِهِ غَيْرُ سَالِمِ

أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ * عَزَاءُ بِنَا إِلَّا ابْتِلَاعُ الْمَلَقَمِ (٦)

(١) في النسخ القديمة (التغلي) وهو تحريف (٢) القوارب : طالبات الماء .

(٣) يتقين : يخشون — باد : ظاهر (٤) مواقع الماء من الظلمان كناية عن الاحتشاء والمراد أن حديثهن يشفى الصب المتروك كما يطفى الماء لوعة التليل !

(٥) لوتعلمين جملة معترضة ولو هنا للتضييق (٦) الملاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل وكل شيء مر - ورواية البرد ..

أصد وما الصد الذي تعلمينه شفاه لنا الا اجترع الملاقم
والاجترع مصدر اجترع الماء ابتلعه

حياء وتُقياً^(١) أت تشيع نيمته * بنا وبكم أف لأهل التَّاهِم^(٢)
 أما إنه لو كان غيرك أرقلت * إليه اقنا بالراعفات اللهازم^(٣)
 ولكننه والله ما طلَّ مُسلماً * كفرُ الثنايا واضحات الملاغم^(٤)
 إذا هنَّ ساقطنَ الأحاديث للفتى * سقاط^(٥) حصي المرجان من كف ناظم
 رمين فأنفذن القلوب^(٦) ولا ترى * دماً مائراً إلا جرى في الحيازم^(٧)
 وقال أيضاً :

حديث إذا لم تخش عيناً كأنه * إذا ساقطته الشَّهْد أو هو أطيَّب
 لو أنك تستشفى به بعد سكرته * من الموت كانت سكرة الموت تذهب
 إلى هذا يتطرق قول الآخر وان لم يكن منه :

أقول لأصحابي وهم يعذّبوني * ودمعُ جُفوني دائم العبرات
 بذكر مني نسي قبلوا إذا دنا * خروجي من الدنيا جُفوهاً^(٨)
 وقال سديف مولى بني هاشم يصف نساء
 وإذا نطقن تخالهن نواظلاً * ذراً يُفصل لؤلؤاً مكنونا

(١) تقياً : خوف، ورواية المبرد بقيا (٢) أف لأهل التَّاهِم : تالهم ! (٣) أرقلت :
 أسرعت - الراعفات والرواعف : الرماح تسيل الرطاف بضم الراء وهو الدم -
 اللهازم : القواطع والمفرد لهزم على وزن جضر (٤) الثر : البيض - الملاغم : هي طرف
 الانف وما حوله الى الشفتين ، والوضوح : اليافض والاشراق - وطل : من قولهم دم
 مطلول اذا مضى هدرا - وأثبت هذا البيت في النسخ القديمة هكذا .
 ولكذا والله ما ظل مسلماً لفر الثنايا واضحات الملاغم
 وهو تحريف . ورواية المبرد « ولكن لعمر الله » الخ والكاف فاعل « طل »
 في قوله « ما ظل مسلماً كفر الثنايا »

(٥) هذه رواية المبرد ، وفي الاصل « سقوط » (٦) أنفذن القلوب : من قولهم رميته
 فأنفذته اذا أنفنت فيه السهم . ورواية المبرد « اقصدن القلوب » بمعنى اصبتها من
 قولهم قصدت الرجل اذا طعته فلم تخطئه مقاتله (٧) مائر : سائل - الحيازم جمع حيزوم
 وهو ما اكتنف الخلقوم من جانب الصدر (٨) الهاء : اللحمة المنصرفه على الحلق -

وإذا ابتسم فآهين غمامة * أو أتحوان الرمل بات مَعِينَا^(١)
 وإذا طَرَفَن طرفن عن حَقِّ المِها * وفضلنهنَّ محاجرًا وجفونا^(٢)
 وكانَ أحيادَ الظباء تَمُدُّها * وخُصُورهنَّ لطفاءً ولَدُونَا^(٣)
 وأصحَّ ما رأتِ العيون محاجرًا * ولهنَّ أمرضُ ما رأيتُ عيونا
 وكانهنَّ إذا نهضن لحاجة * ينهضن بالعقدات من يَبْرِينَا^(٤)
 وقال الطائي^(٥)

تُعْطِيكَ مَنْطِقُهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ * لِحَنِّي عَذُوبَتِهِ يَمُرُّ بِشَفْرِهَا
 وَأُظُنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِحَبِهَا * أَوْهَى وَأَضْفُ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا
 أَخَذَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ هَانِي^(٦) فَقَالَ يَمْدَحُ جَعْفَرَ بْنِ عَلِيٍّ ، لِأَنَّهُ قَلْبُهُ
 قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيِّبُ ثَنَائِهِ * مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عِزِّهَا

وهذا البيتان من الشعر الرائع وفي معناها عقد فصل تمتع في (مدايح الشواق) عنوانه :
 لوعة الشوق — فليرجع اليه القاريء إن شاء (١) الاقحوان : زهر ابيض تشبه به
 الثغور الناصعة البياض — والمعين : المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة

(٢) طرفن : حركن عيونهن — والمها : التزلان (٣) الاحياد : جمع حيد بكسر
 الحيم وهو النقي ، والدون والدونة بضم اللام : الرقة (٤) العقدات : جمع عقدة وهي
 السفح والكتيب ، ويبرين : اسم مكان من اصقاع البحرين ، يقول فيه ابو زياد الكلابي
 أَرَاكَ إِلَى كِتَابِنِ يَبْرِينِ صَبَّةً وهذا المعنى لو قُضِيَ كِتَابُ
 وَإِنَّ الْكِتَابَ الْفَرْدَ مِنْ إِيْمَنِ الْحَمِي إِلَى وَانْ لَمْ أَنَّهُ لِحَبِيبِ

(٥) نسبة شاذة الى طيبي ، وكذا ذكره الطائي ، فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر فحل
 من شعراء الدولة العباسية . ولد في جاسم ، وهي قرية قريبة من دمشق سنة ١٩٠ للهجرة
 ونقل صغيرا الى مصر ، وأقام بها مدة يسقى الماء في جامع عمرو . ثم رحل الى مقر
 الخلافة بعد أن نبغ في الشعر والادب فاتصل بالمتصم ووزيره محمد بن الزيات ، ثم
 ولده الحسن بن وهب يريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ . وله ديوان شعر
 مطبوع وهو مؤلف ديوان الحماسة .

(٦) محمد بن هاني من أكبر شعراء الاندلس وأشهرهم . وكان يسمى «متنبى الغرب» .
 لجزالة شعره وقوة عارضته ، وهو صاحب الكافية المشهورة التي يقول في مطلعها :

وَكَمَا صَرَبَ السَّمَاءُ سُرَادِقًا * بِالزَّابِ أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِبَابًا^(١)
أَرْضًا وَطَنَتِ الدَّرَّ رَضْرَاصًا بِهَا * وَالْمَسْكُ ثُرْبًا وَالرِّيَاضَ جَنَابًا^(٢)
وَقَالَ الطَّائِي :

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَهُ أُتْرُوعًا * تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةَ يَنْبُوعًا^(٣)
كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا * مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا
وَمِنْ جَيْدِ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدِيحِهِ قَوْلُ النَّافِثَةِ الذِّيَانِي^(٤)

لَوَأْنَهَا عَرَضَتْ لِأَشْطَطِ رَاهِبٍ * عَبْدَ الْآلَةِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ^(٥)
لَنَا لِلْمَهْجَةِ وَطِيبِ حَدِيثِهَا * وَخِلَالَهُ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ السَّلِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ^(٦)
وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا * أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّى لِي وَيَدْنُو بَيْدِهَا
مِنْ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا * إِذَا مَا اقْتَضَتْ أَحْلُوْتَهُ لَوُتْعِيدُهَا^(٧)
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا * وَتُرْمَى بِبَلَا جُرْمٍ عَلَى حُقُودِهَا^(٨)

فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ سَيُوفُ أَيْكَ وَكُؤُوسُ خِرَامٍ مَرَاشِفُ فَيْكَ

توفي سنة ٣٦٢ بعد أن جاب كثيراً من الاقطار واتصل بكثير من الرؤساء . أما
جعفر بن علي بمملوحه فقد توفي سنة ٣٦٤

(١) الزاب : من اعمال افريقية (٢) الرضراض والرضرض : صفار الحصى
(٣) الاسروع دود أحمر الرأس تشبه به الانامل الخضبة (٤) شاعر جاهلي صحب
التمان ابن المنذر وأجاد القول في الاعتذار

(٥) الاشطط : من يخالط رياض شمره سواد - صرووة . وصارورة . وصرور :
لم يتزوج . للواحد والجمع (٦) العود : جمع عائد . والمراد أنها تنظر بتكسر وتفتور
كما ينظر السقيم الى وجوه العواد - انظر (سحر العيون) في كتب أفنان «الجمال»
(٧) الخفريات : من الخفريات فتحتين : وهو الحياء
(٨) تحلل : تتحلل وتذوب - والاحقاد والحقود جمع حقد ، والجرم : الذنب

وقال بشار :

وَكَاَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا * قَطَعَ الرِّيَاضُ كَيْنَ زَهْرَا
حَوْرَاهُ إِنِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ * لَكَ سَقَتُكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا^(١)
تُنْسِي الْغَوَى مَعَادَهُ * وَتَكُونُ لِلْحَكَمَاءِ ذِكْرَا
وَكَاَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا * بِصَفَاوِاقٍ مِنْكَ فِطْرًا^(٢)
وَكَاَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا * هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرَا
وَيُجَالِ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ * ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا^(٣)

وسمع بشار قول كثير بن عبد الرحمن^(٤)

أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَانَةٍ * إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينَ
قَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ أَبَا صَخْرَا يُزْعِمُ أَنَّهَا عَصَا وَيَعْتَدِرُ بِأَنَّهَا خَيْرَانَةٌ ، وَلَوْ قَالَ
عَصَا مُخْ أَوْ عَصَا زَيْدٍ ، لَكَانَ قَدْ هَجُنَ مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا ، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتَ
وَدَعِجَاءَ الْحَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ * كَأَنَّ حَدِيثَهَا تَمْرُ الْجَنَانِ^(٥)
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَنَتَّ * كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانٍ

وبعد قول كثير : (أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَانَةٍ) :

تَمْتَعُ بِهَا مَا سَاعَفْتُكَ وَلَا يَكُنْ * عَلَيْكَ شَجِي فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ
وَأِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ الْإِيَّانَ فَلَهَا * لِآخِرٍ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينَ
وَأِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا * فَلَيْسَ لِحُضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ
وقال البحتري :

وَلَمَّا التَقِينَا وَاللَّوَى مُوعِدُهُ لَنَا * تَعْجَبُ رَأْيَ الدُّرِّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ
فَنَ لَوْلُو نَجْنِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا * وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

(١) حوراء: من الحور بفتح الحين ، وهو شدة يياض العين مع شدة سواد سوادها

(٢) في الأصل (وافق فيه فطرا) والذى أثبتناه أوفق (٣) يصف جسمها بأنه قطعة

من الذهب والمطر (٤) هو كثير عزة المتوفى سنة ١٠٥ (٥) دعجاء : حوراء

وقال المتنبي :

أَمْنَعَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظُّيَّةُ الَّتِي * بِضِرْوَيْكَ كَانَ نَائِلُهَا الْوَسْمِيُّ ^(١)
تَرَشَّقَتْ فَاهَا سُحْرَةٌ فَكَأَنِّي * تَرَشَّقَتْ حَرَّ الْجَمْنِ بَارِ الدَّظْلَمِ ^(٢)
فَتَاةٌ تَسَاوَى عِقْدُهَا وَكَلَامُهَا * وَمَبْسُهَا الدَّرِيُّ فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ

الشعر والبيان

عاد الحديث الأول ، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدى قراءة عليه عن أبي داود عن محمد بن عبيد الله عن أبي اسحق عن البراء يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً

قال أبو القاسم هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ فقال : نعم هو « ان من الشعر لحكماً » بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندى إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يزم القول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ، إصابة المعنى وقصدًا للصواب ، وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْلَا سَبِيلُ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى * بُغَاةُ الْعَلَى مِنْ أَيْنَ تُوثِقُ الْمَكَارِمَ ^(٣)
يُرْسَى حِكْمَةٌ مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ * وَيُرْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَلَمٌ
انتهى كلام أبي القاسم .

وقد وجدنا في الشعر أحياناً يُجرى على رسمها ، ويُقضى على حكمها . فقد كان بنو آف الناقة إذا ذكر أحد عند أحد منهم أنف الناقة فضلاً عن أن ينسبهم

(١) الوسمى : المطر الاول والولى المطر الذى يليه

(٢) الظلم بفتح الظاء الثغر ، قال كعب بن زهير

تَجَلَوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتَ كَأَنَّهُ مِنْهُلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

وفى أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الاسنان من شدة الصفاء

(٣) البغاة : الطلاب . وفى الاصل « بغاة الندى » وما أثبتناه ادق

إليه ، اشتد غضبهم عليه ، فها هو إلا أن قال الخطيئة^(١) يمدحهم
سيري أمامَ فان الأكثرين حصي * والأطيين اذا ما يُنسبون أبا
قوم^٢ اذا عقدوا عقداً لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا^(٣)
قوم هم الأقف والأذئاب غيرهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا ؟
فصار أحدهم اذا سئل عن اتسابه لم يبدأ إلا به

عبد الله بن كعب

وأنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم ،
وكان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم ، وينشرفون بهذا الوسم ، إذ كان
عبد الله بن كعب جدّهم إنما سمي العجلان لتجليله القرى للضيفان : وذلك أن
حيّاً من طيئ نزلوا به ، فبعث اليهم بقرام عبدآ له ، وقال له اعجل عليهم ، ففعل
العبد فاعتقه لبعثته ، فقال القوم ما ينبغي أن يسمى الا العجلان ، فسمى بذلك
فكان شرفاً لهم ، حتى قال النجاشي واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حزن
ابن الحارث بن كعب يهجوم

أولئك أحوال اللعين وأسرّة السهجين ورهط الواهن المتذلل^(٤)
وما سمي العجلان إلا لقوله * خذ القُبْ واحلب أيها العبدوا عجل
فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبى ، ويكنى عن العجلان

(١) هو جرول ابن اوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، كان سليط
اللسان لم يكديس لم من جهات أحد ، وقد سجّه عمر بن الخطاب لملك ، توفي نحو سنة ٣٠
(٢) العناج : جبل اللؤلؤ وزمام الناقة . والكرب أيضاً من جبال اللؤلؤ ، والمراد
أنهم اذا عقدوا عقداً ربطوه بجبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
(٣) الاسرة والرهط بمعنى القوم ، والهجين : غير الشريف ، والواهن : الضيف

حكومة عمر في الشعر

وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا^(١) على النجاشي لما قال هذا الشعر
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقالوا هجانا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه قوله
إذا الله عادى أهل لؤم ورقّة * فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
فقال إن الله لا يعادي مسلما ، قالوا فقد قال

قُبيلة لا يفدرون بدمّة * ولا يظلمون الناس حبة خردل^(٢)

فقال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا فقد قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل

فقال : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه !

قالوا فقد قال :

ولا يردون الماء الا عسبة * إذا صدر الوراد عن كل منهل^(٣)

فقال : ذلك أصنى للماء ، وأقل للزحام !

قالوا فقد قال :

وما سئى العجلان الا لقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال : سيد القوم خادمهم !

وكان عمر رضي الله عنه أعلم بما في هذا الشعر ولكنه درأ الحدود بالشبهات^(٤)

جمرات العرب

وهؤلاء بنو نعيم بن عامر بن صعصعة من القوم أحد جمرات العرب وأشرف

بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة : وإنما سموها بذلك لأنهم

(١) استعانوا واستصروا (٢) قبيلة تصغير قبيلة . وفي الأصل قبيلته وهو تحريف .

والمنع أنهم لا يقدرّون لضعفهم على ظلم أحد (٣) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء

إلا إذا انصرف عنه الناس (٤) هذا الحديث رواه ابن رشيقي في العمدة بشئ من

التفصيل فليراجع هناك

يتوافرون في أنفسهم ، لم يلجأوا معهم غيرهم ، والتجير في كلام العرب التجميع ،
 وهم بنو عامر وبنو الحارث بن كعب ؛ وبوضبة بن أد . ففطنت جمرتان وهما
 بنو ضبة لآنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مَدْرَج ، وبقيت نير
 لم تجالفت ، فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت ،
 قال : نيري كما ترى ؛ إيدلاً بنسبه ، واقتضاراً بمنصبه ، حتى قال جرير ابن
 الخططي لعبيد بن حصين الراعي أحد بني نير بن عامر

ففض الطرف انك من نير * فلا كعبا بلنت ولا كلابا
 كعب وكراب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . فصار الرجل منهم اذا قيل
 له : ممن أنت ؟ يقول عامري ، ويكنى عن نير

انتقام امرأة

ومرت امرأة بقوم من بني نير فأخذوا النظر اليها فقال منهم قائل : والله
 انها كرسحاه^(١) فقالت : يا بني نير والله ما امتثلتم في واحدة من اثنتين ، لا قول
 الله عز وجل : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ولا قول الشاعر : « ففض الطرف
 انك من نير » البيت

تعريض قادح

وسائر شريك بن عبد الله النخعي يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فبرزت
 بغلة شريك^(٢) فقال له يزيد : غض من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله
 الأمير ، فضحك ، وقال : ما ذهبت حيث أردت ، وإنما عرض بقوله غض من
 لجامها بقول جرير * ففض الطرف انك من نير * فعرض له شريك بقول ابن دارة
 لا تأمنن فزارياً خلوت به * على قلو صك واكتبها بأسيار^(٣)

(١) رشحاه : كثيرة المرق ، وذلك من عيوب النساء
 (٢) برزت : سبقت (٣) اكتبها : مأخوذ من الكتابة بضم الكاف وسكون الباء

وبنو فزارة يُرمون بإتيان الابل ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك .
لما ولي عمر ابن هبيرة ^(١) العراق

أمير المؤمنين لَأَنْتَ مَرَّةً * أمينٌ ليس بالطمع الحريص
أوكبت العراق ورافديه * فزاريا أخذ يد القميص ^(٢)
ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوصل ^(٣)
تفهق بالعراق أبو المثني * وعلم قومه أكل الخبيص ^(٤)
الرافدان : دجلة والفرات

دفع شعر جرير

وقال بعض النعمانيين يحيب جريرا عن شعره
نيرٌ حجرة العرب التي لم * تزل في الحرب تلهب التهابا
واني إذ أسبُّ بها كليباً * فتحت عليهم للخسف بابا
ولولا أن يقال هجا نيرا * ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب * وكيف يشاتم الناس الكلابا
فما نفع نيرا ، ولا ضرر جريرا ، بل كان كما قال الفرزدق
ما ضرَّ قلب وائلٍ أهجوتها * أم بليت حيث تناطح البحران

وهو سير يكتب به حياة الناقة ثلاثا ينزى عليها . وكتب الناقة يكتبها بكسر التاء وضما
في المضارع ختم حيامها ^(١) عمر بن هبيرة الفزاري أمير من الدهاء الشجعان ولام
عمر بن عبد العزيز الجبيرة فأقام فيها الى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك فولام
امارة العراق وخراسان . توفي نحو سنة ١٩٠

^(٢) أجذ ، مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية عن السارق ^(٣) القلوصل الناقة ،
والخوف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأتيها الفزاري ! ^(٤) تفهق :
عاش عيشة الترف — الخبيص : طعام يعمل من التمر والسمن

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بني صير بن ربوع في هجائه لنقيف
وسوف يزيدكم هجة هجائي * كما وضع الهجاء بني نير
وسمع الراعي ^(١) منشدا يشد
وعلى عوى من غير شيء رميته * بقافية أنفاذها تقطر الدما ^(٢)
خروج بأفواه الرواة كأنها * فرى هندواني إذا هز صمما ^(٣)
فارتاع له ، وقال : لمن هذا ؟ قيل لجريز ، قال لعن الله من يلومني أن يظلمني
مثل هذا !

فضل الشعر

وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة ، وهلم لآخرين أبنية منيفة
وما هو إلا القول يسرى فتفتدى * له غرر في أوجه ومواسم
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ^(٤) : سمعت أبا عمرو بن العلاء ، ورجل
يقول : إنما الشعر كاليسم ^(٥) فقال : وكيف يكون ذلك كذلك ، والميسم يذهب
بذهاب الجلد ، ويدرس مع طول العهد ، والشعر يبقى على الأبناء ، بعد الآباء ،
ما بقيت الأرض والسماء ! — وإلى هذا نحا الطائي في قوله
واني رأيت الوسم في خلق النقي * هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد
وقال عمر رحمة الله عليه : تعلموا الشعر ، فإن فيه محاسن تبتغي ، ومساوىء
تتقى . وقال أبو تمام

إن القوافي والماسعي لم تزل * مثل النظم اذا أصاب فريدا

(١) الراعي هو عبيد بن حصين البصري شاعر فحل كان يفضل الفرزق على جرير
فهجاه جرير واستمر بينهما العداء. توفي نحو سنة ٩٠
(٢) أنفاذ : جمع نفذ بفتح ن وهو الشق تحته الطعنة النافذة (٣) الهندواني السيف
والفرى : الشق والصدع ، وصم : أصاب المفصل وقطعه (٤) كان من أبصر الناس
بعلوم اللغة العربية توفي سنة ٢٠٩ (٥) اليسم : المسكوة

هي جوهرٌ نثرٌ فان ألفته * في الشعر كان قلانداً وعقوداً
من أجل ذلك كانت العرب الألى * يدعون هذا سؤدداً مجوداً
وتندُّ عندهم العلى الا اذا * جُعِلَتْ لها مِرْرُ القصيدة (١)
وقال علي بن الرومي:

أرى الشعرُ يحيي الناس والمجد الذي * تُبقيهِ أرواحٌ له عَطراتُ
وما المجد لولا الشعر الا معاهد * وما الناس الا أعظمُ غيراتُ

شذور من كلام الرسول

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم : الكريم النَجْر (٢) ، العظيم القدر ، الذي هو النهاية في
البيان ، والغاية في البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ، واسترُضعت
في سعد بن بكر ! وليس بعض كلامه بأولى من بعض الاختيار ، ولا أحق بالتقديم
والإيثار ؛ ولكني أورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك
واستنجاحاً . وهذه شذور من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح القصيح ، العزيز
الوجيز ، المتضمن بقليل من المبادئ ، كثير المعاني ، قوله للانصار :

— إنكم لتقاون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع

وقوله عليه السلام : المسلمون تيكافأ مأوهم ، ويسعى بدمتهم أدناهم ، وهم يدُّ
على من سواهم .

— الناس كابل مائة لا تبجف فيها راحلة .

— إياكم وخضراء الدمن (٣) .

(١) المرر : جمع مرة بكسر الهمزة وهي إحكام القتل ، وتند : تفرو وتشرذ (٢) التجرة : الأصل

(٢) الدمن : جمع دمنة وهي مربوط الأبل والحيل ينبت فيها النبات فيكون رائحة الخضره ككثره
الماء والسماك ، وخضراء الدمن كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من بيت السوء

- كل الصيد في جوف القرا^(١) . قاله لا بني سفيان بن حرب .
- الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا .
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .
- أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .
- المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور .
- المرأة كالضلع ان دُرُمت قوامها كسرتها^(٢) وان داريتها استمنت بها .
- اليد العليا خير من اليد السفلى .
- مظل النفي ظلم .
- يد الله مع الجماعة .
- الحياة شعبة من الايمان .
- مثل أبي بكر كالقطر ، أينما وقع نفع .
- لا تجعلوني في أعجاز كتبكم كقدح الزاكب^(٣) .
- أربعة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة والمرض والمصيبة والفاقة .
- جنة الرجل داره .
- الناس نيام فاذا ماتوا اتبهموا .
- كفى بالسلامة داء .
- إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوا بأخلاقكم .
- ما قل وكفى خير مما كثر وألحى .
- كل^٤ مُيسر لنا خلق له .
- اليمين حنث أو مندمة^(٥) .

(١) القرا : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف القرا) مثل ، ومعناه أن من نال الأمر العظيم كان خليقا أن ينسى ما سواه مما ينال الناس (٢) القوام بالكسر : التقويم (٣) الأءعجاز : الأءاخر (٤) الحنث بكسر الحاء : التنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين التنب أو التدم

- دُع ما يريك إلى مالا يريك .
- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .
- احترسوا من الناس بسوء الظن .
- الندم توبة .
- انتظار الفرج عبادة .
- نعم صومعة الرجل بيته .
- المستشير مُعان والمستشار مؤتمن .
- المرء كثير بأخيه .
- إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد ، وجلاؤها الاستغفار .
- اليوم الزَّهَانُ وغدا السَّبَّاقُ ، والجنةُ الغاية .
- كل من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة ومن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
- « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ! »
- قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى سمعت أهل العلم يقولون ، هذا الحديث ثلث الاسلام ، والثلث الثانى مارواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
- « الحلال يَنُّ ، والحرام يَنُّ ، وبينهما أمور مشتهيات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقها كان الراتع حول الحى ، ألا وإن لكل ملك حى ، ألا وإن حى الله محارمه ^(١) »

قال والثالث ما رواه مالك بن شهاب عن علي بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

شعراء الرسول

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر وأثاب عليه ونذب حسان بن ثابت اليه ^(١) ، وقال : إن الله ليؤيده بروح القدس ما نافع عن نبيه ^(٢) ولما انتهى شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم شق عليه ^(٣) فدعا عبد الله بن رواحة ^(٤) فاستنشه فأنشده فقال : أنت شاعر كريم ، ثم دعا كعب بن مالك فاستنشه فأنشده . فقال : أنت تحسن صفة الحرب . ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عني ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته ^(٥) ثم قال والذي بعثك بالحق ما أحب أن لي به مقولا في معد ، ولو أن لسانا فرى الشعر لفراه ^(٦) ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمس من أبي سفيان ، فقال : وكيف ويذني وبينه الرحم التي قد علمت ! فقال أسلك منه كما تسلك الشعرة من العجين ! فقال اذهب إلى أبي بكر ، وكان أعلم الناس بأنساق قريش ، وسائر العرب ، وعنه أخذ جبير بن مطعم علم النسب ، ففضى حسان اليه فدكر له معايبه ، فقال حسان بن ثابت

وإن سنم المجد من آل هاشم * بنو بيت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم * كرام ولم يقرب عجائزك المجد ^(٧)
ولست كعباس ولا كابن أمه * ولكن لئيم لا يقوم له زند ^(٨)

(١) نذب : دعا (٢) نفع : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة صحابي يمد في الأمراء والشعراء الراجزين . كان يكتب في الجاهلية . شهد العقبة وهدرا واحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨

(٥) الأرنبة طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يمحوه ، ومحو الشعر كناية عن غاية الإيذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في الكف

وإن امرأاً كانت سُمِيَّةُ أُمِّهِ * وَسَمْرَاءُ مَقْمُورٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ^(١)
وَأَنْتَ زَنْيَمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ * كَأَنِّي نَيْطٌ خَلْفَ الرَّائِبِ الْقَدَحِ الْفَرْدِ^(٢)
فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هذا كلام لم يقب عنه ابن أبي قحافة ،
يعنى يبنى بيت مخزوم عبد الله وأبا طالب والوزير بن عبد المطلب بن هاشم أمهم .
فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء
وهي أم حكيم والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وقوله (ومن ولست أبناء زهرة
منهم كرام) يعنى أميمة وصفية أم الوزير بن العوام أمهما هالة بنت أبيب بن عبد
مناف بن زهرة . وقوله (ولست كعباس ولا كإبن أمه) أم العباس ثنيلة امرأة
ابن جعفر بن واسط وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب . وقوله (وإن امرأاً كانت
سُمِيَّةُ أُمِّهِ وَسَمْرَاءُ) سُمِيَّةُ أم أبي سفيان ، وسمراء أم أبيه ، وليس هذا موضع
إطناب فى رفع الانساب

وكان عبد الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتب على بعض ولد الحارث فقال .
له مُعَرِّضًا بما قال حسان

إِخَالُ بِالْعَمِّ وَبِالْجَدِّ * مَفْتَحِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ^(٣)
الْهَجْجِ بِحَسَانٍ وَأَشْعَارِهِ * فَاتَهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تُؤْمِنُوا * وَلَمْ تُقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ

فتوعده فخافهم ، فقال :

بَنَى هَاشِمٌ عَفْوًا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ * وَإِنْ كَانَ ثَوْبِي خَسُوفًا نَشِيبُهُ مُجْرِمٌ
لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّافَا * وَجَمْعٌ وَمَا ضَمَّ الْحَطِيمُ وَزَمَزِمٌ
فَإِنْ قُلْتُمْ بِأَدْهَتِنَا بِظُفْيَةِ * فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجَلٌ وَأَعْظَمُ

(١) الجهد : التعب . وبلوغه شدته ، وهذا كناية عن السعى للمجد ، والمقْمُور :
الحامل (٢) زَنْيَمٌ : دعى معلق بمن ليس منه . ونَيْطٌ بكسر التون : علق
(٣) إِخَالٌ بكسر الهمزة : أظن ، والنمى : أظنك مفتحرا بالقَدَحِ الْفَرْدِ

أبو سفيان

وأسلم أبو سفيان رحمه الله وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وكان ممسكا بلجام بقلته حين فرّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم على ما ذكره أبو محمد عبد الملك ابن هشام : أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل وريمة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، قتل يومئذ ، وبعض الناس يعد فيهم قُثم بن العباس ولا يعد ابن أبي سفيان

وكان أبو سفيان من أشعر قريش وهو القائل

لقد علّمت قريش غير فخر * بأننا نحن أجور دُهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات * وأمضاهم اذا طعنوا سنانا^(١)
وأدفعهم عن الضراء عنهم * وأبينهم إذا نطقوا لسانا

شعر كعب بن مالك

ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره قد شئق ناقته بزمامها ، حتى وضعت رأسها عند مقعدة الرجل ، إذ قال : يا كعب ابن مالك ، احذ بنا ! فقال كعب :

قضينا من تهامة كل حق * وخير ثم أجمنا السيوفا^(٢)

فخيرها ولو نطق لقال * قواطع دوسا أو ثقيفا

فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لى أشد عليهم من رشق النبل ! ويقال إن دوسا أسلمت فرقا^(٣) من كلمة كعب هذه^(٤) ، وقالوا : اذهبوا فخذلوا لأنفسكم الأمان ، من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقا : خوفا (٤) كان كعب بن مالك حيد الشعر حتى قال روح بن زباع : أشجع بيت وصف به رجل قومه قول كعب :

لصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها إذا لم تلحق
وكانت وفاته سنة ٥٥

قصة النضر بن الحارث

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وكان ممن أسر يوم بدر . وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله علي بن أبي طالب رضى الله عنه صبرا ^(١) . فعرضت للنبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث . وفي بعض الروايات : أن قتيلة ابنته ^(٢) فأئسده

يا را كجبا إن الأئيل مظنة * من صبح غادية وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما إن تزال بها النجائب تعنى ^(٣)
مضى إليه وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تحنى ^(٤)
هل يسمعى النضران ناديته * إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحم هناك تشقى ^(٥)
قسرا يقاد إلى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق ^(٦)
أحمد ها أنت صنو كريمة * فى قومها والفعل فصل مرق ^(٧)
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفى وهو المغيظ المحنق ^(٨)
فالنضر أقرب من قتلت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
أو كنت قابل فدية فليقدن * بأعز ما يئلى به من ينفق
فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه ، وقال لأبي بكر : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته !

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف

- (١) صبرا : حبسا (٢) فى الأصل «أخته» وهو تحريف (٣) تنق : من العنق ، بفتحين ، وهو السير الخيىث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تناهه بالطن
(٦) قسرا : قهرا — والرسف : مضى المقيد — طان : أسير — موثق : مقيد
(٧) صنو : ابن — مرق : أصيل (٨) من : صفح ، والمحنق : المملوء بالغيظ

ابن عبد الدار^(١) قال الزبير بن بكار^(٢) وسمعت بعض أهل العلم يعمز في آيات. قتيلة بنت الحارث ويقول إنها مصنوعة

وفاة رسول الله

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه السلام وهو مُسَجَّى بثوب^(٣) فكشف عنه الثوب وقال : بأبي أنت وأمي ! طِبْتَ حَيًّا وطِبت ميتًا ، واقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعُظِّمَتْ عن الصفة ، وجلت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة ، وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك ، لجدنا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهييت عن البكاء لأفقدنا عليك ماء الشُّون^(٤) ، فأما ما لا نستطيع فيه عنا فكمداً وإدنافاً^(٥) يتحالفان ولا يرحان ، اللهم فأبلغه عنا السلام ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالاك ، فلولاً ما خلقت من السكينة. لم نُشَمَّ لما خلقت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا . ثم خرج

قوله رضى الله عنه (لولا أن موتك كان اختياراً منك) إنما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم : لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّر . قالت عائشة رضى الله عنها فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلمت أنه خَيْرٌ ، فقلت لا يختارنا إذن ، وقلت هو الذى كان يحدِّثنا ، وهو صحيح

وكان أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسَّحْجِ^(٦) فتواترت اليه الرسل فأثى وقد ذهل الناس ، فكانوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم ،

(١) كان النضر حامل لواء المشركين بيد فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم من الواقعة (٢) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

(٣) مسجى : مغطى (٤) الشُّون : عروق اللحم (٥) الادنفا : المرض الثقيل

(٦) السَّحْج : بضم السين وسكون التون موضع قرب المدينة وكان به منزل أبى بكر رضى الله عنه

واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصمت آخرون فما تكلموا إلا بعد
التنكير ، وخط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان ، ^(١) وحق لهم ذلك للارزية
العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة العقر ^(٢) ، وبيضة النهر ، ومدى
المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها ^(٣) ، ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لتعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كذب بموته وقال : ما مات وليرجعه
الله فليقطعن أيدي المنافقين وأرجلهم ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ،
وأما واعده ربه كما واعد موسى وهو يأتيكم
وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أخرس ، فجعل لا يكلم أحداً ، يُؤخذُ
بيده ويُجلبه به فينقاد

وأما على رضى الله عنه فلبط بالأرض ^(٤) فقعده ولم يبرح البيت حتى دخل
أبو بكر وهو في ذلك جَلَدَ العقل والمقالة ^(٥) فأكب عليه ، وكشف عن وجهه ،
وقبل جبينه وبكى بكاء شديداً وقال الكلام الذى قدّمته ، ولما خرج إلى الناس
وهم في شديد غمّراتهم وعظيم سكراتهم ، قام فخطب خطبة جُلّها الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ،

(١) لا ثوا : خلطوا (٢) بيضة العقر : مثل للحادث الذى يندر أن يتكرر ، وهو
في الاصل بيضة الباجية التى لا تبيض بعدها . وفي الاصل (بيضة العصر) وهو
تحريف (٣) جلال : من أسماء الاضداد ويطلق على الامر العظيم كما يطلق على الامر
الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الامر الخطير قول الشاعر

قوى هو قتلوا أيمى أخى فلما رميت بصينى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن ضربت لأوهن عظمى

(٤) لبط بالأرض ، ولبط به : سقط من قيام كما صرع . والعبارة الثانية
بصيغة المفعول (٥) جلده : ثابت

وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ، في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم اليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر ، يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يضلكنم الشيطان يموت نبيكم ، ويفتنكم عن دينكم ، فاجلوه بالذي تجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم ، فلما فرغ من خطبته قال : يا عمر ! بلغني أنك تقول مامات نبي الله ، أما علمت أنه قال في يوم كذا وكذا وفي يوم كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى : إنك ميت وإنهم ميتون ، فقال عمر والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل ما نزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما نزل ، وإن الحديث كما حدث ، وأن الله حي لا يموت ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم جلس إلى جنب أبي بكر رحمه الله قالت عائشة رضوان الله عليها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نجمة النفاق ^(١) ، وارتدت العرب ، وكان المسلمون كالنجم الشاردة ، في الليلة الماطرة ، فحمل أبي مالو حملته الجبال لهاضها ^(٢) فوالله إن اختلفوا في معظم الأذهب بمحظه ، ورشده ، وغنائه ، وكنت إذا نظرت إلى عمر علمت أنه إنما خلق للإسلام فكان والله أحوزيا نسيج وحده ^(٣) قد أعد للأمر أقرانها . وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن مزيد قال حدثني في مجلس يزيد بن هارون ^(٤) بالبصرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن ورجع المهاجرون والأَنْصار إلى رحلم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ، فاجتمع إليها نساؤها فقالت

(١) نجم : نشأ (٢) هاضا : دكها وحطمها (٣) أحوزي : حاذق قاهر للأمور لا يشذ عليه شيء (٤) يزيد بن هارون من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهاجبه المأمون توفي بواسطه سنة ٢٠٦

اغْبِرْ آفَاقَ السَّمَاءِ وَكُوْرَتَ * شَمْسَ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانَ (١)
فَالْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيْبَةً * أَسْفَاً عَلَيْهِ كَثِيْرَةُ الرَّجْفَانِ (٢)
فَلِيْبِكَ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا * وَلِيْبِكَ مُضَرُّ وَكُلُّ يَمَانِي
وَلِيْبِكَ الطُّوْرُ الْمَعْظَمُ جَوْهُ * وَالْبَيْتُ ذُو الْأُسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْهُهُ * صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزِلَ الْفَرْقَانِ (٣)

مناقب أبي بكر

وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا أُتِيَ عليه يقول : اللهم أنت أعلم بي من
نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، فاجلنى خيراً كما يحسبون ، واغفر لى برحمتك
مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون . وقال رضى الله عنه فى بعض خطبه : إنكم
فى مهل ، من ورائه أجل ، فبادروا فى مهل آجالكم ، قبل أن تنقطع آمالكم ،
فتردكم إلى سوء أعمالكم .

وذكر أبو بكر الملوک فقال : إن الملك إذا ملك زهده الله فى ماله ، ورغبه
فى مال غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يسخط على الكثير ، ويمحذ على
القليل ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، حتى إذا وجبت نفسه (٤) ونضب
عمره ، وضحا ظله (٥) ، حاسبه الله فأشد حاسبه ، وأقل الأنصار عنه عقوبة
وذكر أنه وصل إلى أبى بكر مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ،
ففضبت الأنصار ، وقالوا له : فضلنا ! فقال أبو بكر : صدقم ، إن أردتم أن
أفضلکم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل ! فقالوا . والله
ما عملنا الا لله تعالى ، وانصرفوا . فرقى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الاضطراب (٣) الظاهر أن هذه الايات
مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفد (٥) ضحا ظله : مات

في ظلالنا ، وشاطرنا كم في أموالنا ، ونصرنا كم بأنفسنا ، لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي (١)

جزى الله عنا جفرا حين أزلتِ ✽ بنا نعلنا في الواطئين فزلتِ (٢)
أبو أنت يملونا ولو أن أمنا ✽ تلاقى الذي يلقون منا الملتِ (٣)
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ✽ ظلال بيوت أدفات وأظلتِ
فقر من كدهم رضى الله عنه :

— صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

— الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله .

— ليست مع الغزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة .

— ثلاث من كن فيه كن عليه : البنى ، والنكت ، والمكر .

— إن الله قرن وعده بوعيده ، ليكون العبد راغبا وراهما .

رثاء أبي بكر

ولما توفى رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره فقالت : نصر الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدين مذكرا بادبارك عنها ؛ وللاخرة موعزا باقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعيد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضي بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قنت بأمر الدين لما وهى شعبه (٤)

(١) شاعر جاهل من الشجعان كان من أوصف الشعراء للخيل طائر النابغة الجعدي .
وزهير بن أبى سلمى ومات نحو سنة ١٢ ق هـ (٢) زلت : سقطت (٣) هذا البيت غاية الغايات في وصف المواساة والبر الموصول (٤) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح « شت شعب الحمى بعد الشتاء »

وَتَقَامُ صَدْعُهُ ^(١) وَرَجَفَتْ جَوَانِبُهُ ^(٢) ، فَطَلَبَ سَلَامُ اللَّهِ تَوَدُّعَ غَيْرِ قَالِيَةِ لِحْيَاتِكَ ، وَلَا زَارِيَةٍ عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِبَلَالٍ لَمَّا قُتِلَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَقَدْ كَانَ يَسُومُهُ سُوءُ الْعَذَابِ بِمَكَّةَ فَيُخْرِجُهُ إِلَى الرَّمْضَاءِ ^(٤) فَيَلْقَى عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لِيَفَارِقَ دِينَ الْإِسْلَامِ ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ

هَنِيئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا ☆ قَدْ أَدْرَكَتْ ثَارَكَ يَا بَلَالُ
فَلَا نِكَسًا وَجَدْتَ وَلَا جِيَانًا ☆ غَدَاةَ تَنْوُشِكَ الْأَسْلُ الطَّوَالَ ^(٥)
إِذَا هَابَ الرِّجَالُ ثَبَتَ حَتَّى ☆ تَخَالَطَ أَنْتَ مَا هَابَ الرِّجَالُ
عَلَى مَضَضِ الْكُلُومِ بِمَشْرِفِي ☆ جَلَا أَطْرَافَ مَتْنِيهِ الصَّقَالِ ^(٦)

عمر بن الخطاب

وَكُتِبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ : أَمَا بَعْدَ فَانَّهُ مِنْ
اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَ لَهُ زَادَهُ وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ ،
فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ ، وَجَلَاءَ بَصْرِكَ ، فَانَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، وَلَا أَجْرَ
لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا حَقَّقَ لَهُ

وَدَخَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُشْغُولٌ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
أَنَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ! فَقَالَ : مَا أَعْرَفَنِي بِكَ ! آمَنْتَ إِذْ كَفَرُوا ، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا ،
وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا ، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا !

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : قَالَ الْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ ، الْحَلِيمُ حِينَ يُسْتَجْعَلُ ،

(١) تقام صدعه : اتسع كسره ، والصدع في الأصل كسر الزجاجة

(٢) رجفت : اضطربت (٣) زارية : غائبة (٤) الرمضاء : هي الحجارة التي اشتد

عليها وقع الشمس فحمت ، قال الشاعر

الاستجير بعمر عند كربته كالاستجير من الرمضاء بالنار

(٥) التمسك : الرذل ، والأسل : الرماح (٦) الكلوم : الجروح ، والمشرقي : السيف

الكريم المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوره . وقال رضى الله عنه :
— ما كانت الدنيا همّ رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك
غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفذ أوله ، وأمل لا يبلغ منتهاه
فصول قصار من كلام رضى الله عنه :

- من كتم سره كان الخيلار فى يده .
- أشقى الولاء من شقيت به رعيته .
- أعقل الناس أعذرهم للناس .
- ما الحمر صِرْفاً ^(١) بأذهب لعقول الرجال من الطمع .
- لا يكن جبك كَلَفًا ، ولا بنضك تَلَفًا .
- مرّ ذوى القربايات أن يتزاوروا ، ولا يتجاوروا .
- قلما أدبر شئ فاقبل .
- أشكو إلى الله ضعف الأمين ، وخيانة القوى .
- تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن تُرزقون .
- لو أن الشكر والصبر بغير ما باليت أيهما أركب .
- من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .
- وقال معاوية بن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب .
فقال : كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قَبُولًا للعذر ، سهل
الحجاب ، مصون الباب ، متحررا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ،
ولا جاف للثريب

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج فلما كان بضجّنان ^(٢) قال
لا إله إلا الله العلى العظيم ، المعطى من شاء ما شاء ، كنت بهذا الوادى فى مدرّعة

(١) الحمر الصرف : الخالصة (٢) ضجّنان : جبل قرب مكة

صوف أرعى إبل الخطاب ، وكان فقطاً يتعبنى اذا عملت ، ويضرني إذا قصرت
وقد أمسيت الليلة ليس بيني وبين الله أحد ، ثم تمثل

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الآم ويؤدي المال والولد^(١)
لم تُن عن هرْمَزٍ يوماً خزانته * وانخلد فد حاولت عاذ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له * والجن والانس فيما بينها ترُدُّ
أين الملوك التي كانت نوافلها * من كل أوب إليها وافد يقدُّ^(٢)
حوض هنالك مورودٌ بلا كذب * لا بد من ورده يوماً كما وردوا
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله أظهر دينه * على كل دين قبل ذلك حائد^(٣)
وأسلمه من أهل مكة بعدما * نداعوا إلى أمر من النقي فأسد
غداة أجال الخليل في عرصاتها * مسومة بين الزير وخالد^(٤)
فأسى رسول الله قد عز نصره * وأمسى عداء من قاتل وشارد
يريد الزير بن العوام^(٥) حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد بن الوليد .
سيف الله تعالى في الأرض^(٦)

بكاء عمر

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المخيرة بن شعبة ، قالت عائكة بنت زيد بن عمرو
ابن نفيل زوجته تربيته

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبٍ * لَا تَمَلِّي عَلَى الْأَمِينِ النَّجِيبِ

(١) يودي : يذهب (٢) الأوب : الجهة (٣) حائد : مائل (٤) مسومة : وضعت
عليها العلامات (٥) الزير بن العوام أحد المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه في
الاسلام ، كان طويلاً جداً اذا ركب تحط رجلاه الارض . توفي سنة ٢٦
(٦) توفي خالد بن الوليد سنة ٢١

فجعتني المنون بالفارس المذ * لم يوم الهياج والتشويب ^(١)
 عصمة الناس والمعين على الله * ر وغيث المحروم والمحروب ^(٢)
 قل لأهل الضراء والبؤس موتوا * قدسقته المنون كأس شعوب ^(٣)
 وقالت أيضاً ترثيه :

وفجعتني فيروز لادر دره * بأبيض تال للكتاب منيب
 رؤوفي على الأذن غليظ على العدى * أخى ثقة في الثائبات نجيب
 متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع إلى الخيرات غير قطوب

عاتكة بنت زيد

وعاتكة هذه هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي
 صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهم في
 غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير
 ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحب الشهادة الحاضرة
 فليتزوج بعاتكة

عثمان بن عفان

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه
 — ما يزعم الله بالسلطان أكثر مما يزعم بالقرآن ^(١)
 — سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عي بيانا ؛ وأنتم إلى إمام فعال ، أخرج
 منكم إلى إمام قوأل : قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرجع عليه ^(٢)
 وكتب إلى علي رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد فقد بلغ السيل الزبى
 (١) الفارس المعلم هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب ، والتشويب : اللعاب
 (٢) المحروب : السلوب (٣) شعوب : هي المنية ، لأنها تشعب العمل وتبدده
 (٤) يزعم : يزجر ويردع (٥) أرتج عليه باب الكلام باغلاق

وتجاوز الحزام الطيبين^(١) وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يُعجزك كلثيم ، ولم يغلبك كغلب^(٢) فأقبل الى ، معي كنت أو على ، على أي أمريك أُحييت فان كنت ما كولا فكن أنت آكلتي * وإلا فأدركني ولا أمزق وهذا البيت للمزق العبدى ، وبه سمى المزق واسمه شأس ، وإنما مثل به عثمان رضى الله عنه . وحذاق أهل النظر يدفون هذا ويستشهدون على فسادها بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها .

قالوا وكان عثمان رضى الله عنه أتى الله أن يسعى في أمره على ، وعلى أتى الله أن يسعى في أمرهم عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتل نبي أو قتل نبيا

وقد ذكر بعض أهل العلم انه لا يعرف لعثمان شعر ، وأشد له بعضهم غنى النفس بغنى النفس حتى يكفها * وان عضها حتى يضر بها الفقر وما عسرة فاصبر لها إن تنابست * بباقية إلا سيبتعها يسر وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى (ولم يغلبك كغلب) من قول امرئ القيس فانك لم يفخر عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب وقال أبو تمام وذکر الحمر :

ضعيفة فإذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

على بن أبى طالب

ومن كلام على بن أبى طالب قوله رضى الله عنه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل

(١) الزبى : جمع زبية وهى الراية لا يملوها ماء ، وبلوغ السيل الزبى كناية عن اشتداد الأمر — الطيى : بالضم والكسر حلمات الضرع وبلوغ الحزام الطيبين كناية أيضاً عن الشدة (٢) مغلب : غلب كثيراً . ولم يغلبك كغلب : يستعمل فى الممدح والمذموم ،

فيها بعمل الراغبين ، إن أُعطيَ منها لم يشبع ؛ وإن مُنع لم يقنع ، يصجز عن شكر ما أُوتى ، ويتنقى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا يفتهى ، ويأمر بما لا يأتي ، يجب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ، ويفض المسكين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادماً ، وإن صحَّ أمنَ لاهياً ، يُجيب نفسه إذا عُوِي ، ويقنط إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يظلمها على ما يستيقن ، ولا يثق من الرزق بما ضُنُّ له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه أن استغنى بطِرَ وفُتِنَ ، وإن افتقر قنطَ وحزِنَ ، فهو من الذنب والنعمة موقر^(١) .

يتنقى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموت ، ولا يبادر القوت ، يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثره من نفسه ؛ ويستكثر من طاعته ، ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الاغنياء ، أحب إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يوفى

وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل مبادراً ، ثم خرج في حذاء ورداء ، وهو يتبسّم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت إذا سئلت عن مسألة كنت فيها كالسكة المحماة^(٢) فقال إني كنت حاقفاً ولا رأى لحاقن^(٣) ثم أنشأ يقول :

إذا المشكلات تصدّين لى * كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت في مخيل الصوا * ب عيما ، لا يحتليها الذكر^(٤)
مقنعةً بأمور النيوب * وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشفتقة الأرحى * أو كالحسام اليماني الذكر^(٥)

(١) موقر : مثقل (٢) السكة : الحديد (٣) الحاقن : هو الذي احتبس بوله .

(٤) مخيل : مظلون ، وهو السحاب تخله ماطرا لرعده وبرقه

(٥) الارحى : الجمل ، وشققته : هديره

وقلباً اذا استنطقته الغيوب * أمر عليها بواحي الدرر

ولست يأمعة في الرجال * أسائل عن ذا واما الخبر^(١)

ولكنني ذرب الأصغرين * أين مع ماضى ما غير^(٢)

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الصَّدَّائِي يا ضرار، صف لي علياً، فقال :
أعفى يا أمير المؤمنين ، قال لتصفه ، فقال ، أما إذ أذنت فلا بد من صفته : كان
والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً^(٣) ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من
جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس
بالليل وظلمته ، كان والله غزير المعمة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه
يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يحيننا
إذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن مع تربيته إيانا ، وقرية منا ، لانكاد
نكلمه لهيته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع
القوى في باطله ، ولا يئأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه
وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه ، قابضاً على لحيته ،
يتعلم تلمل السليم ،^(٤) ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عنى ! غرى
غيرى ، إلى تعرضت ، أم إلى تشوقت ، هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك ،
فصرأقصير ، وخطرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ،
ووحشة الطريق !

فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته ، وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان
كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح وأطعها في حجرها !
وقال على رضوان الله عليه : رحم الله عبداً سمع فوعى ، ودعى إلى الرشاد

(١) الامعة : الرجل الذى لا خطر له (٢) ذرب الأصغرين : حديد القلب واللسان

(٣) القول الفصل : هو الحق (٤) السليم : المدهوع ، سمي بذلك تفاؤلاً

فدنا، وأخذ بحُجْزَة هادٍ فنجأ^(١)، وراقب ربه، وخاف ذنبه، وقدم خالصا، وعمل صالحا، واكتسب مذكورا، واجتنب محذورا، ورعى غرضا، وأصاب عوضا، وكابر هواه، وكذب مناه، وحذر أجلا، ودأب عملا، وجعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتم، ويكتفى بأقل مما يعلم، لزم الطريقة النراء، والمحجة البيضاء، واغتنم المهل، وبادر الأجل، وتزود من العمل، ولما رجع رضى الله عنه من صيفين دخل أوائل الكوفة فإذا قبر، فقال قبر من هذا؟ فقيل خباب بن الارت^(٢) فوقف عليه وقال: رحم الله خبابا! أسلم راغبا، وهاجر طامعا، وعاش مجاهدا، وابتلّى في جسده أحوالا، ولن يضع الله أجر من أحسن عملا.

ومضى فإذا هو بقبور فوقف عليها وقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المفقرة، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع، وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم بشفوك! طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف ورضى عن الله!

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى

وذم رجل الدنيا بحضرة على رضى الله عنه فقال: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مهبط وحى الله، ومصلّى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتمجر أوليائه، ربجوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا ينمها، وقد آذنت يبينها، ونادت بفرأها، وذكرت بسرورها السرور، وبلائها البلاء، ترغيبا وترهيبا، فيا أيها اللام لها، الملل نفسه

(١) الحجة: الحزن، وأخذ بحجة فلان: استظهره واستعان به (٢) خباب بن الارت صحابي جليل استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصر إلى أن كانت الهجرة. توفي سنة ٢٧

بفرورها ؟ متى خدعتك الدنيا ، أم بماذا استنمت اليك ^(١) أبصر ع آياتك في
البلى ؟ أم بضجع أمهاتك في الثرى ؟ كم مرّضت بكفيك ، وكم علّلت يديك ،
تطلب له الشفاء ، وتستوصف الأطباء ، غدا لا ينفعه بكاؤك ولا ينفي دواؤك
ففر من كلامه رضى الله عنه :

— رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ^(٢)

— الناس أعداء ما جهلوا .

— بقية عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات ، ويحي بها ما أمانت .

نقل هذا الكلام بعض أهل العصر وهو أبو الفتح علي بن محمد البستي ^(٣)

بقية العمر عندى ما لما تمن ☆ وان غدا وهو محبوب من الثمن

يستدرك المرء فيهما ما أفات ويحي ما أمانت ويحول السوء بالحسن

— الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال .

— لا تخافن الا ذنبك ، ولا ترجون الا ربك .

— وجهوا آمالكم ، إلى من تحبه قلوبكم .

— الناس من خوف القل في ذل .

— من أيقن بالخلف ، جاد بالعطية .

— بقية السيف أسمى عدداً وأنجب ولداً (وقد تبينت صحة ما قال في بنيه وبني .

المهلب)

— إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

(١) استنمت اليك : فعلت ما تنمها عليه (٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين

(٣) علي بن محمد — ويقال ابن احمد كما ذكر ياقوت في معجم البلدان — شاعر
كاتب مات في بخارى سنة ٤٠٠ هـ وفي أبي الفتح البستي يقول عمران بن موسى :
لإنا قيل أى الأرض في الناس زينة أجينا وقلنا ابهج الأرض بستها
فلو اتى أدركت يوما عييدها لزمت يد البستي حرا وبستها .

— الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا يفتو^(١) .

— خير المال ما أغناك ، وخير منه ما كفأك ، وخير اخوانك من واساك ،
وخير منه من كفأك شره

وقال بعض أهل العصر ما يشاء كل هذا وهو أبو الحسن محمد بن لنكك البصري
عَدَيَا فِي زَمَانِنَا ✽ عَنْ حَدِيثِ الْمَكَارِمِ
مَنْ كَتَبَ النَّاسَ شَرُّهُ ☆ فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ
أبو الطيب

إنالني زمن ترك القبيح به ✽ من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
— إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .
— قيمة كل امرئ ما يحسن .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال :
فلولم تغف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،
ومجزئة مغنية ، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن النفاية ، وأفضل
الكلام ما كان قليلاً يفنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكأن الله
قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ،
وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً
من الاستكراه ، منزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف ، صانع في القلوب
صنيع الفيت في التربة الكريمة . ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ،
وتفنت من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ومنحها من التأيد ،
مالاً لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبارة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول
الجهلة^(٢) . *

(١) الكبوة : السقطة ، والنبوة : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،
ولكل سيف نبوة .

(٢) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة « قيمة كل امرئ ما يحسن » ،
ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب

ومن دعائه رضى الله عنه في حروبه : اللهم أنت أَرْضى للَرْضَى ، وأسخط للَسْخَطِ ، وأقدر على أن تغير ما كرهت ، وأعلم بما تقدر ، لا تغلب على باطل ، ولا تعجز عن حق ، وما أنت بغافل عما يعمل الظالمون .

وقال على رضى الله عنه

لَمَنْ رَايَهُ سُدَاهُ يَخْفَى ظِلُّهَا * إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُصِينُ قَدَّمَا
فِي وَرْدِهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى تَرُدَّهَا * بِحِيَاضِ الْمَنَآيَا تَقَطُّرُ الْمَوْتَ وَالنَّمَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمًا قَاتَلُوا فِي لِقَائِهِمْ * لَدَى الرَّوْعِ قَوْمًا مَا أَعَزَّ وَأَكْرَمَا
وَأَطْيَبَ أَخْبَارًا وَأَفْضَلَ شِمَةً * إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَعْمَغُمَا ^(١)
حَصِينُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ أَبُو سَالِسَانَ الْحَصِينِ بْنِ الْمُنْدَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ
الرَّقَاشِيَّ وَكَانَ صَاحِبَ رَايَتِهِ يَوْمَ صَفِينِ

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها
أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ * وَصَاحِبَهَا حَتَّى الْمَاتِ عِلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فِرْقَةٌ * وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنْ افْتَقَدَا فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدِ * دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلُ
وَلَمَّا قُتِلَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِود سَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ^(٢) فَتَنَحَّى عَنْهُ وَقَالَ
آلِي ابْنِ عَبْدِ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةً * وَحَلَفْتُ فَاسْتَمِعُوا مِنَ الْكَذَّابِ ^(٣)
أَلَا يَفِرُّ وَلَا يَمْلَأُ فَالْتَقَى * أَسْدَانٌ يَضْطَرُّ بِأَنْ كُلِّ ضَرَابِ ^(٤)
الْيَوْمِ يَمْنَعُنِي الْفِرَارُ حَفِيفَتِي * وَمُصَمَّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِ ^(٥)

(١) التعمغ : الصوت عند القتال

(٢) عمرو بن عبد ود فارس قرش وشجاعا في الاسلام قتله على سنة هـ للهجرة .
(٣) آلى : أقسم ، والألية : اليمين (٤) يملأ : يتقلب ، والضراب : المطاردة .
(٥) الحفيظة : الحمية والنضب عند حفظ الحرمه — والمصمم : السيف لا ينبو .

أعرضت حين رأيته متقطراً * كالجذع بين دكاك^(١) وروابي^(٢)
وعفت عن أثوابه ولو أني * كنت المقطر بزى أثوابي^(٣)
نصر الحجارة من سفاهة رأيه * ونصرت دين محمد بصواب^(٤)
لاتحسب^(٥) الله خاذل دينه * ونبيه يا معشر الأحزاب
في آيات غير هذه ، وبعض الرواة ينفيا عن علي رضي الله عنه

عمرو بن عبد ود

وعمر وهذا هو ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ،
وكان قد جَزَعَ المزد ، وهو موضع خرفيه الخندق يوم الأحزاب ، وفي ذلك
يقول الشاعر :

عمرو بن ود^(١) كان أول فارس * جزع المزد وكان فارس يليل^(٢)
ولما صار مع المسلمين في الخندق دعا البراز وقال :

ولقد بحثت من النداء * بجميعهم هل من مُبارز^(٣)
ووقت إذ نكل الشجا * عموق البطل المناجز^(٤)
إني كذلك لم أزل * متسرعا نحو المهازز^(٥)
ان الساحة والشجا * عة في الفتى خير الفرائز^(٦)

فبرز علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا عمرو انك عاهدت الله.
لتريش أن لا يدعوك أحد الى خلتين إلا أخذت إحداها ، فقال : أجل ا قال فاني.
أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام ، قال ، لاحاجة لي بذلك ، قال فاني أدعوك.

(١) متقطر : صريع ، والدكاك : جمع دكاك وهو الرمل المتبد بالارض.
(٢) بز : سلب (٣) نصر الحجارة كناية عن عبادة الأوثان (٤) جزع :
المزاد : اجتازه (٥) مج صوته : ضعف من كثرة النداء (٦) نكل نكص ،
والمناجز : المبادر إلى القتال (٧) المهازز : الشدائد والحروب لأنها تهز الرجال.
(٨) الفرائز : الطباع ، واحدا غريزة .

الى المبارزة ، فقال يا ابن أخى ما أحب أن أقتلك ! قال على لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحسى عمرو فاقصم عن فرسه وعرقبه ^(١) ثم أقبل إلى على فتجاوزا كنهاتين تكنتت * متنبها ربحاصبا وشمال ^(٢) فى موقف كادت نفوس كُمانه * تُبترز قبل تورُد الآجال ^(٣) وعلت بينهما غيرة سترتهما فلم يُرع المسلمين إلا التكبير ، فعلموا أن علياً قتله . ولما قُتل عمرو جاءت أخته فقالت : من قتله ؟ فقيل على بن أبى طالب فقالت : كفى كريم ! ثم انصرفت وهى تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكى عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يُعابُ به * وكان يدعى قديماً بيضة البلد
من هاشم فى ذراها وهى صاعدة * إلى السماء تُميت الناس بالحسد
قوم أبى الله إلا أن يكون لهم * مكارم الدين والدنيا بلا أمد
يا أم كلثوم ابكىه ولا تدعى * بكاء موعلة حرى على ولد
أم كلثوم بنت عمرو بن عبد ود .

بيضة البلد

وبيضة البلد تمدح به العرب وتتم ، فمن مدح به جعله أصلاً ، كما أن البيضة أصل الطائر ، ومن ذم به أراد أن لا أصل له . قال الراعى يهجو عدى بن الرقاع العاملى ^(٤)

يامن توعدنى جهلا . بكثرت * متى تهدنى بالعر والعَدَد
أنت امرؤ نال من عرضى وعزته * كعزة العير يرعى تلمعة الأسد ^(٥)

(١) عرقبه : قطع عرقوبه (٢) تجاوزا : تصاولا (٣) الكاة : جمع كى وهو الشجاع

(٤) عدى بن الرقاع شاعر كبير كان مقدما عند بنى أمية . توفي سنة ٩٥

(٥) العير : الحمار ، وتلمعة الأسد : الراية التى يحمىها ، وليس بالحمار غزة فى تلمعة الأسد ، وإنما هو مثال الحوان !

لو كنت من أحديهم جى هجوتكم * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاة أن ترضى لكم نسباً * وإبنا نزار فأنتم بيضة البلدر

هو ان قبيلة عاملة

وقال أبو عبيدة: عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن زياد بن يشجب
يطعن في نسبه من قحطان . وقال هو عاملة بن معاوية بن قاسط بن أهيب فلذلك
قال الراعى هذا ويقال إن جنبل بن الراعى قالها . وقد قال يحيى بن أبى حفصة
الاموى في عاملة:

ولسنا نبالى نأى عاملة التى * أجذبها من نحو بصرى انحدرها
تدافعها الأحياء حتى كأنها * ثياب بدا للشترين عوارها
قلدنا بها لما نأت قنف حاذف * بسود حصى خفت عليه صفارها
ويشبه قول على رضي الله عنه (وعفت عن أتوابه) قول عنترة بن
شداد العبسى :

هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك * ان كنت جاهلة بما لم تعطى
ينجبرك من شهد الواقعة أنى * أغشى الوغى وأعف عند المغم
وقال حبيب بن أوس الطائى
إن الاسود أسود الثاب ممتها * يوم الكريهة فى المساويب لا السلب^(١)

كلام الصحابة والتابعين

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ما جردته ، من كلام سيد
الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار
الطيبين ، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كل كلام ، لتقدمهم على

(١) السلب : الغنيمة . ويجمع على أسلاب

الخلق ، وأخذهم بقصب السبق^(١) ، وهم كما قال بعض المتكلمين ، يصف قوماً من الزهاد الواعظين : جَلَوْا بكلامهم الأَبصار العلية ، وشحنوا بمواعظهم الأذهان الكلية ، ونهبوا القلوب من رقدتها ، وتقلوها عن سوء عاداتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغبوا الغفلة ، وداووا من العي الفاضح ، ونهبوا لنا الطريق الواضح ، وآثرت أن أُلحق بعد ذلك جملة من سليم كلام الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في درج كلامهم ، وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التفت عليه ، والتفت إليه ، وتعلق بأغصانه ، وتشبث بأفئانه ، كما تقدم ، وأخرج إلى صفات البلاغات وأخذ بعد ذلك في نظم عقود الآداب ، ورقم برود الآليات من كل معنى يكاد الميث يفهمه * حسناً ويسعد القرطاس والقلم

آثار معاوية

قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم ، فإذا ذُكِرَ ذُكِرَ ؛ وإذا أَسَاءَ استغفر ، وإذا وعد أنجز .
وصف معاوية الوليد بن عُقبة^(٢) فقال : انه لبعيد الغور ، ساكن القور^(٣) وإن العود من لحائه^(٤) والولد من آبائه ، والله انه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل فحل لا يقرف^(٥)

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأرجف به مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق كناية عن الفوز
(٢) الوليد بن عقبة شاعر شجاع توفي سنة ٦١ (٣) الغور : القعر من كل شيء ، وبعد الغور كناية عن أصالة الرأي وعمق التفكير — الغور : الغضب ، ويقال : فلان نار ثورته ، وقار فائره ، إذا اشتد غضبه . وبنو فلان غفور علينا قدرهم ، قال الشاعر :
غفور علينا قدرهم فندمها ونفتوها عنا إذا حتمها غلا
وسكون الغور : كناية عن الحلم (٤) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله) أى قشره ، وإذا قشر الانسان هلك ! (٥) لا يقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعر ، يريد انه قوى متين لا تقربه الأدوية

ذلك ، ثم تناول وهم في إرجانهم^(١) فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه :
« إنه يجمع مرقاً من مرقا العراق^(٢) فيرجفون بأمر المؤمنين ، وقد حملته إليهم يرى
رأيه فيه » قدم مصقلة وجلس معاوية للناس ، فلما دخل عليه قال : ادن مني !
فدنا منه فأخذه بيده فجذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية

أتى الحوادث من خلية * لك مثل جندلة المراجع^(٣)

صليبا اذا خار الرجا * ل ابل تمتنع الشكائم^(٤)

قد رامي الاعداء قب * لك فامتنت عن المظالم

قال مصقلة يا أمير المؤمنين : قد أتى الله منك ما هو أعظم من ذلك حلماً
وكلاً ومرعى لأوليائك ، وسما ناقلاً عدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد
المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ، وأنت أمير المؤمنين ! وقام فوصله معاوية
وأذن له في الانصراف الى الكوفة . فقيل له كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمتم
أنه لما به^(٥) والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني ، وجذبنى جذبة كاد يكسر
عضواً مني !

الأحنف بن قيس

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ودخل معه النمر
ابن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية^(٦) وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة ،

(١) الارجاف : الخوض في أخبار التفتن . ومنه (والمرجفون في المدينة) —

(٢) مرقا : جمع مارق وهو الخارج على الجماعة

(٣) الجندلة : الصخرة — والمراجع : المناضل (٤) خار : ضعف — والابل :

الأنلد الجدل — والشكائم : جمع شكيمة وهي الحديد الممتد في فم الفرس ، وفلان
شديد الشكيمة : أنه لا ينقاد (٥) زعمتم أنه لما به : يريد زعمتم أنه ضعف لما

به من السقم (٦) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

خلها مثلاً بين يدي معاوية اقتحمتها عينه ^(١) فقال النمر : يا أمير المؤمنين ! إن العباد لا تكلمك ، وإنا يكلمك من فيها ! فأوماً إليه فجلس . ثم أقبل على الأحنف فقال : ثم مه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من الحول ^(٢) واتصال من الذحول ^(٣) فلكثر فيها قد أطرق ، والمقل قد أملق ^(٤) ، وبلغ منه الخنق ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ، ويجبر الكسير ، ويسهل العسير ، ويصنع عن النحول ، ويداوى الحول ، ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء ، ويزيل اللاؤاء ^(٥) وإن السيد من يم ولا يخص ومن يدعو الجفلى ، ولا يدعو النقرى ^(٦) ، إن أحسن إليه شكر ، وأن أسىء إليه غفر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عماداً يرفع عنهم الملأ ، ويكشف عنهم المضلات . فقال له معاوية : ههنا يا أبا بحر ! ثم تلا (ولتعرفنهم في لحن القول)

ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني قال : وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله ومعهم زياد وفيهم الأحنف فقال زياد : يا أمير المؤمنين أشخصت إليك أقواماً للرغبة ، وأقعد عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ، ما يجبر به المتخلف ، ويكافأ به الشاخص ، فقال معاوية مرحباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم الرحم ، إن الله اختاركم من الناس ، ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم ، بأن تحبوا لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل حتى صفاكم من الآثم كما تُصفى الفضة البيضاء من خبثها ، فصنوا أخلاقكم ، ولا تمدنوا أنسابكم ، وأعراضكم ، فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه والقيح منكم

(١) اقتحم : احتقر (٢) الحول : جمع محل وهو الضيق (٣) النحول : جمع خحل وهو التآثر

(٤) أملق من الإملاق وهو الفقر (٥) اللاؤاء : الشدة (٦) يدعو الجفلى يدعو الجماعة ، والنقرى دعوة الفرد . قال طرفة

نحن في اللاؤاء ندعو الجفلى لا ترى الآثم منا ينقر

أُفِجْ لبعْدكم عنه ! فقال الأُخف : والله يا أمير المؤمنين ما نعلم منكم نائلاً جزيلاً^(١) ورأياً أصيلاً ، ووعداً جيلاً ، وأن أخاك زيادا لم يتبع آثارك فينا ، فنسْتَمِيعُ الله بالأمير والمأمور ، فانكم كما قال زهير ، فانه ألقى على المداحين فصول القول :

وما يكُ من خيرِ أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبلُ
وهل ينبت الخطي إلا وشيخهُ * وتُفرس إلا في منابتها النخل^(٢)

شعر زهير

وعُذنان البيتان زهير ابن أبي سُلمى المزني في قصيدة يقول فيها

وفيهم مقامات حسان وجوهها * وأندية يفتابها القول والفعل
على مكثريهم رزقُ من يعترهم * وعند المقلين السباحة والبذل
سعى بعدم قوم لكي يدركوهم * فلم يفعلوا ولم يُفعلوا ولم يألوا^(٣)

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله ولم يألوا ، لأنه لما ذكر السعي بعدم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ، فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصرين ، وأنهم مع الاجتهاد في المتأخرين ، ثم لم يرض بأن يجعل مجدهم طارفا فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائر الأبناء ، ثم لم يرض أن يكون في الآباء ، حتى جعله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنشور ، دون الموزون ، لما كان له هذا الاقتدار ، مع هذا الاختصار

وكانت قريش معجبة بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا قد

(١) في الأصل « قاتلاً خزيلاً » وأرجح انه تحريف (٢) الخطي : نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب اليه الرماح لأنها تناع به لأنه منبتها — والوشيخ : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد.
فجعلوا ابن أبي سلمى نهاية في التجويد ، كما ترى . وذكر أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يعاقل بين الكلام^(١)
ولا يتبع حوشية ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال
وأخذ معنى قول زهير « سعى بعدم قوم لكي يدركهم » طريح بن اسماعيل.
التقي^(٢) فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السجاح

قد طلب الناس ما بلغت ولم ☆ يألوا فما قاربوا وقد جهدوا^(٣)
فهم ملوك ما لو يروك فان ☆ لاح لهم منك بارق سجدوا
تعروهم رعدة لديك كما ☆ قرقف تحت الدجنة الصرد^(٤)
لا خوف ظلم ولا قلى خلق ☆ لكن جلالاً كساكه الصمد^(٥)
ما يبيك الله للنام فما ☆ يفقد من العالين مفتقد^(٦)
وقال معاوية رحمه الله : المروءة احتمال الجريرة^(٧) وإصلاح أمر العشيعة .
والنبل الحلم عند الغضب ، والغفوة عند المقدرة

فقر من كدم رضى الله عنه

- ما رأيت تبذيراً قط إلا وإلى جنبه حق مضيع .
- أقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .
- أولى الناس بالغوا أقدرهم على العقوبة .
- التسلط على المالك من لؤم المقدرة وسوء الملكة .

(١) يعاقل : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفصل » وهو تحريف (٢) جهدوا : تعبوا

(٣) شاعر محيد توفي نحو سنة ١٧٠

(٤) قرقف على صيغة المفعول : أرعد — والدجنة : الظلمة — والصرد : الذي
يشكو قسوة البرد (٥) القلى : البيض (٦) ما في هذا البيت شرطية (٧) الجريرة :
الجنابة ، واحتمال الجريرة كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته

وقال يحيى بن خالد : ما حَسَنَ أدبُ رجلٍ إلا ساءَ أدبُ غلمانه (١)
وقال معاوية . إصلاح مافي يدك أسلم من طَلَب مافي أيدي الناس
— غضيبي على من أملك ، وما غضيبي على من لا أملك ؟

التهنئة والتعزية

ولما توفي معاوية رحمه الله واستُخلف يزيد ابنه ، اجتمع الناس على بابه ،
ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولي فدخل
عليه فقال :

يا أمير المؤمنين آجرك الله على الرزية ، وبارك لك في العطية ، وأعانك على
الرعية ، فلقد رُزئت عظيمًا ، وأُعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أُعطيت ، واصبر
له على ما رُزيت ، فقد فقدت خليفة الله ، ومنعت خلافة الله ، فقارقت جليلا ،
ووهبت جزيلا ، إذ قضى معاوية نحبّه ، فغفر الله ذنبه ، ووُلّيت الرياسة ، فأُعطيت
السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ، ووفّقك لصالح الأمور ، وأنشد

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذامَةً * واشكر جِباءَ الذي بالملك أصفاك (٢)
لا رُزءَ أصبح في الأقوام نعلهُ * كما رُزئت ولا عقي كعقباك
أصبحت وإلى أمر الناس كلهم * فأنت ترعاهمُ والله يرعاك
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ * إذا نُعيت ولا نسمع بمنعاك (٣)
يريد أبا ليلى معاوية بن يزيد ، ولى بعد أبيه شهورا ثم انحلخ عن الأمر ،
فقال القائل :

« والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا »

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإن كان الغرض ذكر
فقر من كلام معاوية

(٢) الجباء : العطاء (٣) لا) حرف دعاء ولذلك جزم بها الفعل الحاقا بلا الناهية

وأول من فتح الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام فوجله الناس ، ومن جيد ما قيل في ذلك قصيدة أبي تمام الطائي يمدح الواثق ويرثي المعتصم يقول فيها

ان أصبحت هضبات قدس أزاهل * قدرته فآزالت هضاب شمام^(١)
أو يفتقد ذوالنون في الهيجا فقد * دفع الآله لنا عن الصمصام
أو كنت منا غارباً غدواً فقد * رُحنا بأسمى غارب وسينام^(٢)
تلك الرزية لا رزية مثلها * والقسم ليس كسائر الأقسام^(٣)
وهذا المعنى كثير

فتن الحياة

وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر في آخر عمره ، فنظر يوماً إلى جارية في داره ذات خلق رائع ، فدعاها فوجلها بكراً فافترعها وأنشأ يقول :

سُئمتُ غوايتي فأرحتُ حلي * وفيّ على تحملي اعتراضُ
على أنى أجيب إذا دعيتُ * ذواتُ الدل والحلق المراضُ

كلمات مأثورة

ففر الجماعة الصمامة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة فلا تردوا صدقته^(٤)
— لكل داخل هيبة فابدأوا بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فابدأوا باليمين
ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها هموم فما كان منها في سرور فهو ربح
عمرو بن العاص : من كثر إخوانه كثر غرماؤه
وقال : أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار
المغيرة بن شعبة : العيش في بقاء الحشمة وفي كل شيء سرف إلا في المعروف

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) انقسم : التصيب

(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه

هذا كقول الحسن ابن سهل ^(١) وقد أُنق في دخول ابنته بوران على المأمون.
أموالا عظيمة ، وقيل له : لاخير في السرف ، قال : لا سرف في الخير . فردا للفظ
واستوفى المعنى

مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : الدِّينُ هَلُمَّ الدِّينُ
زياد : ارض من أخيك إذا وُلِّيَ ولايةً بغير رده قبلها
مصعب ابن الزبير ^(٢) : التواضع من مَصَانِدِ الشرف
الأحنف بن قيس : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات !
— وقيل له : من السيد ؟ قال : الذي إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .
— وله : سَرَّكَ مِنْ نَعْمِكَ
— وله : من تسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون
— وله : الكامل من عُدَّتْ هَفَوَاتُهُ
وقال يزيد بن محمد المهلبى ^(٣)
ومن ذا الذى تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كفى المرءُ نُبَلًّا أن تعد معايبه
الحسن البصرى : ألا تستحيون من طول مالا تستحيون !
— ابن آدم راحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة
— ما أنصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ماله
— بدن لا يشتكى مثل مال لا يُزَكَّى
— ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمُعْرِقٍ فى الموتى
قال الطائى :

تأمل رويداً هل تُعَدَّنْ سالماً * إلى آخر أم هل تُعَدُّ ابنَ سالمٍ

(١) كان وزير المأمون ومن أعلام زمانه توفى سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بمرض
السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير وله مواقف معروفة في التاريخ توفى سنة ٧١
(٣) كان يزيد بن محمد شاعر التوكل وقد رثاه بعد وفاته بأربع رثاه . توفى ببغداد سنة ٢٥٩

وقال أبو نواس :

وما الناس إلا هالكٌ وابن هالكٍ * وذو نسبٍ في المالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت * له عن عدوٍّ في ثياب صديق
وكان المأمون يقول : لو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت هذا البيت ، وهو

مأخوذ من قول مزاحم العقيلي

قضين الهوى ثم ارتعين قلوبنا * بأسهم أعداء وهنّ صديق
عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى ؟
— لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر
الشعي : إني لأستحي من الحق إذا عرفته أن لأرجع إليه

اهل البيت

قطعة من كلام لبيى على بن أبى طالب أهل البيت رضى الله عنهم . ولهم
كلام يُعرض في حُكى البيان ، وينقش في فص الزمان ، ويحفظ على وجه الدهر
ويضخ فلائد الدر ، ويخجل نور الشمس والبدر ، ولم لا يطوون ذُيول البلاغة ،
ويجروون فُضول البراعة ، وأبوم الرسول ، وأمهم البتول ^(١) وكلهم قد غدّى بدرّ
الحكم ^(٢) وربّي في حجر العلم

مامهمُ إلا مردّى بالحجى * أو مبشّر بالأخوذية مؤدّم ^(٣)
آخر :

نمته الرانين من هاشم * الى النسب الأصرح الأوضح ^(٤)

(١) البتول : لقب لريم عليها السلام لانها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء ، ثم
قيل لفاطمة البتول تشبيها بها في المنزلة عند الله (٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه
(وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا) (٣) مردى بالحجى : اتخذ العقل رداء — الاخوذية : الخلق
والخفة — وهو مبشّر بالأخوذية ومؤدّم : يبنى أن بشرته وأدمه أى جلده حتى بالمهارة
والنشاط (٤) الرانين : الاوائل

الى نَبْة فرعها في السماء * ومغر سها في ذرى الأبطح^(١)
 وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبة
 لم ير أحسن منها ، فلا يدري أوجهه أحسن أم خطبته ، فقال : أولئك قوم بنور
 الخلافة يُشرِقون ، و بلسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل
 لو كان يوجدُ عَرَفٌ يُجَدِّ قِبلَهُم * لوجدته منهم على آميال^(٢)
 إن جثهم أبصرت بين بيوتهم * كرمًا يهيك مواقف التَّسَالِ
 نور النبوة والمكارم فيهم * متوقِّد في الشَّيْب والأطفال^(٣)
 وسئل سعيد بن المسيَّب : من أبلغ الناس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فقال السائل : إنما أعنى من دونه ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإن
 ابن الزبير لحسن الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين
 أنت من على وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال إنما عنييت من تقاربت أشكاهم ،
 وتدانيت أحوالهم ، وكانوا كسهام الجُبَّة^(٤) وبنو هاشم أعلام الأنام ، وحكام
 الاسلام^(٥)

وصف قريش وبنى هاشم

(فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في ذكر قريش وبنى هاشم)

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف
 رأيها وذكورها ، وكيف سياستها وتديبرها ، وكيف إيجازها وتحسيرها^(١) وكيف

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الرمح (٣) الشيب
 جمع أشيب (٤) الجُبَّة : الكنانة توضع فيها السهام والنشاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف
 لم يذكر ماساء « قطعة من كلام لبي على بن أبي طالب » وإنما تكلم عن أهل البيت
 وما قيل فيهم ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سنرى كيف يعود إلى أبناء
 على بعد قليل (٦) التحسير : الكشف والاطناب والمراد وصف قريش بأنها تجيد
 اطالة القول حين تشاء

رجاحة أعلامها إذا خفّ الحليم ، وحدة أنفانها إذا كَلَّ الحديد ^(١) وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء ^(٢) وكيف وفاؤها إذا استحسن النذر ، وكيف جودها إذا حُب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد ^(٣) وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ، ودعاءها اليه ، وكيف سباحة أخلاقها ، وصونها لأعرافها ، وكيف وصاوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم ، إلا على قدر بعد غوره ؟ ^(٤) وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه ؛ وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟ ؟

وقال عمر : انك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه . قال أوس بن حجر ^(٥)
الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقال آخر :

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ * فصيحٌ يحدث بالغائبِ

وقال بلعاء ابن قيس :

وأبني صواب الرأي أعلم أنه * اذا طاش ظن المرء طاشت مقاديرُهُ
بل قد علم الناس كيف جالها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف سرورها ونجاتها ^(٦) وكيف بيانها وجبارتها ^(٧) وكيف تفكيرها وبلهايتها ، فالعرب كالبلدن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سرها ولبثها ، وموضع

(١) الحديد : القوى الفهن (٢) اللاأواء جمالشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الثور : القمر من كل شيء . وفلان بعيد الثور : متعقب النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الاصل «بعد غدره» بالمال ، وأحسب انه تحريف (٥) أوس بن حجر هو شاعر تميم في الجاهلية مات قبل الاسلام ، وهو صاحب العينية التي قيل في مطلعها انه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيتها النفس أجلى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والتجاة : كرم الحسب (٧) الجهارة : قوة الصوت

غاية الدين والدنيا منها ، وهاشم ملح الارض وزينة الدنيا ، وحى العالم ، والسنام
الاضخم ، والكاهل الأعظم ، ولُبَاب كل جوهر كريم ، وسِر كل عنصر شريف
والطينة البيضاء ، والمنرس المبارك ، والنصاب الوثيق ^(١) ، ومعدن الفهم ونبوع
العلم ، وهَلَان ذو الهضاب فى الحلم ^(٢) ، والسيف الحُسام فى العزم ^(٣) مع الأناة
والحزم ، والصفح بعد المقدرة ، وهم الأتف المقسم ، والسنام الأكرم ، وكلساء
الذى لا ينجسه شئ ، وكالشمس التى لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف
بالنقصان ، وكالنجم للحيوان ، والبارد للظلمآن ، ومنهم الثقلان ، والاطيبان ،
والسبطان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيد الوادى ، وساق
الحجيج ، وحليم البطحاء ، والبحر والخبر ^(٤) ، والانصار أنصارهم ، والمهاجر من
هاجر اليهم أو معهم ، والصديق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل
فيهم ، والحوارى حوارهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا لهم أو فيهم
أو معهم ، أو يضاف اليهم . وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ،
وإمام الأولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذى لم يَم لنبى
نبوة إلا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذى عم برسالته ما بين الخافقين ،
وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون

الحسن بن على

قال الحسن بن على عليهما السلام لحبيب بن مسلمة النهري : رب مسير لك فى
غير طاعة الله ! قال أما مسيرى الى أهلك فليس من ذلك ! قال : على ! لقد قعد بك
فى دينك ، فلو أنك إذ فعلت شرأ قلت خيراً كنت كمن قال الله عز وجل (خلطوا

(١) النصاب : الاصل (٢) هَلَان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع
(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشراف قریش يرجع اليها من شاء فى كتب السير
والغزوات

عملاً صالحاً وآخر سينا) ولكنك كما قال (كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وكان الحسن عليه السلام جواداً كريماً لا يرد سائلاً ولا يقطع نائلاً . وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أعطى شاعراً يعصي الرحمن ، ويقول البهتان ؟ فقال : إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير ، انتهاء الشر . وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضي الله عنه

وقيل : إن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه فليمن على ذلك ، فقال أتراني خفت أن يقول لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، ولا ابن علي بن أبي طالب ، ولكنني خفت أن يقول : لست كرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، محفوظاً على السنة الرواة ، فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والتم مني

ولما توفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد على قبره وقد اغرورقت عيناه وقال :

رحمك الله أبا محمد ! فلئن عزت حياتك ، فلقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحلك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الكسا ، وخلف أهل التقي ، جدك النبي المصطفى ، وأبوك علي المرتضى ، وأمك فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى ، وغدتك أكف الحق ، ورؤيت في جبرئيل السلام ، ورضعت ثدي الأيمان ، فطبت حيا وميتا ، فلئن كانت الأتس غير طيبة لفراقك ، إنها غير شاكاة أن قد خير لك ، وإنك وأخاك لمسيحاً شباب أهل الجنة ، فليكن يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب على قبره فقال :

ان أقدامكم قد قَلَّتْ ، وإن أعناقكم قد سَملت إلى هذا القبر ولياً من أولياء الله يُبَشِّرُ نبي الله بقدومه ، وتُفْتَحُ أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحُور العين بلاقائه ، ^(١) ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحس أهل الحجا والدين فقدّه ، رحمة الله عليه ، وعنده تحسب المصيبة به

المصيبة بأبناء النبوة

(ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة)
— قد نُعي سليلٌ من سُلالة النبوة ، وفرعٌ من شجرة الرسالة ، وعضوٌ من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول
— كتبت وليتني ما كتبت ، وأنا ناعي الفضل من أقطاره ، وداعي المجد إلى شقِّ ثوبه وصداره ، ونخبرٌ أن شمس الكرام واجبة ^(٢) والمآثر مودعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الامامة منقطعة ، والدين منخزل واجم ، ^(٣) وللتقوى دمعان هائم وساجم .

— كتابي وقد شلتَّ يمين الدهر ، وقُفِّت عين المجد ، وقَصُرَ باع الفضل ، وكسفت شمس المساعي ، وخسف قر المآلى ، وتجدد في بيت الرسالة رُزْءُ مجدِّ المصائب ، واستعاد النوائب ، كل هذا لفقْد من حظ الكرم برعه ، ثم أدرج في بُرده ، وامتزج المجد به ، فلفن بلفنه ، إنها المصيبة عمّت بيت الرسالة . وغضت طرف الامامة ، وتخيَّفت جانب الوحي المنزل ، وذكرت بموت النبي المرسل ..
— كتبت والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، ومهابط الوحي والرسالة :

(١) الحور العين لقب نساء أهل الجنة ، والحور جمع حوراء ، من الحور بالتحريك وهو أن يشند يياض العيون وسوادها ، أو هو اسوداد العين كلها مثل عيون الظباء . والعين جمع عينا وهي الحلوة العينين

(٢) وجبت الشمس : ثابت (٣) واجم : مطرق عبوس

تحنى ظهورها أسفاً ، وما فى الامامة الوصية والرسالة تدرى دموعها لهما ، وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة وعنصر الدين والمروءة

بين الحسن ومحمد بن الحنفية^(١)

ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية لُحَاء ، ومشى الناس بينهما بالتأثم ، فكتب اليه محمد بن الحنفية :

أما بعد فإن أبى وأباك على بن أبى طالب ، لا تفضلنى فيه ولا أفضلك ، وأبى امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمثل أبى لكنت أمك خيراً منها ، فاذا قرأت كتابى هذا فأقدم حتى ترضانى ، فانك أحق بالفضل منى

الدنيا فى رأى الحسين

وخطب الحسين بن على رضوان الله عليهما غداة اليوم الذى استشهد فيه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال :

يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فان الدنيا لو بقيت على أحد ، لكانت الانبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضا بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر^(٢) ، منزل تلمة ، ودار قلعة ،^(٣) فتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

- (١) محمد بن الحنفية هو محمد بن على أخو الحسن والحسين وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب اليها تمييزاً له عن أخويه . وولد فى المدينة سنة ٢١ وتوفى بها سنة ٨٠
- (٢) مكفهر : منبر (٣) التلمة ما ارتفع من الارض . وما انهبط منها ، فهى من الاضداد ، وهى كذلك مسيل للماء وما اتسع من فوهة الوادى ، ومنازل التلاع لا تبات لها لأنها عرضة لهجات السيل . ودار قلعة : أى انقلاع ونهاب . وفى الاصل « والمنزلة تلمة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب

معاوية والحسين

وكان معاوية بن أبي سفيان عين بالمدينة يكتب اليه بما يكون من أمور الناس وقرش فكتب اليه : إن الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوجها ، فكتب معاوية إلى الحسين :

من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي : أما بعد فإنه بلغني أنك تزوجت جاريته ، وتركت أكفائك من قرش ، بمن تستحسنه للولد ، وتبجد به في الصبر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت ! فكتب إليه الحسين بن علي :

أما بعد فقد بلغني كتابك ، وتعييرك إليّ بأني تزوجت مولاتي وتركت أكفائي من قرش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ، ولا غاية في نسب وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التمس فيه ثواب الله تعالى ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وقدرفع الله بالاسلام الخسيسة ، ووضع عنابه النقيصة ، فللوم على امرئ مسلم إلا في أمر مأثم ، وإنما اللوم لوم الجاهلية ! فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقرأه وقال : كشد ما فخر عليك الحسين ! قال : لا ، ولكنها أسنة بني هاشم الحداد التي تفلق الصخر ، وتعرف من البحر ! والحسين رضى الله عنه هو القائل

لعمرى إتي لأحب داراً * تحل بها سُكينة والرباب

أحبهما وأبذل كل مالى * وليس للائم عندى عتاب

سُكينة ابنته والرباب أمها وهى بنت امرئ القيس بن الجرول الكلبي

ابن أبي ربيعة وسكينة

وفي سُكينة يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي كذبا عليها^(١)

قالت سكينة والسموع ذوارف * تجرى على الخدين والجلباب
ليت المغيرة الذي لم أجزه * فيما أطال تصيذي وطلابي
كانت ترد لنا المني أمانا * إذ لا نلام على هوى وتصاب
خبرت ما قالت فبت كاتما * يُرمى الحشى بنوافذ الثياب
أسكين ما ماء الفرات وطيبه * منى على ظمأ وقد شراب
بالله منك وإن نأيت وقلمأ * ترعى النساء أمانة الغياب
إن تبدلى لى نائلا أشنى به * داء الفؤاد قد أطلت عذاب
وعصيت فيك أقاربى وتقطعت * بينى وبينهم عرى الأسباب
فتركتنى لا بالوصال مُتَعَا * منهم ولا أسعفتنى ثواب
فعبدت كلهم ريق فضلة مائه * فى حر هاجرة للمع سراب

وكانت سكينة من أجل نساء زمانها وأعقلهن ، وكان مصعب بن الزبير قد جمع بينها وبين عائشة بنت طلحة بنت عبد الله ، فلما قتل مصعب قالت سكينة
فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذى * يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية * إلى القوم حتى أوردوه حماما

(١) انظر الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» فيه فصل مطول عن السيدة سكينة بنت الحسين وحياتها الادبية والوجدانية وعلاقتها بعمر بن أبي ربيعة ل ترى أكان لم يكذب عليها كما يتحدثنا صاحب زهر الآداب؟

علي بن الحسين^(١)

وقال علي بن الحسين رحمه الله : لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستقبانة ، وجملة الحال في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتجلى في صدورهم ولوجدوا من يرد اليقين ما يُغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالم . علي أن درك ذلك كان لا يعلمهم في الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ، ومفتون بالعُجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبوت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم

وقال رضي الله عنه : المرء يمسد الصداقة القديمة ، ويحل العقد الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة ومن دعائه : اللهم ارزقني خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعد ، حتى لا أرجو إلا ما رجيت ، ولا أخاف إلا ما خفت

قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين

وحج هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبر فجلس عليه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس وجهاً ، وأعظمهم راحة ، وأكثرهم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة كأنها رُكبة عز^(٢) وطاف بالبيت وأتى ليستلم الحجر ففتح له الناس هيبة وإجلالاً ،

(١) كان علي بن الحسين مضرب المثل في الحلم والتقوى والسخاء - أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا فأنام نحو مائة بيت - قال محمد بن اسحق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وما كلهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم - ولد أتابه الله بالمدينة سنة ٣٨ وتوفي سنة ٩٤

(٢) المراد بالسجادة أثر السجود

مفناظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه — لئلا يعظم في صدور
أهل الشام — فقال الفرزدق وكان حاضرا :

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى التقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رآته فريش^(١) قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن^(٢) الحطيم إذا جاء يستلم^(٣)
في كفه خيزران ريح^(٤) عبق^(٥) * فى كف أروع^(٦) فى عرينه شمم^(٧)
يفضى حياء ويفضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يتسم
مشتقة^(٨) من رسول الله نبته * طابت عناصره والحليم^(٩) والشمم^(١٠)
ينمى إلى ذروة العز^(١١) التى قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والحجم^(١٢)
ينجاب نور الهدى عن نور غرته * كالشمس ينجاب عن إشراقها القم^(١٣)
حمل أفعال أقوام إذا اقترحوا * حلو الشئائل تحلو عنده نعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بحمد^(١٤)ه أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قدما وشرقه * جرى بذلك له فى لوحه القلم
من جدّه دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دان^(١٥)ت له الأم
عم البرية بالاحسان فانشعت^(١٦) * عنها الغيابة والإملاق^(١٧) والظلم^(١٨)
كلنا يديه غياث^(١٩) عم^(٢٠) نفعهما * تستوكفان ولا يعرفهما^(٢١) العدم^(٢٢)
سهل الخليفة لا تخشى بوا^(٢٣)ره * تزيه^(٢٤) الاثنان الحلم^(٢٥) والكرم^(٢٦)

(١) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقيه بأنها من سلاله الرسول
(٢) أروع : ذكى الروح ، بضم الراء ، وهو الفؤاد ، والعرين الانف ، والشمم الارتفاع
(٣) الحليم : الأسل (٤) ينمى : ينسب (٥) القم والقمام : العجار (٦) الغيابة : غيبة
الرشد ، والاملاق الفقر (٧) تستوكفان : تجريان ، والعدم بضم العين الفقر

لا يخلف الوعدَ ميمونٌ بفرته * رجب الفناء أريبٌ حين يعتزم^(١)
 ما قال لا قطُّ إلا في تشده * لولا التشهد كانت لاه نغم
 من مشيرٍ حبهم دينٌ ونفضهم * كُفْرٌ وقربهم مُنْجَى ومعتصم
 يُستدفعُ السوء والبلى بحبهم * ويُستربُّ به الاحسان والنعم^(٢)
 مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهم * في كل بدءٍ ونختومُ به الكلم
 إن عدَّ أهلُ التقي كانوا أمتهم * أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
 لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم * ولا يلدانهم قومٌ وإن كرموا
 هم الغيوثُ إذا ما أزمة أزمّت * والأسد أسد الشرى والبأس محتدم^(٣)
 يأبى لهم أن يحلَّ النعم ساحتهم * خيمٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هضم^(٤)
 لا ينقص العسر بسطاً من أكرمهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
 أى الخلاق ليست في رقابهم * لأولية هذا أوله نعم^(٥)
 من يعرف الله يعرف أوليته * فالدين من بيت هذا ناله الأم
 وليس قولك من هذا نضارهِ * العرب تعرف من أنكرت والمعجم
 وقد روى أن الحزین الكثنانى وفد على عبد الله بن عبد الملك بن مروان.
 وهو أمير على مصر فأنشده قصيدة منها

لما وقفتُ عليه في الجُوع ضحى * وقد تعرضت الحُجابُ والخدم
 حييته بسلام وهو مرتفق * وضجة القوم عند الباب تزدحم^(٦)
 في كفه خيزران، والبيت الذى يليه ، ويقال انها لعاود بن سلم في قُسم بن العباس
 ابن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو الذى يقول فيه الأخطل
 ولقد غدوت على التجار بمسح * هرت عواذله هريز الأكلب^(٧)

(١) الارب: وافر العقل (٢) يسترب: يصلح (٣) الأزمة: الشدة — والشرى: خيل
 بهامة كثير السباع (٤) هضم: جمع هضم وهو كثير الاتفاق (٥) المراد بالاولية
 الآباء والأجداد (٦) مرتفق: متكئ على مرفقه (٧) هرت: صاحت

- لَدَنْ قَبْلَهُ النِّعَمَ كَأَنَّمَا * مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءِ مَذْهَبِ (١)
لِبَاسِ أَرْدِيَةِ الْمُلُوكِ تَرَوْقُهُ * مِنْ كُلِّ مُرْتَقَبٍ عَيْنُونَ الرَّيْبِ (٢)
يَنْظُرُونَ مِنْ كَخَلِّ السُّتُورِ إِذَا بَدَأَ * نَظَرَ الْمَجَانِ إِلَى الْفَنِيْقِ الْمُصْعَبِ (٣)

وَيَقَالُ بَلْ قَالَهَا فِي عَالِي بْنِ الْحُسَيْنِ اللَّعِينُ الْمُنْقَرِيُّ ، وَاسْمُ اللَّعِينِ لِأَنَّ عَمْرَ
سَمِعَهُ يَنْشُدُ شِعْرًا وَالنَّاسُ يَصَوْنُ ، قَالُوا : مِنْ هَذَا اللَّعِينِ ؟ فَصَلَّقُوا بِهِ هَذَا الْاسْمَ (٤)
وَلِيَقْلَهُ مِنْ شَاءَ ، فَقَدْ أَحْسَنَ مَا شَاءَ وَأَجَادَ وَزَادَ (٥)

هَيْبَةُ اللَّقَاءِ

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
مَنْ آلَ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ * كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ عَايِنٌ بِأَزْيَا (٦)
فَمَا يَعْرِفُونَ الضَّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا * وَلَا يَنْبَسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا (٧)
وَمَا الْفَحْشُ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخُلَا * عَلَيْهِ وَلَكِنْ هَيْبَةُ هَيْ مَا هِيَ
فَتَى السَّنَّ كَهْلُ الْحِلْمِ يُسْمَعُ قَوْلُهُ * يُوَاظِنُ أَدْنَاهُ الْجِبَالُ الرُّوَاسِيَا
وَمِنْ أَجُودِمَا لِلْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي عُبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْفَتْحِ بْنِ خَالِقَانَ
وَلَمَّا حَضَرَ نَاسِدَةُ الْأَذْنِ أُخْرِتْ * رَجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَادَا خَلَّهُ
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ * أَقَابِلُ بَدْرَ التَّمِّ حِينَ أَقَابَلُهُ

- (١) التَّرائِبُ : مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ وَالْمَذْهَبُ الْمَزْجُ بِالْفَنَاءِ
(٢) الرَّيْبُ : الظُّلْمَةُ وَالْمَرَادُ بِهَا النِّسَاءُ (٣) الْمُصْعَبُ : الْجَمْلُ الَّذِي لَمْ يَرْكَبْ ، وَالْفَنِيْقُ :
الْمَكْرَمُ ، وَالْمَجَانُ الْإِبِلُ الْبَيْضُ (٤) اللَّعِينُ الْمُنْقَرِيُّ هُوَ أَبُو الْأَكْبَدِ مَبَارِكُ بْنُ
زَيْمَةَ . وَفِي الْأَصْلِ « اللَّعِينُ الشَّنْقَرِيُّ » وَهُوَ تَحْرِيفُ (٥) يُرِيدُ أَنَّ الشَّعْرَ حَيْدُ بَغْضِ
النَّظَرِ عَنِ يَنْسَبِ إِلَيْهِ مِنَ الشَّعْرَاءِ (٦) الْكِرْوَانُ بِكَسْرِ الْـ كَافِ جَمْعُ الْكِرْوَانِ بِفَتْحِهَا
مَعَ سُكُونِ الرَّاءِ وَهُوَ طَائِرٌ مُفْرَدٌ ، تَجِدُ مَا قَالَهُ عَنْهُ الشَّعْرَاءُ فِي كِتَابِ « مَدَامِغِ الْمَنَاقِ » .
وَالْبَازِيُّ الصَّغْرُ (٧) يَنْبَسُونَ : يَنْطَلِقُونَ

بَدَأَ بِمَحْمُودِ السَّجِيَةِ شُمِّرَتْ * سَرَايِلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهُ (١)
 كَمَا لَتَنْصَبَ الرُّمَحُ الرَّدِيئِي تَقَعَّتْ * أَنَابِيَهُ وَاهْتَرَّ لِلطَّعْنِ عَامِلُهُ (٢)
 وَكَالْبِدْرِ وَاقْتُهُ لَمْ تُسْعُدِهِ * وَتَمَّ سَنَاهُ وَاسْتَهَلَّتْ مَنَازِلُهُ
 فَسَلِمَتْ فَاعْتَاقَتْ جَنَافِي هَيْبَةٍ * تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ (٣)
 إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاسِمًا * لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاسِمٌ وَهُوَ عَازِلُهُ
 فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَ وَاشْتَى * إِلَى يَشَرَ آنَسَتْنِي مَخَايِلُهُ (٤)
 دَنَوْتُ قَبِلْتُ النَّدَى مِنْ بِلَامَرِي * جَبِيلٍ بِحَيَّاهُ سِبَاطٍ أَنَامِلُهُ (٥)
 صَفَّتْ مِثْلَ مَا تَصْفُو الدَّمَامُ خِلَالَهُ * وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شِمَائِلُهُ
 وَوَقَعَتْ حَرْبٌ بِالْجَزِيرَةِ بَيْنَ بَنِي تَغْلِبَ فَتَوَلَّى الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمُ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ
 مَقَالَ الْبَحْتَرَى فِيمَا تَعْلُقُ بَعْضُهُ بِذِكْرِ الْهَيْبَةِ

بَنِي تَغْلِبَ أَعَزُّ عَلَى بَأْنٍ أَرَى * دِيَارَكُمْ أَمَسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلٌ (٦)
 خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ * مَرَابِعُ مِنْ سِنْجَارٍ يَهْمِي بِهَا الْوَبْلُ (٧)
 إِذَا مَا اتَّقَوْا يَوْمَ الْمَيْجَالِ تَحَاجَزُوا * وَلِلْمَوْتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
 كَفَيْتُ مِنَ الْأَحْيَاءِ لَاقِي كَفِيَةٍ * وَمِثْلُ مِنَ الْأَقْوَامِ زَاخِفٌ مِثْلُ (٨)
 إِذَا مَا أَخْجَرَّ الرِّمَاحَ انْبَرَى لَهُ * أَخْجَرُّ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعْنَانِ وَلَا وَغْلُ (٩)
 تَحُوطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ وَضُرُّهُ * عِتَاقٌ وَأَنْسَابٌ بِهَا يَدْرُكُ التَّبَلُّ (١٠)

- (١) السرايل: الثياب ، والحمائيل جمع حمالة بالكسر وهي علاقة السيف
 (٢) حامل الرمح : صدره (٣) اعتناق وعاق : منع ، والجنان : القلب
 (٤) المخايل جمع مخيلة : وهي الدلالة (٥) سباط : طوال ، كناية عن الكرم
 (٦) هذه القطعة من قصيدة حيدة طويلة مظلما :

ضمان على عينيك اني لا أسلو وان فؤادي من جوى بك لا يخلو
 (٧) سنجار : مدينة في نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل المطر
 الشديد ، ويهمل ينسكب (٨) كفى : نظير — زاخف : نازله ، من الزحف . وفي
 الاصل « راجعه » وهو تحريف (٩) الوغل : الضعيف النذل (١٠) البيض الرقاق :
 السيوف المرفهة ، والضمر العتاق : الحيول الضامرة الكريمة ، والتبل : النار

- بطعن يكبُّ الدارعين دِرَاكُهُ * وضرب كما ترغو الحزْمَةُ البِزْلُ (١)
 تَجَافَى أمير المؤمنين عن التي * علمت وللجانين في مثلها التَّكَلُّ (٢)
 وكانت يد الفتح بن حُفَاقٍ عندكم * يدالفيث عند الأرض أجدها الحُلُّ (٣)
 ولولاهُ طَلَّتْ بالعقوق دماءكم * فلا قَوْدٌ يُعطى الاذلُّ ولا عقلُ (٤)
 تَلَفَيْتَ يا فتاح الأرقام بعد ما * سقام بأوحى سَمِّ الأرقم الصِّلُّ (٥)
 وهبت لهم بالسلم باقى نفوسهم * وقد شارفوا أن يستمهم القتل (٦)
 أُنَّاكَ وفودُ الشكر يشنون بالدى * تخدم من نُفَّاكٍ عندهم قَبْلُ
 فلم أرَ يوماً كان أكثر سُودَكَا * من اليوم ضمتهم الى بابك السُّبُلُ (٧)
 تراءؤك من أقصى السَّطَطِ قَصَّروا * خُطاهم وقد جازوا السُّتُورَ ومُعْجَلُ (٨)
 ولما قَضَوْا صدر السلام تهافتوا * عَلَى يَدِّ بَسَامٍ هَجِيَّتَهُ البِنَلُ
 إذا شرعوا فى خطبةٍ قطعتمُ * جلاله طَلَّقَ الوجه جانبه سَهْلُ (٩)
 إذا نكسوا أبصارهم من مهابةٍ * ومالوا بلحظٍ خَلَّتْ أَنَّهُمْ قَبْلُ (١٠)
 نصبت لهم طرفاً حديدًا، ومنطقًا * سديدًا، ورايا مثل ما تَنْصِي النصل (١١)
 وسَلَّ سخيمات الصدور فعَالُك الـ * سكريمُ وأبراغها قولك النصل (١٢)

(١) الدارعون : لابسو الدروع ، ودراكه : تابعه ، وترغو : تصيح ، والحزمة :
 التى وضع فى شدقها الحزام ، والبزل جمع بازل . وهو البير يبلغ تسع سنين
 (٢) التكل : القصد (٣) الحُل : الجلب (٤) طلت : هدرت ، والقود : القصاص
 والعقل : الدية .

(٥) أوحى : أسرع ، والسلم الوحي السريع ، والأرقم الصل : الحية التى لاتتفع
 فيها الرقى (٦) شارفوا : قاربوا . وفى الاصل (اشرقوا) وهو تحريف (٧) السبل :
 جمع سبل وهو الطريق والمراد به الحاجة (٨) عجل : جمع أعجل وهو المسرع
 (٩) طلق الوجه : وافر البشر (١٠) قبل : جمع أقبل ، وهو الذى ينظر بانحراف
 كما ينظر الى أنفه (١١) النصل : السيف (١٢) السخيمات : جمع سخيمة
 . وهى الحقد .

بك التأم الشعبُ الذي كان بينهم * على حين بعد منه واجتمع السمل^(١)
فما برحوا حتى تماطتْ أكتفهم * قراك فلا ضغنٌ لديهم ولا دخل^(٢)
وجرّوا ذبول العصب تفضو ذيوها * عطاء كريم ما تكأده بحل^(٣)
وما عثمهم عمرو بن غنم بنسبة * كما عثمهم بالأمس نائلُك الجذل
فهما رأوا من غبطة في اصطلاحهم * فنك بها النعى جرت ولك الفضل
عمرو بن غنم بن ثعلب بن وائل بن قاسط

عاقبة الحرب

واللطائيين في ذلك أشعار كثيرة مختارة ، منها قول البحترى يحذر عاقبة
الحرب^(٤)

أما ربيعة الفرس انتهاء * عن الززال فيها والحروب^(٥)
وكانوا رَقَعُوا^(٦) أيام سلم * على تلك الضغائن والنُدُوب^(٧)
إذا ما الجرحُ رُمَّ على فساد * تبيّن فيه تفريطُ الطيب
رَزِيَّةُ هالكٍ جلبت رزايا * وخطبُ بات يكشف عن خطوب
يُسْقُ الحَيْبُ ثم يحى أمر * يُصَرُّ فيه تشقيق الجيوب
وقبر عن أيامن برقيد^(٨) * إذا هي ناحت^(٩) أفق الجنوب

(١) التأم الشعب : اجتمع (٢) القرى بكسر القاف ما يتناولها الصيفان — والدخل :
الغل (٣) تكأده : منه

(٤) اختار المؤلف هذه القطعة من بائية البحترى التي مطلعها :

أمنك تأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدي من حبيب

(٥) ربيعة الفرس : أبو قبيلة وهو ابن تزار بن معد بن عدنان

(٦) في الأصل : وقعوا ، والتصحيح عن الديوان (٧) الندوب جمع ندب وهو الجرح

(٨) برقيد : بلدة بالموصل (٩) ناحت : قابلت ، وفي الأصل « فاخترت » وهو تحريف .

يَسْحَ تَرَابُهُ أَبَدًا عَلَيْهَا * عَهَادًا مِنْ مُرَاقٍ دَمٍ صَبِيبٍ ^(١)
 فَهَلْ لَابَنِي عَدِيِّ مِنْ رَشِيدٍ * يَرُدُّ شَرِيدَ طَلِيمَا الْعَزِيبِ ^(٢)
 أَخَافُ عَلَيْهِمَا إِمْرَارَ مَرَعَى * مِنَ الْكَلَالِ الَّذِي عَقْبَاهُ تَوْبَى ^(٣)
 وَأَعْلَمُ أَنَّ حَرْبَهُمَا خَبَالٌ * عَلَى الدَّاعَى إِلَيْهَا وَالْجَبِيبِ
 لَعَلَّ أَبَا الْمَعْمَرِ يَتَلَيَّهَا * بَعْدَ الْهَمِّ وَالصَّدْرِ الرَّحِيبِ ^(٤)
 فَكَمْ مِنْ سُودَدٍ قَدَبَاتٍ يَعْطَى * عَطِيَّةً مَكْتَرٍ فِيهَا مُطِيبِ
 أَهْيَمُ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ دَعْوَى * مُشِيرٍ بِالنَّصِيحَةِ أَوْ مُهَيِّبِ ^(٥)
 تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ اللَّهُ * نَوْبَ إِذَا قَدُمْنَ مِنَ الذَّنُوبِ ^(٦)
 فَلَسَّهِنَّ السَّيِّدُ أَحَبُّ غِيَا * إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمَصِيبِ ^(٧)
 مَتَى أَحْرَزْتَ نَصْرَ بَنِي عُبَيْدٍ * إِلَى اخْلَاصٍ وَدَّ بَنِي حَبِيبِ
 فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَغْلَبَ تَقْلِيٍّ * عَلَى أَيْدِي الْعَشِيرَةِ وَالْقُلُوبِ
 يَنَاسِبُ قَوْلُهُ * إِذَا مَا الْجَرْحُ دَمٌ عَلَى فُسَادٍ * قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِ لَعَلَّ
 ابْنَ إِبْرَاهِيمَ التَّنُوخِيَّ أَجَدَ بَنِي الْقَصِيبِ

فَلَا تَفْرُكْ أَلْسِنَةَ مَوَالٍ * قَلْبَيْنِ أَفْتَدَتْهُ أَعَادَى ^(٨)
 وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْتِي لِبَاكِ * بَكَى مِنْهُ وَيُرْوَى وَهُوَ صَادِي
 فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْفَرُ بَعْدَ حِينَ * إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فُسَادٍ ^(٩)

وفى هذه القصيدة

كَأَنَّ الْهَامَّ فِي الْمَيْجَا عِيُونَ * وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ
 وَقَدْ صُغَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ * فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي قَوَادٍ

(١) العهد : أقطار الربيع ، واحداً منها عهدة ، تقول : حديدة معهودة وستان معهود

(٢) العزيب : من المزوب وهو النية والنهاب ، وفي الأصل (العزيب) وهو ريف

(٣) توبى : تهلك . (٤) يتلها : يتبعها — والهم هنا بمعنى الهمة (٥) مهيب : داعي

(٦) في هذا البيت حكمة بالغة (٧) غيا : طافية

(٨) الموالى جمع مولى وهو الصديق (٩) ينفر : يجيش بالناس

كَأَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ طَرَفِ خَفَى
وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً * مِنْ بِأَسْهُمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
قَوْمٌ إِذَا احْمَرَّ الْهَجِيرُ مِنَ الْوَغَى * جَعَلُوا الْجَاهِجَ لِلسُّيُوفِ مَقِيلًا^(١)
وَأَمَّا أَخْذُهُ مِنْ قَوْلِ مَنْصُورِ الْبَيْهَرِيِّ وَذَكَرَ سَيْفًا
ذَكَرَهُ يَرْوِقُهُ الدَّمَاءُ كَأَنَّمَا * يَلْعَلُ الرِّجَالُ بِأَرْجُوَانٍ فَاقِعٍ^(٢)
وَتَرَى مَسَاقِطَ شَفَرَتَيْهِ كَأَنَّمَا * مِلْحٌ تَبَدَّدَ مِنْ وَرَاءِ الدَّارِعِ
وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَّدَتْهُ * بِلَمِ الرِّجَالِ عَلَى الْأَدِيمِ النَّاقِعِ^(٣)
وَكَأَنَّ وَقْعَتَهُ بِمَجْمَعَةِ الْفَتَى * خَدَرُ الْمُدَامَةِ أَوْ نَعَاسِ الْمَالِجِ^(٤)
أَرَدَتْ هَذَا الْبَيْتَ ، وَقَوْلُ الْبَيْهَرِيِّ (وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَّتْهُ) يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُ.

أَبِي الطَّيِّبِ وَذَكَرَ سَيْفًا

يَسُ النِّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مَجْرَدٌ * مِنْ غَمَلٍ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُفْعَدٌ^(٥)
رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتُهُ * لَجَرَى مِنَ الْمَهْجَاتِ بِحَرْمُزٍ بَدِ^(٦)
وَبَنُو عَيْبِدٍ وَبَنُو حَبِيبِ اللَّيْثَانِ ذَكَرَهُمَا الْبَحْتَرِيُّ هُمُ بَنُو عَيْبِدِ بْنِ الْحَارِثِ.
ابْنُ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غُثَمٍ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْهَجْرَسِ بْنِ تَيْمِ بْنِ.
سَعْدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غُثَمِ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ وَفِيهِمْ حَبِيبُ بْنُ.
حَرْقَةَ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غُثَمِ فَلَا أُدْرِي أَيُّهُمَا أَرَادَ

(١) احمرار الهجير ، وهو وقت الظهر ، كناية عن سيل الدماء فيه

(٢) سيف ذكر : من الذكرة بضم الفاء وهي الحدة . والارجوان : صنف أحمر .
فاقع : صفة مبالغة . وكل ناصع اللون فاقع وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر

(٣) معتم : جدد الدم عليه حتى صار له كاللحمة الناقع : الذي تروى بالدم . وفي الأصل .
(الفاقع) وهو تحريف (٤) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشبه فعله بفعل المدام والنعاس .

(٥) النجيع : الدم المتجمد (٦) مزيد : يجري بالزبد

قتال الاقارب

وقال البحرى

أَسَيْتُ لَأُخْوَالِي رَيْبَةً أَنْ عَفْتُ * مصايها منها وَأَقْوَتَ رُبُوعَهَا^(١)
بِكُرْهِي أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارِهَا * ووحشاً مغانها وشَتَّى جَمِيعُهَا^(٢)
إِذَا اقْتَرَقُوا مِنْ وَقَعَةٍ جَمْعَتُهُمْ * دماءَ لَأُخْرَى مَا يُطْلُ نَجِيعُهَا^(٣)
تَلَمَّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شَيْمَةً بِلْهَا * إِذَا بَاتَ دُونَ النَّارِ وَهُوَ ضَجِيعُهَا^(٤)
حِمَّةٌ شَعْبٌ جَاهِلِيٌّ وَعِزَّةٌ * كَلَادِيَّةٌ أَعْيَا الرِّجَالَ خُضُوعُهَا
وَفِرْسَانٌ هِجَاءٌ نَجِيشٌ صَدُورُهَا * بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهَا
تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ قَوْسِهَا * عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تَطِيعُهَا^(٥)
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا * تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دِمُوعُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهَا * شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا^(٦)
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا * وَمَوْلَاكَ فَتَحَ يَوْمَ ذَاكَ شَفِيعُهَا
وقال أبو تمام الطائي :

مَهْلًا بَنَى مَالِكٌ لَا تَجْلِبُنَّ إِلَى * حَيٍّ الْأَرَاقِمُ ذُلُولُ ابْنَةِ الرِّقَمِ^(٧)
لَمْ يَأْلِكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفَرَةً ■ لَوْ كَانَ يَنْفَخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحْمٍ^(٨)

- (١) أسيت : حزنتم — والمصاييف : جمع مصيف . وفى الاصل (مصانها) وهو تحريف ، والتصحيح عن الديوان — أقوت : خلت
(٢) المغاني جمع مقى وهو المنزل الذى غنى به أهله
(٣) يطل : يهدر (٤) الرود : الجملة الوافرة الخياه (٥) الوتر : الثأر
(٦) الشواجر : القواطع ، أو الروابط ، فهى من أسماء الأصدقاء
(٧) الأرقام : حى من تقلب ، وابنة الرقم : الحية ، والذلول السم ، يريد
لأقدموا السم بأنفسكم الى حى الأرقام ليقتلوكم به (٨) القين : الحداد

أخرجتموه بكره من سجيته * والناقد تقتضى من ناصر السلم^(١)
أوطأموه على جمر العقوق ولو * لم يخرج الليث لم يخرج من الأجم^(٢)
ولا مناشدة القرى لغادركم * حصائد الرهفين السيف والقلم
لا تجملوا البغى ظهراً إنه جل * من القطيعة يرعى وادى النقم
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنم انكم * هدف الأسنه والقنا تتعظم^(٣)
ما منكم إلا مردى بالحجى * أو مبشر بالأخوذى مؤدم^(٤)
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا يسهم^(٥)
خلقت ربيعة من لدن خلقت يدأ * جشم بن بكر كفها والمعصم^(٦)
تعزو فتغلب تغلب مثل اسمها * وتسبح غم في البلاد فتغم^(٧)
وستدكرون غداً صنائع مالك * ان جل خطب أو تدفع مغرم^(٨)
مالى رأيت تراكم بيسالة * مالى أرى أطوادكم تهلم^(٩)
ما هذه القرى التي لا تصطفى * ما هذه الرمح التي لا ترحم^(١٠)
حسد القرابة للقرابة قرحة * أعيت عوائدها وجرح أقليم^(١١)
تلكم قريش لم تكن آباؤها * تهفو ولا أحلامها تنقسم^(١٢)
حتى اذا بعث النبي محمد * فيهم غدت شحناؤهم تنصرم^(١٣)
عزبت عقولهم وما من معشر ■ إلا وهم منهم ألب وأحزم^(١٤)

- (١) تقتضى : تستخرج ، والسلم اسم شجر ، (٢) الأحم : مأوى الأسد
(٣) الهدف : الغرض (٤) مردى بالحجى : يتخذ رداء ، والأخوذى الحفة
والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، والأدم الجلد
(٥) لا يسهم : لا يغلب (٦) من لدن : من منذ (٧) الصنائع : جمع صنيع وهو
المعروف (٨) من معاني البسالة الهلاك ، ورأيت تراكم بيسالة أى فى بسالة
(٩) يريد من العوائد التلكسات التي تعود بها القروح (١٠) لا تنقسم أحلامها :
لا تفرق آراؤها (١١) الشحناء : البغضاء (١٢) عزبت : غابت — ألب : اعقل
(١٣) عزبت عقولهم : غابت عقولهم

لما أقام الوحي بين ظهورهم * ورأوا رسول الله أحمد منهم
ومن الحزامة لو تكون حزيمة * أن لا تؤخر من به تقدم^(١)
ومالك هو ابن طوق^(٢) بن مالك بن عتاب بن زُفر بن مرة بن شريح
ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو
ابن غنم ابن تغلب وفيه يقول دعبيل^(٣) يهجو :
الناس كلهم يندو لحاجته * من بين ذى فرح فيها ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته * يرم منها بناء غير مرموم^(٤)
يبنى بيوتا خرابا لا أنيس بها * ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم
والتكثير من المعنى المعترض يرمح عن ثرة الفرض^(٥) لكنى أجري منه الى
غاية الإفادة ، وأقصد قصد الإفادة ، ثم أعود حيث أريد

مالك بن أنس

وقال ابن الخياط المكي واسمه عبد الله بن سالم في باب الهيبة في مالك
ابن أنس^(٦) الفقيه رحمة الله عليه، وقيل إن هذا من قول ابن المبارك

(١) الحزيمة : الحزم (٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذى بنى « رجة
مالك » على شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائية
التي يقول فيها :

وما بي خوف أن أموت وانى لا أعلم أن الموت ثنىء موقف
ولكن خلفى صبية قد تركتهم وأكبادهم من خيبة تفتت

وتوفى سنة ٢٥٩ (٣) هو دعبيل بن علي الخزاعي التوفي سنة ٢٤٦ ، كان دعبيل
بذي اللسان مولما بالهجو والخط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ولكنه
عمر طويلا مع تعرضه للخلفاء (٤) يرم : يصلح (٥) الثرة : الطريق (٦) هو الامام
مالك أحد الأئمة الاربعة المتوفى سنة ١٧٩

يَأْتِي الْجَوَابُ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْئَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ^(١)
أَدَبُ الْوَقَارِ وَعَزَّ سُلْطَانُ التَّقَى * فَهُوَ الْمُهَيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

شعر أبي تمام

وقول الفرزدق * يكاد يمسكه عرفان راحته * قد تجاذبه جماعة من الشعراء
قال أشجع بن عمرو السلمي^(٢) لجعفر البرمكي
حَبِيدًا أَنْتَ قَادِمًا تَرِدُ الشَا * مَ فَتَخْتَالُ بَيْنَ أَرْحُلِ غَيْرِكَ
إِنْ أَرْضًا تَسْرِي إِلَيْهَا لَوَاسِطًا * عَتَّ لَسَارَتِ الْيَكْمَنُ قَبْلَ سَيْرِكَ
وإليه أشار أبو تمام الطائي في قوله
دِيمَةُ سَحْخَةِ الْقِيَادِ سَكُوبٌ * مُسْتَغِيثٌ بِهَا الْبَرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْ سَعَتْ بَقْعَةٌ لِإِعْظَامِ نُعْمَى * لَسَمَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيدُ
وفي هذه القصيدة في وصف الديعة ومدح محمد بن عبد الملك الزيات^(٣)

(١) نَوَاسِ الْأَذْقَانِ : مطرقون إلى الأرض خشوعاً
(٢) كَانَ أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ شَاعِرًا فَلَاحِظًا الْمَدِيحَ ، وَلَدَ فِي الْهَيْمَةِ وَنَشَأَ فِي الْبَصْرَةِ ،
وَمَدَحَ الْبَرَامِكَةَ وَانْقَطَعَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَقَرَّبَهُ مِنَ الرَّشِيدِ ، وَمِنْ أَيْبَاتِهِ السَّائِرَةِ قَوْلُهُ :
وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانُ ضَوْءِ الصَّبْحِ وَالْأَضْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رَعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ
وَكَانَتْ وَفَاةً أَشْجَعُ نَحْوَ سَنَةِ ١٩٥
(٣) هُوَ وَزِيرُ الْمُتَعَصِّمِ وَالْوَائِقِ وَأَحَدُ مَشَاهِيرِ الْكِتَابِ وَالشُّعْرَاءِ ، عَرَفَ حُلُومَ الدُّنْيَا
وَمَوَازِينَهَا ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي سَجْنِهِ :

مَنْ لَهُ عَهْدُ بَنُوْمٍ يَرْشُدُ الصَّبُّ إِلَيْهِ
رَحِمَ اللَّهُ رَحِيمًا دَلَّ عَيْنِي عَلَيْهِ
سَهَرْتُ عَيْنِي وَنَامْتُ عَيْنٌ مِنْ هَنْتٍ لَدَيْهِ

وَكَانَتْ وَفَاةً سَنَةَ ٢٢٢

لَدَّ شُؤْبُوبِهَا وَطَابْ فَلَوْتَسْطِيَه * ع قَامَتْ فَعَاقَتْهَا الْقُلُوبُ (١)
 فَهَو - مَلَا - يَجْرِي وَمَلَا - يَلِيَه * وَغَزَالٍ تَلْشَا وَأُخْرَى تَصُوبُ (٢)
 أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيٍّ أَهْلًا بِمَعْدَا * ك عِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوُوبُ (٣)
 لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلَاتِقٍ مَحْكِيَه * هُنَّ قَدْ يَشْبُه النُّجُوبِ النُّجُوبُ
 وَأَنْشَدَهَا أَبَا جَعْفَرٍ بِنَ الزِّيَادِ فَقَالَ :

يَا أَبَا تَمَامٍ ! وَاللَّهِ أَنْتَ لَتَحْطِي شَعْرَكَ مِنْ جَوَاهِرِ لَفْظِكَ ، وَبِدَائِعِ مَعَانِيكَ ،
 مَا يَزِيدُ حُسْنَ عَلَى بَهِي الْجَوَاهِرِ ، فِي أَجْيَادِ الْكَوَاعِبِ ، وَمَا يَنْخِرُ لَكَ شَيْءٌ مِنْ
 جَزِيلِ الْمَكَافَاةِ ، إِلَّا يَقْصُرُ عَنْ شَعْرَكَ فِي الْمَوَازَاةِ

وَكَانَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فَقَالَ : هَذَا الْفَتَى يَمُوتُ شَابًا ! فَقِيلَ لَهُ مِنْ
 أَيْنَ حَكِمْتَ عَلَيْهِ بِهَذَا ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ فِيهِ مِنَ الْحِدَّةِ ، وَالذِّكَاةِ ، وَالْفُطْنَةِ ، مَعَ
 لَطَافَةِ الْحَسَنِ ، مَا عَمِلْتُ بِهِ أَنْ النَّفْسَ الرُّوحَانِيَّةَ تَأْكُلُ عَمْرَهُ ، كَمَا يَأْكُلُ السِّيفُ
 الْمَهْدَ غِمْدَهُ ! قَالَ الصُّوْلِيُّ مَاتَ وَقَدْ نَيْفٌ عَلَى الثَّلَاثِينَ
 وَقَالَ فِي أَبِي دُلْفٍ الْعَجَلِيُّ الْقَاسِمُ بْنُ عَيْسَى (٤)

تَكَادَ عَطَايَاهُ يُجْنُ جَنْوُهَا * إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنَفْعَةِ طَالِبِ
 تَكَادَ مَغَانِيهِ تَهْمُشُ عِرَاصُهَا * فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ (٥)
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا * فِي وَسْمِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

(١) الشُّؤْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ (٢) غَزَالٌ : جَمْعُ غَزْلَاءَ وَهِيَ مَصْبُ الْمَاءِ ، وَالْمُرَادُ
 بِهَا السَّحَابَةُ - تَصُوبُ : تَنْسَكِبُ (٣) تَوُوبُ : تَرْجِعُ (٤) أَبُو دُلْفٍ كَانَ أَمِيرَ الْكَرْخِ
 وَسَيِّدَ قَوْمِهِ وَأَحَدَ قَوَادِ الْمَأْمُونِ الشَّجْبَانَ ، وَلا شَرَاءَ فِيهِ مَدَامُحٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْ أَرْوَعِهَا
 هَذَا الْبَيْتَانِ :

أَمَّا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَحْتَضَرُهُ
 فَذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَتْ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَكَلَّمَتْ وَقَاتَهُ سَنَةً ٢٢٦ (٥) الرِّعَاسُ : جَمْعُ عَرَصَةٍ وَهِيَ : سَاحَةُ الدَّارِ

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار
طربتُ مراكبنا فخلنا أنها * لولا حياءُ عاقها رقصت بنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها * مددت محييةً اليك الأغصنا

محمد بن علي

رجع ما انقطع
قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (١) رضي الله عنه :
هل رأيتَ الله حين عبده ؟
فقال : لم أكن لأعبد من لم أره .
قال : فكيف رأيته ؟

قال : لم تره إلا بصار بمشاهدة العيان ، ورأته القلوب بحقائق الايمان ، لا يدرك
بالحواس ، ولا يشبه بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجوز
في القضايا ، ذلك الله الذي لا اله الا هو .

فقال الاعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالته !
قال الجاحظ قال محمد بن علي : صلاح شأن الدنيا بخفايرها في كلمتين لأن
صلاح شأن جميع الناس التعاسر وهو ملء مكيال : ثلثاه فطنة وثلثاه تغافل .
قال الجاحظ : لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ،
لأن الانسان لا يتغافل عن شيء الا وقد عرفه وفطن له . قال الطائي :
ليس النبيّ بسيدٍ في قومه * لكنّ سيد قومه المتغابي
وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظلّ اذا نامت عيونُ ذوى العمى * وان حددوا زُرْقاً اليك جواحظاً (٢)

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ هـ ودفن بها سنة ١١٤ وكان مشهوراً بالعلم والتقى
وله اراء في تفسير القرآن (٢) جواحظ : جمع جاحظة وهي : النائمة الحديقة

تَعَاثَى لَهُمْ وَسَنَانٌ بِلَ مُتَوَاسِنًا * وَتُوقِظُهُمْ يَقْظَانُ بِلَ مُتَيَاقِظًا^(١)

زید بن علی

وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه دينًا شجاعًا ناسكًا من أحسن بني هاشم عبادة، وأجلهم إشارة

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي، فإن له لسانًا أقطع من طبة السيف، وأحد من شبك الأسنة^(٢) وأبلغ من السحر والكهانة^(٣) ومن كل قفت في عقدة

وقيل لزيد بن علي: الصمت خير أم الكلام؟ فقال: قبيح الله المساكته، ما أفسدها للبيان وأجلبها للعبي والحصص^(٤) والله للمارة أسرع في هدم العبي^(٥) من النار في يبيس العرفج، ومن السيل إلى الحدور^(٦)

وقال له هشام بن عبد الملك: بلغني أنك تروم الخلافة، وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة، قال زيد: فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابن أمة، وإسحاق ابن حرة، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم! فقال له قم! فقال: إذا والله لا تراني إلا حيث تكره! فلما خرج من الدار قال ما أحب أحدًا الحياة قط إلا ذل. فقال له سالم مولى هشام: لا يسمعن هذا الكلام منك أحد

وكان زيد كثيرًا ما ينشد:

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرًا الجلاء^(٧)

(١) متواسن: متناوم وليس بتائم، ومتياقظ: متظاهر باليقظة (٢) طبة السيف: طرفه، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة: نوع من فئة الناس باسم البحث عن الغيب (٤) الحصص: عسر الكلام (٥) في الاصل «هدم العبي» وهو تحريف (٦) الحدور: التحدرات يجري إليها الماء (٧) الجلاء: الحرب

منخرق الخفين يشكو الوجي * تنكبه أطراف مَرَوٍ حداد^(١)
 قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد
 وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد
 رويت لأخيه موسى . قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد حدثني رجل من بني هاشم
 قال كنا عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجل من أهل
 الكوفة فقال له محمد بن علي : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال
 الانصاري لأخيه ؟ فأنشد

لمرك ما إن أبو مالك * بوانٍ ولا بضعيفٍ قواه
 ولا بألد له نازع * يعادى أخاه اذا ما نهاه
 ولكنه غير مخالفة * كريم الطبايع حلوه ناه
 وان سُدته سدت مطوعة * ومهما وكلت اليه كفاه

فوضع محمد يده على كتف زيد وقال : هذه صفتك يا أخي ، وأعيذك بالله أن
 تكون قتيل أهل العراق !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله
 عليهم منازعة في وصية فكانا اذا تنازعا اثنال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما ،
 فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام
 زيد . فاذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه قال في موضع كذا
 وكذا وقال الآخر قال في موضع كذا وكذا فيكتبون ما قال ثم يتعلمونه كما يتعلم
 الواجب من الفرض ، والناذر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا أعجوبة دهرهما
 وأحلوثة عصرهما .

مصرع زيد بن علي

ولما قتله يوسف بن عمر^(١) وصلب جثته بالكناسة^(٢) وبث برأسه مع شبة ابن عقال ، وكلف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطباؤهم بذلك فكان أول من قام عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوجز في كلامه ثم جلس وقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأطنب ، وكان شاعراً خطيباً لسنياً ناسباً ، فأنصرف الناس وهم يقولون : ابن الطيار من أخطب الناس ، فقبل لعبد الله بن الحسن في ذلك فقال : لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور ، وإنما كان مقام مصيبة !

عبد الله ابن الحسن

وعبد الله هذا هو أبو محمد وإبراهيم الخارجي على أبي جعفر المنصور وهو القائل لابنه محمد أو إبراهيم
أى بنى ! إني مؤدٍ حق الله في تأديبك ، فأدّ إلى حق الله في الاستماع مني ،
أى بنى ! كُفّ الأذى ، وارفض البدى^(١) واستمعن على الكلام بطول الفكر
في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعات يضر فيها
الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل ، وإن كان ناصحاً ، كما
تحذر مشورة العاقل ، إذا كان غاشياً ، لأنه يُردّيك بمشورته .

(١) أحد الولاء في العصر الأموي . كانت وفاته سنة ١٢٧ (٢) الكناسة محله بالكوفة يقول فيها الشاعر :

يا أيها الراكب القادى لطيته يؤم بالقوم أهل البلدة الحرم
أبلغ قبائل عمرو أن أيتهمو أو كنت من دارهم يوما على أمم
أنا وجدنا فقرؤا في دياركمو أهل الكناسة أهل اللؤم والدم
(٣) البدى : مقصور البذاء وهو غش القول

واعلم يا بنى أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظان ،
فاياك أن تستبد برأيك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين أن
عاقبته لا تُرديك ، وأن تبيته لا تبني عليك

وهو القائل : إياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم ، أو معاداة لئيم
وكتب إلى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى فان الله تعالى جعل لمن
اتقاه المخرج من حيث يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب .

الجمال المصون

وعبد الله هو القائل

أُنْسُ حَرَاتُرُ مَا هَمَّ مِنْ بَرِيَّةٍ * كَطَبَاءِ مَكَّةَ صِيدُهُنَّ حَرَامُ^(١)
يُحْسِنُ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا * وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخُفَا لَا سَلَامَ^(٢)
وهذا كما روى أن عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبي
ريبعة الخزرمي فقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صَبوة ، وأبعدها توبة ،
ويحك أمالك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بنى عبد مناف ؟ أنست القائل
نظرت إليها بالحصب من مَنَى * ولى نظره لولا التخرُّج عارمُ^(٣)
قلبت أصبح أم مصاييح راهبٍ * بدت لك خلف السجف أم أنت حالمُ^(٤)
بعيدة مهوى القرطِ إِمَّا لنوفلٍ * أبوها وإِما عبد شمس وهاشمُ^(٥)

فقال يا أمير المؤمنين فان بعد هذا

طلبن الهوى حتى إذا ما وجدته * صدَّرنَ وهنَّ المسلمات الكرائمُ^(٦)
فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله^(٧)

وقال آخر في هذا المعنى

(١) أنس : أكسات (٢) الحنا : الفحش (٣) عارم بالراء المهملة : طامع شرس ،
وفي الأصل « هازم » بالزاي المعجمة ، وأرجح انه تحريف (٤) السجف : الستر
(٥) القرط : حلى يعلق في الأذن . وبعد مهوى القرط كناية عن طول العنق
(٦) صدرن : رجعن (٧) انظر الطبعة الثالثة من كتاب « حبا بن أبي ربيعة وشعره » —

تَظَلَّنَ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنٍ أَوْجِهٍ * فَهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ^(١)
 كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ * بِفِّ الْكَلَامِ بِاخْلَاطٍ يَوَازِلُ^(٢)
 يَرْزَنُ عَفَافًا وَاحْتَجِبْنَ تَسْتَرًا * وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ^(٣)
 فَنَوَاحِلُ مَرْتَادٍ وَذَوِ الْجَهْلِ طَلَمَعُ * وَهَنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدُ نَوَاحِلُ^(٤)
 وَقَالَ الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرَحِ فِيمَا يَتَطَرَفُ طَرَفًا مِنْ هَذَا الْمَعْنَى

لَعِبَ النِّعَمِ بَيْنَ فِي أَظْلَالِهِ * حَتَّى لَبَسْنَ زَمَانَ عَيْشٍ غَافِلُ^(٥)
 يَأْخُذْنَ زَيْتِنَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى * فَإِذَا عَطَلْنَ فَهِنَّ غَيْرَ عَوَاطِلُ
 وَإِذَا خَبَأْنَ خُدُودَهُنَّ أُرْفِيْنِي * حَدَقَ الْمَهَا وَأَخْذَنَ نَبْلَ الْقَاتِلِ^(٦)
 يَرْمِينَنَا لَا يَسْتَرْنَ بِحِجَّتِهِ * إِلَّا الصَّبَا وَعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي^(٧)
 يَلْبَسْنَ أُرْدِيَةَ الشَّبَابِ لَا أَهْلَهَا * وَيَجْرُو بِأَطْلَهِنَّ ذَيْلُ الْبَاطِلِ

عود الى عبد الله بن الحسن

وَتَعْرِضُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ رَجُلًا بِمَا يَكْرَهُ فَقَالَ فِيمَا أَنْشَدَهُ ثَلَبُ
 أَظُنْتُ سَفَاهًا مِنْ سَفَاهَةٍ رَأَيْهَا * أَنْ أَهْجُوَهَا لَمَّا هَجَيْتَنِي مُحَارِبُ^(٨)
 فَلَا وَأَيُّهَا أَنْنِي بِشِيرَتِي * وَتَقَسَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ لِرَاغِبِ^(٩)
 وَأَنْشَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ لِرَجُلٍ لَمْ يَسْمَعْ فِي رَجُلٍ يَعْرِفُ بِابْنِ
 الْبَعِيرِ وَقَبْلَهُمَا

يَقُولُونَ أَبْنَاءُ الْبَعِيرِ وَمَا لَهُمْ * سَنَامٌ وَلَا فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ غَارِبُ^(١٠)

(١) حَوَالٍ : جَمْعُ حَالِيَةٍ ، وَالْعَوَاطِلُ جَمْعُ عَاطِلٍ ، وَهِيَ الَّتِي تَعَطَّلَتْ مِنْ الْحُلِيِّ
 (٢) كَوَاسٍ : جَمْعُ كَاسِيَةٍ ، وَالْفِ الْعَفِيفُ (٣) شَيْبَ : مَزَجَ (٤) حَيْدُ : جَمْعُ
 حَيْدٍ ، وَهِيَ الَّتِي تَحِيدُ عَنْ مَوَاطِنِ التَّهْمِ ، وَالتَّوَا كُلُّ جَمْعٍ نَاكِلَةٌ وَهِيَ النَّافِرَةُ مِنَ الْفَحْشَى
 (٥) انْظُرْ «رَبَائِثُ النِّعَمِ» فِي كِتَابِ «أَفْنَانِ الْجَمَالِ» — (٦) الْمَهَا : وَاحِدُهَا مَهَاءٌ
 وَهِيَ الظُّلْمَةُ (٧) الْجَنَّةُ : مَا يَنْتَقِي بِهِ الْمَرْءُ السَّهَامَ (٨) مُحَارِبُ : اسْمُ قَبِيلَةٍ (٩) رَغِبْتُ
 عَنْ الشَّيْءِ : زَهَدْتُ فِيهِ (١٠) الْغَارِبُ : السَّكَاهُ ، وَذُرْوَةُ الشَّيْءِ أَعْلَاهُ

وسائر عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأندلس وهو ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به ، فأنشد عبد الله

ألم تر جوشنا لما تبني * بناء نفعه لبي بُقيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليلة

وكان أبو العباس له مكرما ، ولحقه معظما ، فتبسم مغضبا وقال : لو علمنا لاشتربنا حق المسيرة ! فقال عبد الله : بواذر الخواطر ، وأغفال المسائح ، والله ما قلتها عن روية ، ولا عارضني فيها ذكر ، وأنت أجل من أقال ، وأولى من صفح . قال صدقت خذ في غير هذا .

ولما قتل المنصور ابنه محمدا وكان عبد الله في السجن بعث رأسه إليه مع الربيع حاجبه فوضع بين يديه فقال : رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا ينتقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ثم تمثل

فبي كان يحميه عن النل سيفه * ويكفي سواك الأمور اجتنابها

ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من يؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ، والموعد الله تعالى ! قال الربيع فما رأيت المنصور قط أكثر انكسارا منه حين أبلغته الرسالة (١)

أخذ العباس بن الأحنف (٢) هذا المعنى وقيل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير (٣) فقال

فإن تلحظني حالي وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
تركي كل يوم مر من يؤس عيشي * يمر يوم من نعيمك يحسب

(١) وكانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن المنصور سنة ١٤٥

(٢) العباس بن الأحنف شاعر غزل رقيق الاحساس توفي سنة ١٩٢

(٣) عمارة بن عقيل شاعر فصيح كان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة. توفي سنة ٢٣٩

امراة محمد بن عبد الله

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان فقالت : يا امير المؤمنين : أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناه ، أيتهم سيفك ، وأضرعهما خوفك ^(١) فناشدتك الله يا امير المؤمنين أن تصرّ لها خدك فيناى عنهما فذلك ^(٢) ولتطفلك عليهما شوايك النسب ، وأواصر الرحيم ^(٣) . فالتفت إلى الربيع فقال : اررد عليهما ضياع أبيهما . ثم قال : كذا والله أحب أن تكون نساء بنى هاشم

جعفر بن محمد

وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور ، ونصر محمد ، فلما ظفر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق ، فقال له : قد رأيت أطباق أهل المدينة على حربى ، وقد رأيت أن أبعد اليهم من يغور عيونهم ^(٤) ويحمر نخلهم ^(٥) فقال له جعفر يا امير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقند بأبهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يصفون ويصفحون ، فقال أبو جعفر : ان أحدا لا يعلنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ، وإنما قلت هممت ، ولم تر ، فعلت ، وانك لتعلم أن قدرنى عليهم تمننى من الاساءة اليهم

وعزى جعفر بن محمد رجلا فقال : أعظم نعمة فى مصيبة جلبت أجرا ، وأفطنع بمصيبة فى نعمة أكسبت كفرا . هذا كقول الطائي

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويتلى الله بعض القوم بالنعم
وكان جعفر بن محمد يقول : إني لأملق أحيانا فأناجر الله بالصدقة فيربحنى .

(١) أضرعه : أذله (٢) الرصد : العطاء (٣) الشوايك والأواصر هى الروابط

(٤) يغور عيونهم : يطمسها وينهب مامها . وفى الاصل «ينور» وهو تحريف

(٥) جمر النخلة تحميرا قطع حمارها

وقال جعفر رضى الله عنه : من تخلق بالخلق الجميل وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه .
لأحالة زائل ، وهو إلى خلقه الأول آيل ، كطلى الذهب على النحاس ينسحق
وتظهر صفوته للناس . وهذا كقول العرجى

يا أيها المتحلّى غير شيمته * ومن خلافة الأقصار والملق ^(١)

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به * ان التخلق يأتى دونه الخلق ^(٢)

وكان يقول : ما توسل إلى أحد بوسيلة هي أقرب إلى من يد سبقت منى إليه ،
أتبعها أختها لتحسن ربّها وحفظها ^(٣) لأن منع الأواخر ، يقطع لسان الأوائل ،
وقيل لجعفر رحمه الله : إن أبا جعفر المنصور لا يلبس مذ صارت إليه الخلافة إلا
الخشن ، ولا يأكل إلا الجشب ^(٤) فقال يا ويحه مع ما مكنّ له من السلطان وجبى
إليه من الخراج ! قالوا إنما يفعل ذلك بخلا وجعاً للمال . فقال : الحمد لله الذى حرمه
من دنياه ما ترك له من دينه .

ومن دعاء جعفر رضى الله عنه : اللهم انك بما أنت أهل له من العفو أولى بما
أنا أهل له من العقوبة

عبد الله بن معاوية

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عالماً ، ناسباً ، وكان خطيباً
مفوهاً ، وشاعراً مجيداً ، كتب إلى بعض إخوانه :

أما بعد فقد عاقى الشك فى أمرك ، عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك أنك
ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبتنى جفاء عن غير جريرة ، فأطمعنى
أولك فى إخوانك ، وأياسنى آخرك من وفائك ، فلا أنا فى غير الرجاء جمع لك

(١) المراد من الأقصار القصور والضعف ، والملق انظار الود ذلة وخضوعاً

(٢) التخلق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق

(٣) رب الشيء : أصلحه (٤) الجشب : هو الطعام القفار الذى لا ادم فيه

اطراحاً ، ولا أنا في عدم انتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح الشك في أمرك ، عن عزيمة الرأي فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف ، وأوفرقتنا
على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئاً مُلْفَعاً * فَكَشَفَهُ التَّحِيصُ حَتَّى بَلَا لِيَا ^(١)
فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً * فَلَنْ عَرَصْتَ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا
كَلَانَا غَيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ * وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيَا
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَمَا * مَا بِلَوْتِكَ فِي الْحَاجَاتِ الْإِتْمَادِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تَبْدَى الْمَسَاوِيَا

والقائل ايضاً

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ * يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
بَنِي كَمَا كَانَتْ أَوَّلُنَا * تَبْنِي وَتَعْمَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
وهذا كقول عامر ابن الطفيل قال أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش أنشدني
محمد ابن الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل ^(٢)

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىَ مَالِكُ بَعْدَمَا * أَرَاكَ صَحِيحًا كَالسَّلِيمِ الْمَغْدُوبِ ^(٣)
فَقُلْتُ لَهَا هُمَى الَّذِي تَعْرِفِينِي * مِنْ الثَّارِ فِي حَيِّ زَيْدٍ وَأَرْحَبِ

(١) ملفع : مذهلي ، وتقول تلفع الشجر بالحضرة

(٢) عامر بن الطفيل أحد فتاك العرب وشعرائهم في الجاهلية . ولد ونشأ بنجد وكان
يأمر مناديا ينادي في عكاظ : هل من راجل فتحمله ، أو جائع فقطعمه ، أو خائف فنؤممه ؟
أدرك الاسلام وهو شيخ فوفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد التقدر
به ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول الى الاسلام فاشتراط ان يحمل له نصف ثمار
المدينة وان يحصله الى الامر من بعده ، فردّه النبي فرجع مغيظا محققا . وسمعه أحدهم
يقول : لا ملائمتها خيال جردا ، ورجال امردا ، ولا رطلن بكل محلة فرسا ! فأت في طريقه
قبل ان يبلغ قومه سنة ١١ (٣) السليم : الملدوغ

إِنْ أَعَزُّ زَيْدًا أَعَزُّ قَوْمًا أَعَزَّةَ * مُرْكَبُهُمْ فِي الْحَيِّ خَيْرُ مُرْكَبٍ
وَأَنْ أَعَزُّ حَيٍّ خَتْمُهُمْ فَلَمَّاؤُهُمْ * شِفَاءُ وَخَيْرُ النَّارِ لِلْمَتَّائِبِ (١)
فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلَ مُحَقِّقٍ * بِأَجْرَدِ طَاوٍ كَالْعَصِيبِ الْمَشْدَبِ (٢)
وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ * وَزَعْفٍ دِلَاصٍ كَالْعَدِيرِ الْمَثْوَبِ (٣)
وَأَنَّى وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيْدٍ عَامِرٍ * وَفِي السَّرْمَنِهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْدَبِ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاثَةِ * أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمْ وَلَا أَبِ
وَلَكِنِّي أُمِّي حَامِيًا وَأَتَقَى * أَذَاهَا وَأَرْمِي مِنْ وَرَاهَا بِمَنْكَبِ
وَقَالَ أَيْضًا يَهْنَأُ بِمَضِ الْمَاشِمِينَ بِإِمْلَاكِ (٤)

زاد الله في نعمته عليكم ، وبارك لكم في فواضله ، وجعل نوافله ، ونسأل الله
الذي قسم لكم ما تحبون من السرور ، أن يجنبكم ما تكرهون من الحذور ، ويجعل
ما أحدثه لك زينا ، ومتاعا حسنا ، ورشدا ثابتا ، ويجعل سبيل ما أصبحت عليه ،
تماما لصالح ما سموت اليه ، من اجتماع الشمل ، وحسن موافقة الأهل ، ألف الله
ذلك بالصالح ، وتممه بالتجاح ، ومد لك في ثروة العدد ، وطيب الولد ، مع الزيادة
في المال ، وحسن السلامة في الحال ، وقرة العين ، وصلاح ذات البين

الحسن بن زيد

وهجأ أبو عاصم محمد بن حمزة الاسلمى المدينى الحسن بن زيد بن الحسن بن
على بن أبى طالب رحمة الله عليه فقال :
له حقٌ وليس عليه حقٌ * ومهما قال فالحسن الجليلُ
وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لغيره وهو الرسولُ

(١) المتأوب : الذى يطرق ليلا (٢) الطاوى : الضامر ، والاجرء الحصان سقط
شعره من الضمور ، والصيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشف خوصها ، والمشذب المقلم
(٣) الاسمر الخطي : هو الرمح ، والابيض الباتر : السيف القاطع ، والزغب الدروع ،
والدلاص اللينة الملساء ، والعدير المثوب : النهر الممتلى (٤) الاملاك : الزواج

فلما ولى الحسن المدينة أتاه متنكراً في زى الأعراب فقال
ستأتي مدحتي الحسن بن زيد * وتشهد لي بصفتي القبور^(١)
قبور لم تزل مذ غاب عنها * أبو حسن تعادها الدهور
قبور لو بأحمد أو علي * يلوذ مجيرها حُجى المجير
هما أبواك من وضعا فضة * وأنت برفع من رفعا جدير
فقال من أنت ؟ قال أنا الأسلى ، قال : ادن حياك الله ! وبسط له رداءه .
وأجلسه عليه ، وأمر له بمشقة آلاف درهم

وكان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تميم أن يصله ، فلما
مدح داود جعفر بن سليمان بن علي وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد أغضبه
ذلك^(٢) وقدم الحسن من حج أو عمرة فدخل عليه داود بن سلم مهتفا فقال : أنت .
القائل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر * وكان المني في جعفر أن يؤمرا^(٣)
حوى المنبرين الطاهرين كليهما * إذا ما خطأ عن منبر أم منبرا^(٤)
كأن بني حواء صُفوا أمامه * فخير في أنسابهم فتخيرا

فقال داود : نعم جعلني الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القائل
لمعري لئن عاقبت أو جدت منعاً * بغف عن الجاني وإن كان معذراً^(٥)
لأنت بما قدمت أولى بمدحه * واكرم فخرأ إن فخرت وعنصرا
هو الفرة الزهراء من فرع هاشم * ويدعو عليا ذا المعالي وجعفر^(٦)
وزيد الندى والسبط سبط محمد * وعمك باللفظ الزكي المطهر
وما قال منها جعفر غير مجلس * إذا ما قاه العزل عنه تأخرا^(٧)

(١) صنفين : موضع واقعه مشهورة (١) في الاجل «غصه ذلك» وهي عبارة جيدة

(٢) يؤمر : يولى الامارة (٤) أم : قصد (٥) معذر : ذو العذر

(٦) الفرة : البياض في الحين ولها جبال خاص (٧) العزل : الضعف

بِحَقِّكُمْ نَالُوا ذُرَاهَا وَأَصْبَحُوا * يَرُونَ بِهِ عِزًّا عَلَيْكُمْ وَمُظْهِرًا
فَعَادَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ يَصِلُهُ وَيَحْسُنُ إِلَيْهِ أَنْ مَاتَ
قَوْلُهُ (وَإِنْ كَانَ مُعْتَرًّا) لِأَنَّ جَعْفَرَ أَعْطَاهُ عَلَى أَيْمَانِهِ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ دِينَارًا

أَبِرَاهِيمُ بْنُ هَرَمَةَ

وَمَا وَلِيَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْمَدِينَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ هَرَمَةَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ
يَا إِبْرَاهِيمُ :

لَسْتُ كُنْ بَاعَ لَكَ دِينَهُ رَجَاءَ مَدْحِكَ ، أَوْ خَوْفَ ذَمِّكَ . فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ
تَعَالَى بُولَادَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَادِحَ ، وَجَنَّبَنِي الْمَقَابِخَ ، وَإِنْ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ
أَنْ لَا أَغْضَى عَلَى تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ وَجِبِّ ، وَأَنَا أَقْسَمُ لَنْ أُتَيْتَ بِكَ سَكْرَانًا لِأَضْرِبَنَّكَ
حَدًّا لِلْخَمْرِ ، وَحَدًّا لِلْكَسْرِ ، وَلَا زَيْدَنَ لِمَوْضِعِ حَرَمَتِكَ بِي ، فَلْيَكُنْ تَرْكَكَ لَهَا اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ تُعْنِ عَلَيْهِ ، وَلَا تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فَتَوَكَّلْ إِلَيْهِمْ

فَنَهَضَ ابْنُ هَرَمَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمَدَامِ * وَأَذِنِي بِآدَابِ الْكِرَامِ
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرْ عَنْهَا وَدَعَهَا * نَخُوفُ اللَّهِ لَا خَوْفَ الْإِنَامِ
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَنْهَا وَجُبِّي * لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي عِظَامِي
أَرَى طَيْبَ الْحَلَالِ عَلَى خُبْنَا * وَطَيْبَ الْعَيْشِ فِي خُبْنِ الْحَرَامِ

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَنُهِمًا فِي الْحَجَرِ ، وَجَلَدَهُ خَيْثَمُ بْنُ عِرَاكٍ صَاحِبَ شُرْطَةِ
الْمَدِينَةِ لِرِبَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ فِي وِلَايَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ

وَمَا وَقَدَ عَلَى أَبِي جَعْفَرَ النَّصُورَ وَمَدَحَهُ ، اسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ وَوَصَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ :
سَلْ حَاجَتَكَ . قَالَ تَبْكُتُ بِلِي إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ أَنْ لَا يَحْدِثَنِي إِذَا أُتِيَ بِي سَكْرَانًا
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرَ : هَذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَعْطَلَهُ قَالَ فَاحْتَلَّ لِي يَا أَمِيرَ

المؤمنين ! فكتب الى عامل المدينة « من أتاك ابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلده ابن هرمة ثمانين » فكان الشرط يمرون به مطروحاً في سبكك المدينة فيقولون: من يشتري مائة ثمانين !

موسى بن عبد الله

وقال موسى بن عبد الله بن علي بن أبي طالب

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرهت منه طال عتبي على الدهر
الى الله كل الأمر في الخلق كلهم * وليس الى الخلق شيء من الأمر
تعدت مس الضر حتى ألفت * وأسلفت طول البلاء الى الصبر
ووسع صدري للأذى أنس بالأذى * وإن كنت أحياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسى من الناس راجياً * لسرعة لطف الله من حيث لا أدري
وموسى بن عبد الله هو القائل

تولت بهجة الدنيا ☆ فكل جديد لها خلق^(١)

وخان الناس كلهم ☆ فما أدري بمن أثق

رأيت معالم الخير ☆ تـسـدت دونها الطرق

فلا حسب ولا نسب ☆ ولا دين ولا خلق

فلست مصدق الأقوا ☆ م في شيء وإن صدقوا

وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع أخويه ثم ضربه ألف سوط فما نطق

بمخرف واحد ، فقال الربيع : عذرت هؤلاء الفساق في صبرهم ، فما بال هذا الفتى الذي نشأ في النعمة والدعة ؟ فقال :

إني من القوم الذين يزيدهم * جلاً وصبراً قسوة السلطان

(١) الخلق ، بفتح الخ ، البالي

وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زعدة موسى ولها ستون سنة.
ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية

الجنّاح المهيض

اجتاز على بن محمد العلوي بالجسر بحدّثان^(١) قتل عمر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن وقتله الحسين بن اسماعيل هناك قد جرد رجلاً للقتل فلما رأت أم الرجل عليها سألته أن يشفع فيه فقال على إلى الحسين فأنشده

قتلت أير من ركب المطايا * وجئتك أستلينك بالكلام
وعزّ علىّ أن ألقاك إلّا * وفيما بيننا حدّ الحسام
ولكنّ الجنّاح اذا أصيبت * قوامه يرف على الأكام^(٢)

فقال : وما حاجتك ؟ قال العفو عن ابن هذه المرأة ، فتركه

العباس بن الحسين

وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لجليسه : أطرب من الإبل على الخداء
ومن الثمل على الغناء

وذكر العباس رجلاً فقال : ما الحجام على الأحرار ، وطول السقم في الأسفار
وعظم الدين على الاقتار ، بأشدّ من لقائه

وقال العباس بن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن لسانى ينطق بمدحك
غائباً ، وقد أحبيت أن يتزيد عندك حاضراً ، أفتأذن يا أمير المؤمنين في الكلام ؟
فقال له : قل ، فوالله أنك لتقول فتُحسّن ، وتُحضر فتزين ، وتُغيب فتؤثمن . فقال
ما بعد هنا كلام يا أمير المؤمنين أفتأذن بالسكون ؟ قال : اذا شئت

(١) حدّثان الامر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال (٢) القوام : مقدم
الريش ولا كذلك الخوافي ، والأكام : جمع أكمة

وذكر رجلا بليغا فقال : ماشهت كلامه إلا بشعبان ينهال بين رمال ، وماء
ينفعل بين جبال

وسمع المنتجع بن نهان كلام العباس بن الحسين فقال : هذا كلام يدل
سأثره ، على غابره ^(١) وأوله على آخره . وسأل المأمون العباس بن الحسين عن
رجل فقال : رأيت له حلما وأناة ، ولم أسمع لحنا ولا إحالة ^(٢) يحدثك الحديث
على مطاويه ^(٣) وينشدك الشعر على مدارجه .

وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهواً بلا حرج فليسمع كلام العباس
والعباس بن الحسين من أشعر الهاشميين وهو يعدّ في طبقة ابراهيم بن
المهدى ، وهو القائل

أتاح لك الهوى بيض حسان * سبّينك بالعيون والشعور ^(٤)
نظرت الى النحور فكذبت تقضي * وأولى لو نظرت الى الخصور ^(٥)
وهو القائل أيضاً

صادتك من بعض القصور * بيض نواعم في الخلدور
حور تحور الى صبا * لك بأعين منهن حور ^(٦)
وكانما بثغورهن * جنى الرضاب من الخور ^(٧)
يصبغن قلع الخدو * دِماء رمان الصدور

وهو العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه ، وأم عبيد الله جده بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم محمد بن
علي أبي الخلفاء

وكان الرشيد والمأمون يقربان العباس غاية التقريب لنسبه وأدبه ، قال أبو دؤلف
دخلت على الرشيد وهو في طارمة على طنفسة ^(٨) ومعه عليها شيخ جميل المنظر

(١) سآثره : باقيه ، وظاهره : ماضيه (٢) الاحالة : التكلم بالحال (٣) على مطاويه :
على خفائاه (٤) انظر «سواد الشعر» في كتاب «أفتان الجمال» (٥) تقضى : تهلك —
(٦) تحورة : تميل (٧) الرضاب : الريق (٨) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

فقال لى الرشيد : يا قاسم ما خبر أرضك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ، خراب يباب ،
آخر بها الاكراد والأعراب ، فقال قائل : هذا آفة الجبل ، وهو أفسده ، فقلت
أنا أصلحه ، قال الرشيد : وكيف ذلك ؟ قلت أفسدته وأنت على أصلحه وأنت معي
فقال الرشيد : إن همته لترمى به من وراء سنه مرمى بعيداً

فسألت عن الشيخ فقيل : العباس بن الحسين . وكان أبو دلف ذلك الوقت

صغير السن

موسى بن جعفر

ولقي موسى بن جعفر ^(١) رضى الله عنه محمداً بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى
على بنة فقال للفضل بن الربيع : عاتب هذا ، فقال له الفضل : كيف لقيت أمير
المؤمنين على هذه الدابة التي ان طلبت عليها لم تسبق ، وان طلبت عليها تلحق ؟
فقال : لست أحتاج أن أطلب ، ولا إلى أن أطلب ، ولكنها دابة تنحط عن خيلاء
الخيال ، وترقع عن ذلة الصير ^(٢) وخير الأمور أوساطها

على بن موسى

أصيب على بن موسى بمصيبة فصار إليه الحسن بن سهل فقال : إننا لم نأتك
مُعزّين ، بل جئناك مقتدين ، فالحمد لله الذي جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم
لهم قسوة .

وكان على بن موسى الرضى رحمه الله قد ولاه المأمون عهده ، وعقد له الخلافة

بده ، ونزع السواد عن بني العباس وأمرهم بلباس الخضر ^(٣) ومات على بن موسى

(١) كان موسى بن جعفر سيدياً من سادات بني هاشم وأماماً مقدماً في العلم والدين
ولد في الأبواء قرب المدينة سنة ١٢٨ وتوفي في بغداد سنة ١٨٣ (٢) العير : الحمار
(٣) وكان لباس الخضر شعار أهل البيت . وكان من أثر نزع السواد عن بني العباس
أن اضطرب العراق وثار أهل بغداد فخلعوا المأمون وهو بطوس وبايعوا عمه إبراهيم
ابن المهدي فقصدم المأمون بجيشه فاحتبأ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون

في حياة المأمون بطوس ، فسق قبر الرشيد ودفن فيه تبركا به ، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك ^(١) ولذلك قال دعبيل بن علي الخزاعي
 اربع بطوس على قبر الزكي بها * ان كفت تبرع من دين علي وطير ^(٢)
 ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا * على الزكي بقرب الرجس من ضرر
 هيهات كل امرئ رهن بما كسبت * له يداه فخذ من ذاك أو فذر
 قبران في طوس خير الناس كلهم * وقبر شرم هذا من العبر

دعبيل بن علي

وكان دعبيل مداحا لأهل البيت ، كثير التعصب لهم ، والنار فيهم . وله
 المراثية المشهورة ، وهي من جيد شعره ، وأولها

مدارس آيات عفت من تلاوة * ومنزل وحى مقتر العرصات ^(٣)
 لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجبرات
 ديار علي والحسين وجعفر * وحزمة والسجاد ذى النفثات
 قفا نسال النار التي خف أهلها * متى عهدنا بالصوم والصلوات
 وأين الألى شطت بهم غربة النوى * أفانين في الآفاق مفترقات ^(٤)
 أحب قصي النار من أجل جهنم * وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
 وهي طويلة

ولما دخل المأمون بغداد أحضر دعبيل بعد أن أعطاه الأمان وكان قد هجاه
 وهجا أباه ، فقال : يا دعبيل ! من الحضيض الأوهدي ؟ فقال يأمر المؤمنين قد عفوت
 عنن هو أشد جرما مني ! أراد المأمون قول دعبيل بهجوه :

أني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

(١) كانت وفاة علي بن موسى سنة ٢٠٢ (٢) ربع : أقام ، والوطر : الحاجة

(٣) العرصات : الساحات (٤) غربة النوى : بعده

شادوا مذكرك بعد طول خوله * واستنفذوك من الحضيض الأوهده
يفتخر عليه بقتل طاهر بن الحسين بن مصعب ذي اليمينين اخاه محمدا ، وطاهر
مولى خزاعة ، فاستنشد هذه القصيدة الثانية فاستغفاه فقال : لا بأس عليك ، وقد
رويتها وانما احببت ان اسمها منك ، فأنشدها دعبل ، فلما انتهى الى قوله :

ألم تراني منذ ثلاثين حجة * اروح واغدو دائم الحشرات
أرى فيهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيهم صفرات ^(١)
إذا وتروا مدوا الى أهل وترم * أكفا عن الأوتار منعبرات
وآل زياد غلظ القصرات ^(٢)
بنات زياد في القصور مصونة * وبنات رسول الله في الفلوات
بكي المأمون وجد له الأمان وأحسن له الصلة

والشيء يستلحي ما قرع بابه ، وجذب أهدا به ^(٣) قال سليمان بن قتية
مرت على أبيات آل محمد ☆ فلم أرها عهدي بها يوم حلت ^(٤)
فلا يبعد الله البيار وأهلها ☆ وان أصبحت من أهلها قد تخلصت ^(٥)
وكانوا رجاء ^(٦) ثم عادوا رزية ☆ ألا عظمتم تلك الرزايا وجلت
وان قتيل الطف من آل هاشم ☆ أذل رقاب المسلمين فذلت ^(٧)
ويشبه قوله ☆ وكانوا رجاء ثم عادوا رزية ☆ قول امرأة من العرب مرت
بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوبا ^(٨) فقالت

لئن أصبحت نهاية في البلاء ، لقد كنت غاية في الرجاء

(١) صفرات : خاليات (٢) القصرات : أصول النقي جمع قصرة بفتح الحين
(٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر انه سقطت بعض عبارات
يراد بها التمهيد لبعضي في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت
(٤) رواية الحماسة « فلم أرها أمثالها » (٥) رواية الحماسة « وان أصبحت منهم برغمي
تخلصت » (٦) رواية الحماسة « وكانوا غياثا » (٨) الطغ : موضع قرب الكوفة ،
ورواية الحماسة : « ألا ان قتلى الطغ من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحيى كان وزير

أوصاف الاشراف

- (ألقاظ لأهل العصر في أوصاف الاشراف لها في هذا الموضع موقع)
- فلان من شرف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم ، أصل راسخ ، وفرع شامخ ، ومجد باذخ ، وحسب شاذخ ^(١)
- فلان كريم الطرفين ، شريف الجانبين ، قد ركب الله دَوْحته في قرارة المجد ومغرس نبته في محل الفضل
- أصل شريف ، وعرق كريم ، ومغرس عظيم ، ومغرز صميم
- المجد لسان أوصافه ، والشرف نسب أسلافه
- نسب فخيم ، وشرف ضخم ، يستوفي شرف الأرومة ^(٢) بكرم الأبوة والأمومة وشرف الخوالة والعمومة
- ما أنته المحاسن عن كلالته ^(٣) ولا ظفر بالهدى عن ضلالته ، بل تناول المجد كابرًا عن كابر ، وأخذ الفخر عن أسرة ومنابر
- شرف تنقل كابرًا عن كابر ✻ كالرمح أنبوبا على أنبوب ^(٤)
- استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهذلت أغصانه عن نبتة الإمامة ، وتبعجبت أطرافه في عرصة الشرف والسيادة ^(٥) وتفتأت ببيضته عن سلالة الطهارة ^(٦)

الرشيد يرم وينقض في الدولة ماشاء الى أن تار الرشيد بالبرامكة فقتله فيمن قتل منهم وكان جعفر فصيح المتعلق بليغ القول ولد في بغداد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ١٨٧

(١) شامخ وباذخ وشاذخ مترادفات بمعنى عال (٢) الارومة الاصل

(٣) الكلاله : ماعدا الوالد من الاقرباء (٤) الانبوب : القصبه

(٥) تبعجبت : تمكنت ، والعرصة : الساحة (٦) تفتأت : تفتحت

- قد جنب القرآن بضبعه^(١) وشق الوحى عن بصره وسمعه
- مختار من اكرم الناس ، منتخب من أشرف العناصر ، مرتقى من أعلى
المخاتد ، مؤثر من العسائر
- قد ورث الشرف جامعا عن جامع ، وشهد له نداء الصوامع
- هو من مضر فى سويداء قلبها ، ومن هاشم فى سواد طرفها ، ومن الرسالة فى
مهبط وحيا ، ومن الامة فى موقف عزها
- ينزع الى الحماد بنفس وعرق ، ويحن الى المكارم بوراثه وخلق
- يتناسب اصله وفرعه ، ويتناصف بحره وطبعه ، وهو الطيب اصله وفرعه ،
الزكى بذره وزرعه
- يجمع الى عز النصاب ، مزية الآداب
- لا غرو ان يجرى الجواد على عرقه ، وتلوح مخايل الليث فى شبله ، ويكون
النحيب فرعا مشيدا لأصله
- له مع نباهة شرفه ، نزاهة سلفه ، ومع كرم ازومته وحزمه ، مزية أدبه وعلمه
- لن تخلف ثمرة غرس ارتيد لها من المنابت ازكاهها ، ومن المنارس أطيبها ،
وأغذاها وأماها
- قد جمع شرف الاخلاق ، الى كرم الانساب
- له فى المجد أول وآخر ، وفى الكرم تلبد وطارف ، وفى الفضل حديث وقديم
- لا غرو أن يفر فضلُه وهو نجل الصيد الأكارم ، أو يفرز علمه وهو فيض
البحر الخضارم^(٢)
- دوحة رسب عرقها ، وسمق فرعها^(٣) وطاب عودها ، واعتدل عمودها ، وتقيأت
ظلالها ، وتهذلت ثمارها ، وقرعت أغصانها ، ويرد مقلها
- مجد يلحظ الجوزاء من عال ، ويطول النجم كل مطال

(١) جنب بضبعه : نوه به (٢) الخضارم جمع خضرم بكسر الخاء والراء وهو الواسع

(٣) سمق : ارتفع

- شرف تضع له الأفلاك خدودها وجياها ، وتلثم النجوم أرضه بأفواهها وشفاها
- نسب المجد به عريق ، وروض الشرف به أنيق ، ولسان الثناء بفضلته نطوق .
- فلك المجد عليه يدور ، ويد العلى اليه تشير ، محله شاهر ، ومجده بأسق

الابتداء بمحمد الله

- قد تم ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به .
- وانضاف إليه ، والتف به وانطف عليه ، ورأيت أن أبتدى مقدمات البلاغات
- بفرر التحاميد وأوصافها ، وما يتعلق بأثنائها وأطرافها
- وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله :
- يجب على كل مبتدى "مقالة أن يبتدى "بمحمد الله قبل استفتاحها ، كما بُدئ
- بالنعمة قبل استحقاقها

ولأهل العصر :

- أولى ما فتر به الناطق فيه ^(١) وافتتح به كله ، حمد الله جل ثناؤه ، وتقدس أسماؤه
- حمد الله خير ما ابتدى به القول وخم ، وافتتح به الخطاب وتعم .
- وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله :
- ان الله جل ثناؤه لا يمثل بنظير ، ولا يُغلب بظهير ^(٢) جل عن موقع تحصيل
- أنوار البشر ، ولطف عن الحاظ خطرات الفكر ، لا يحمد إلا بتوفيق منه يقتضى
- حمداً ، ففى تحصى نعمائه ، وتكافأ آلاؤه
- عجز اقصى الشكر عن اداء نعمته ، وتضال ما خلق فى سعة قدرته ، قدر قدره ،
- وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعاً لشمع عباكه ، والشرائع مناراً على سبيل طاعته
- يتبعها اهل اليقين به ، ويحيد عنها اهل الشك فيه .

محمود الوراق

أخذ أبو العباس قوله (ولا يحمد إلا بتوفيق منه يقتضى حمدا) من قول محمود بن الحسين الوراق

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضل * وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا عمّ بالسراء عمّ سرورها * وإن مسّ بالفراء أعقبها الأجر
فما منها إلا له فيه نعمة * تضيق بها الأوهام والبر والبحر
وانما أخذه محمود من قول أبي العتاهية

أحمد الله فهو المسمى الخ * دعى الحمد والمزيد لديه
كم زمان بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه
وقد اضطربت الرواية في هذين البيتين وقائلهما ، وهذا البيت الثاني كثير
قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيامنا لاشك نندبها * إذا تقضت ونحن اليوم نشكوها
آخر :

وما مرّ يوم أرتجى فيه راحة * فأفقدته إلا بكيت على أس
ومحمود القائل أيضا

تعصى الآله وانت تظهر حبه * هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن احب مطيع
وكان كثيرا ما ينقل أخبار الماضين ، وحكم المتقدمين ، فيحلى بها نظامه ،
حيزين بها كلامه ، وهو القائل

(١) يريد ان الشعراء ردوا هذا المعنى كثيرا . ومن جيد ماصور به هذا المعنى قول
سعيد بن حميد :

لم أبك من زمن ذمت صروقه إلا بكيت عليه حين يزول

إني وهبت لظاللي ظلي * وشكرت ذاك له على علمي
ورأيت أسدي إليّ يدًا * لما أبانت بجهله حلي
رجعت إساءته عليه ولي * فضل فماد مضاعف الجرم
فكأنما الاحسان كان له * وأنا المسيء اليه في الزعم
ما زال يظلمني وأرحمهُ * حتى رثيت له من الظلم

وهو القائل

أراني إذا ما ازدحت مالا وثروة * وخيرًا إلى خير تزايدت في الشر
فكيف بشكر الله أن كنت إنما * أقوم مقام الشكر لله بالكفر
بأيّ اعتذارٍ أو بآية حجة * يقول الذي يدري من الأمر ما أدري
إذا كان وجه العذر ليس بيّن * فإن أطراح العذر خير من العذر

البيان

ولابن المعتز:

البيان ترُجمان القلوب ، وصَيْقل العقول ، ومُجَلّي الشبهة ، وموجب الحجة
والحالكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان
الرسول الذي انقاد به المصعب ^(١) واستقام الأُصَيْد ^(٢) وبُهِت الكافر ، وسلّم
الممتنع ، حتى أشب الحق بأنصاره ^(٣) وخَلَّارِيع الباطل من عُماره
وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ، ليسرع الفهم إلى تلقيه ، وموجزاً
ليخفف على اللفظ تعاطيه

وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفي ،
يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وتحير الكذابين ، وهو المبلغ

(١) المصعب : الفحل الصعب التياد . وفي الاصل المستصعب وأرجح انه تحريف

(٢) الأُصَيْد : الدائل العنق كبرا (٣) أشب : تجمع وقوى

الذى لا يُحِلُّ ، والجديد الذى لا يَخْلُقُ ^(١) والحق الصانع ، والنور الساطع ، والمالحى .
لظلم الضلال ، ولسان الصدق الناقى للكنب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك
وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة الخلدية ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة ، إن
أوجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مذكراً ، وإن أومأ ^(٢) كان مُقنعا ، وإن أطال
كان مفهما ، وإن أمر فاحها ، وإن حكم فعادلا ، وإن أخبر فصادقا ، وإن بين فشافيا
سهل على الفهم ، صعب على المتعاطى ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج
تستضيء به القلوب ، حلوى إذا تذوقته العقول ، بحر العلوم ، وديوان الحكم ،
وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين
على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصم الباطل ، وصدع
بالحق ، وتآلف من النفرة ، وأتخذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع
به خد الكفر ^(٣)

الكلام البليغ

قال على بن عيسى الرمانى ^(٤) : البلاغة ماحط التكلف عنه ^(٥) ، ونبنى على
التبيين ، وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمع مع ذلك سهولة التخرج ،
منع قرب المتناول ، وعذوبة اللفظ ، مع رشاقة المعنى ، وأن يكون حسن الابتداء
كحسن الانتهاء ، وحسن الوصل ، كحسن القطع ، فى المعنى والسمع ، وكانت كل

(١) لا يخلق : لا يبل (٢) أومأ : أشار (٣) أضرع : أذل
(٤) وكان يعرف أيضا بالاخشيدي وبالوراق وهو بالرمانى أشهر — كما ذكر السيوطى .
فى بغية الوعاة — كان اماما فى المرية علامة فى الادب فى طبقة الفارسي والسيراقي
وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي : ان كان النحو مايقوله الرمانى فليس معنا
منه شيء . وان كان النحو مايقوله نحن فليس معه شيء . وكان معتزليا بصيرا بعلم
الكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفى فى ١١ جمادى الاولى سنة ٣٨٤
(٥) الضمير عائد على الكلام البليغ المفهوم من البيان

كلمة قد وقعت في حقها ، وإلى جنب اختها ، حتى لا يقال لو كان كذا في موضع كذا لكان أولى ، وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مستنكر ، ثم ألبس بها الحكمة ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت حلاوته في الصدر وجلالته في النفس ، تفتق الفهم ، وتنثر دقائق الحكم ، وكان ظاهر النفع شريف القصد ، معتل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ، فصيحاً في معناه ، بيناً في لغوه ، وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك عجز عن معارضته جميع الأنام

وصف القرآن

ألفاظ بواهل العصر في ذكر القرآن

— القرآن جبل الله الممدود ، وعهده المهود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وجهته الكبرى ، ومحجته الوسطي ، وهو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، الذي من استضاء بمصابحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه ضل وهوى .
— فضائل القرآن لا تستقصى في ألف قرن ، حجة الله وعهده ، ووعدته ووعدته ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، ويتنبه السامع ، ويتذكر اللاحق ، بشير الثواب ونذير العقاب ، وشفاء الصدور ، وجلاء الأمور ، من فضائله أنه يقرأ دائماً ، ويكتب ويحلى ، ولا يمل .

— ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه ، وتصور الموت أمامه

— طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ، ومفتاح لُبه

— من حق القرآن حفظ ترتيبه ، وحسن ترتيبه

قال بعض الحكماء : الحكمة موقظة للقلوب من سنة الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الخيرة ، وحمية لها من موت الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة ، لم دواء للقلوب العليقة ، ومشهد للأذهان الكليقة ، ونور في الظلمة ، وأنس

في الوحشة ، وصاحب في الوحدة ، وصمير في الخلوة ، ووصلة في المجلس ، ومادة للعقل ، وتبليغ للفهم ، وناف للعبي المزرى بأهل الاحساب ، المقصر بنوى الأبواب أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذي جعله صفة لكلامه في تنزيهه ، وأيد به رساله ايضاحا للمشكلات ، وفصلا بين الشبهات ، شرف به الوضع ، وأعز به اللليل ، وسود به المسود ، من تحلى بغيره فهو معطل ، ومن تعطل منه فهو مفعل ، لاتبليه الأيام ، ولا تخترمه النهور ، يتجدد على الابتدال ، ويزكو على الاتفاق ، لله على ما من به على عباده الحمد والشكر

ماهية البلاغة

قيل لعمر بن عبيد ما البلاغة ؟ قال : ما بلغت الجنة ، وعدل بك عن النار وبصرك مواقع رشدك ، وعواقب عملك . قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول ، قال ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَلَاءٌ ، أى قلة كلام ^(١) وكأوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل : ليس هذا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ، وسقطات الصمت ، قال ليس هذا أريد ، قال عمرو يا هذا فكأنك تريد تحبير اللفظ ^(٢) في حسن الإفهام ، قال نعم ، قال إنك إن أردت تقرير حجة الله عز وجل في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤنة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين ، بالألفاظ الحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة إجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، واستوجبت

(١) وفي الاصل «فينا لكاً» وهو تحريف

(٢) تحبير اللفظ : تحسينه . قالوا : وكان مهلهل محير شعرة .

من الله جزيل الثواب ، قليل لعبد الكريم بن روح الغفارى من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال سألت عن ذلك أباحفص الشمرى فقال : ومن يجترى عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ؟

عمرو بن عبيد

وعمر بن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة فى وقته ، وهو أول من تكلم على الخلق ، واعتزل مجلس الحسن البصرى ، وهو أول المعتزلة (١)

ودخل عمرو بن عبيد على أبى جعفر المنصور فقال : عظمى . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لو كان باقيا لأحد قبلك ، ما وصل اليك ، ألم تركيف فعل ربك . بعد ، إرم ذات العماد ؟ فبكى المنصور حتى بلَّ ثوبه ، ثم قال : حاجتك ، يا أبا عثمان وكان المنصور لما دخل عليه طرح عليه طيلساناً . فقال : يرفع هذا الطيلسان عني ؟ فرفع ، فقال له أبو جعفر : لاتدع إتياننا ! قال : نعم ، لا يضغنى وإياك بلد إلا دخلت اليك ولا بدت لى حاجة إلا سألتك ، ولكن لاتعطنى حتى أسألك ، ولا تدعنى حتى آتيك ، قال : إذاً لاتأتينا أبداً !

وقد روى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد ، وقوله (لو كان هذا الأمر باقياً لأحد قبلك ما وصل اليك) كقول ابن الرومى

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة * إذا زال عن عين البصير غطاؤها
وكيف بقاء الناس فيها وإيما * يُنال بأسباب الفناء بقاؤها
ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يجعل فوقك أحداً ، فلا تجعل فوق شكره شكراً .

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له : هذا ابن أخيك

(١) ارجع الى مناقشة آراء المعتزلة وأهل السنة في كتاب «الاخلاق عند الغزالي»

المهدي وليُّ عهد المسلمين ، فقال : سميت اسمي لم يستحق حمله ، ويفضي اليك الأمر وأنت عنه مشغول
 وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم أغنني بالافتقار اليك ، ولا تقترني
 بالاستغناء عنك .
 وقال له المنصور يا أبا عثمان ، أعنني بأحبابك ، قال يأمر المؤمنين ، أظهر الحق
 . يتبعك أهله !
 وقال عمر الشمرى : كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم ، وإن تكلم لم يكده
 يطيل ، وكان يقول : لا خير في التكلم ، إذا كان كلامه لمن يشهده دون قائله ،
 وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتيك
 به التكلف ^(١)

البلاغة عند أهل الهند

قال معمر ابن الأشعث قلت لبهله الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء
 الهند : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهله عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ،
 ولكنى لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعة ، فأثقت من نفسى بالقيام
 بخصائصها ، ولطيف معانيها ، قال ابن الأشعث فتلقيت تلك الصحيفة المترجمة
 فإذا فيها :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابطاً الجأش ^(٢)
 ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متغير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ،
 ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدق
 المعاني كل التدقيق ، ولا يتقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصفىها كل التصفية ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوش بضم الجيم

ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا عليًا ، قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالتقاط ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة التصنع والاعتراض ^(١) ووجه النظر والاستطراف

البلاغة في رأى ابن المقفع

قال اسحاق بن حان ابن قوهى لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبدالله بن المقفع إذ قال :

البلاغة اسم لمعانٍ تجرى في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعرًا ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جوابًا ، ومنها ما يكون سجعًا ، ومنها ما يكون خطبًا ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فغاية هذه الأبواب الوحى فيها والإشارة الى المعنى ، والأعجاز هو البلاغة فاما الخطب فاما بين السامعين ^(٢) وفي اصلاح ذات البين ، فالأكثر في غير خطب ^(٣) والاطالة في غير إملال ، ولكن ليكن في صدر كلامك ، دليل على حاجتك ، كما أن خير آيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول : (فرّق بين صدر خطبة النكاح ، وخطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزه ^(٤)) فإنه لاخير في كلام لا يدل على معنائه ، ولا يشير إلى مغزاك ، وإلى العمود الذى إليه قصدت ، والغرض الذى اليه نزعتم

(١) التصنع : تقليب الصفحات (٢) بين السامعين : الصنف

(٣) الخطب : السخف (٤) ما وضعه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع

فقيل له : فإن ملّ المستمع الاطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموضع ؟ قال :
إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقت بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من
يعرف حقوق ذلك ، فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فانهما لا يرضيان
بشيء ، فأما الجاهل فليست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا ينال

الاطالة والايجاز

وقد مدحوا الاطالة في مكانها كما مدحوا الايجاز في مكانه ، قال أبو داود
ابن جرير في خطباء اباد

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء^(١)
قال أبو وجزة السعدي يصف كلام رجل

يكفي قليل كلامه وكثيره * ثبت اذا طال النصال مضيب^(٢)
وأشدد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد^(٣) ولم يسم قائله ، وهو مولد ولم ينقصه
توليد من حظ القديم شيئاً

طبيبٌ بداء فنون الكلام * فلم يعي يوماً ولم يهذر
فان هو أظنّب في خطبة * قضى للطويل على المنزّر^(٤)
وإن هو أوجز في خطبة * قضى للمقلّ على المكثّر
وقال آخر يصف خطيباً :

فاذا تكلم خلت متكلماً * بجميع عدّة السن الخطباء
فكان آدم كان علمه الذي * قد كان علمه من الأسماء

(١) المراد من وحي الملاحظ إشارة العيون (٢) ثبت : مثبت (٣) كان المبرد امام
العربية ببغداد في زمانه وكان فصيحاً بليغاً مفوها صاحب نوادر وظرف وكان خيلاً
لأسما في صباه ، ولما صنف المازني كتاب الالف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه
فأجابيه بأحسن جواب فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء ، أي التبت للحق ، فغيره
الكوفيون وفتحوا الراء . ولد في سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (٤) المنزّر : المقل

وكان أبو داود يقول : تخليص المعاني رفقي ، والاستعانة بالغريب عجز ،
والتشديق في الإعراب قص ، والنظر في عيون الناس عي ، ومسّ الحية
هلك ، والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب .

وقال بعضهم يهجو رجلا بالعي

مكي : يبهر والتفات وسعة * ومسحة عثنون وقتل الأصابع^(١)

ووصف العتاني^(٢) رجلا بليغا فقال :

كان يظهر ماعض من الحجة ، ويصور الباطل في صورة الحق ، ويفهمك
الحاجة من غير إعادة ولا استعانة .

قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه ياهنأة ، واسمع ،
وفهمت ؟ وما أشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصر ! وإنما ينقطع
عليه كلامه فيحاول وصله بهذا ، فيكون أشد لا تقطاعه .

وكان أبو داود يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدرية ، وخنجاحها
رواية الكلام ، وحليها الأعراب ، وبهاؤها تحيّر اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه

المعاني والالفاظ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال بعض جهابذة الالفاظ ، وُقّاد المعاني :

المعاني القائمة في صدور الناس ، والمتصورة في أذهانهم ، المختلجة في نفوسهم

(١) البهر : تتابع النفس وانقطاعه من الأعياء . والعثنون الحية

(٢) العتاني هو كثرهم عمرو أصله من الشام من أرض قنسرين ، سجد البرامكة ثم سجد
طاهر بن الحسين وعلى بن هشام القائدين . وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره ،
يشبه في المحدثين بالناطقة في الجاهلية . ومن حيد شعره قوله في جعفر بن يحيى وقد
كان باع الرشيد عنه ما أهدر به دمه خلصه جعفر

مازلت في غمرات الموت مطرحا يضيق عني فسح الرأي من حيلي

فلم تزل دأبنا تسمى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من بدى أجل

وكانت وفاة العتاني سنة ٢٢٠

المتصلة بخواطرم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، وبحجوبة
مكنونة ، وموجودة في معنى معنومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة
أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه ، والمعاون له على أمره ، وعلى ما لا يبلغه من
حاجات نفسه إلا بعيره ، وإنما يحكي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم
أياها ، وهذه الخصال هي التي تقرر بها من الفهم ، وتجلبها للعقل ، وتجعل الخفي منها
ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً ، وهي التي تلخص الملتبس ، وتجل المنعقد
وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروف ، والوحي مألوف ، وعلى قدر
وضوح الدلالة ، وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون
ظهور المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور ،
كانت أتم وأجمع في البيان ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي
سمعت الله يدعوه ويدعوا اليه ، ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت
العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .

والبيان اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الحجب
دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محضوله ، كأنما كان
ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الليل ، لأن مدار الأمر ، والغاية التي
اليها يجري القائل والسامع : إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام ،
وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

ثم اعلم حفظك الله أن حكم المعاني خلاف حكم الالفاظ ، لأن المعاني مبسطة
الى غير غاية ، وممتدة الى غير نهاية ، وأسما المعاني محصورة معدودة ، ومحصلة
محدودة ، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء
لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي
تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال البالغة التي تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر
عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورة بائنة من صورة

صاحبها ، وحليّة مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها ، في السارّ والظاهر ، وعمّا يكون منها لغواً بهرجاً ^(١) وساقطاً مطرّحاً وفي نحو قول أبي عثمان (إن المعاني غير مقصورة ولا محصورة) يقول أبو تمام

الطائي لأبي ذؤلف القاسم بن عيسى العجلي

ولو كان يقضى الشعر أفنته ما قرّت * حياضك منه في العصور الله واهب ^(٢)
ولكنه فيض القول اذا انجلت * سحابك منه أعيت بسحاب

كما أشار إلى قول أوس بن حجر الأسدي

أقول بما صبت على غمامتي * وجهدي في جبل المشيرة أحطب ^(٣)
وقال بعض البلغاء :

في اللسان عشر خصال محمودة : أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير وحام يفصل الخطاب ، وواعظ ينهى عن التبيح ، وناطق يرّد الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ، ومُعرب يُشكر به الاحسان ، ومُعزّ تذهب به الاحزان ، وجامد يذهب الضغينة ، وموتق يلهي الأسماع .

وقال أبو العباس بن المعتز : لحظة القلب ، أسرعُ خطرةً من لحظة العين وأبعدُ مجالاً ، وهي الفائضة في أعماق أودية الفكر ، والمتأملّة لوجوه العواقب ، والجامعة بين ما غاب وحضر ، والميزان الشاهد على ما تقع وضرّ ، والقلب كالعلمي للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد اذا كتبت . والعامل يكسو المعاني وشئ الكلام في قلبه ، ثم يديها بألفاظ كواسٍ في أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بأظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها .

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط

(١) بهرج : ردئ (٢) قرّت : أخذت (٣) يحطب في جبل المشيرة أى يستعين

بها كما يستعين المخاطب بالحبل

بمعاك ويكشف عن مغزائك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل وذكر سهل بن هارون ^(١) وقيل ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى فقال :
قد جمع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل ^(٢) والجزالة والحلاوة ، وكان يفهم
إفهاماً يفنيه عن الاعداء للكلام ، ولو كان يستغنى مستغن عن الإشارة بمنطقه
لاستغنى عنها جعفر ، كما استغنى عن الاعداء ، فإنه لا يتجسس ^(٣) ولا يتوقف في
منطقه ، ولا يتجسس ، ولا يتسعل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا
يلتمس معنى قد عصاه بعد طلبه له

بشار بن برد

قيل لبشار بن برد : بيم فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك ، في حسن
معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لا في لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ،
ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت الى مغارس الفطن ، ومعاذن الحقائق
ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سيرها ،
وانتقيت حرثها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها ، والله ما ملك
قيادي قط العجاب بشيء مما آتى به

وكان بشار بن برد خطيباً ، شاعراً ، راجزاً ، سجعاً ، صاحب منشور ،
ومزكج ، ويلقب بالمرعث لقوله

من لظبي مرعث ^(٤) * ساحر الطرف والنظر

(١) كان سهل بن هرون بن الخطباء الشعراء الذين جنوا الشعر والخطب والرسائل
الطوال والقصار . وقعت آراؤه في الأدب وتدبير الملك مفرقة في الكتب ، ولم يصل
اليها من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر . وقد أطلقني المسيو مارسيه في باريس
على مذكرات مهمة قيد فيها ما عثر عليه من آثار ذلك الكاتب البليغ . وكانت وفاة سهل
ابن هرون سنة ١٧٣ (٢) الهدى : السرعة (٣) في الاصل (يتحسن) وهو تحريف
(٤) مرعث : يلبس الرعدة بالضم وهي القرط

قال لي لن تنالني * قلت أو يطلب القدر
وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وسأستقبل ذلك ان شاء الله

وصية أبي تمام للبحترى

قال الوليد بن عبيد البحترى :

كنت في حدائق أروم الشعر ، وكنت ارجع فيه الى طبعي ، ولم أكن أقف
على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام واقطعت فيه إليه ،
وانكملت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي :

يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الموم ، صفر من الغيوم ، واعلم أن
المادة جرت في الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر
وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، وإن أردت
التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رقيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوَجُّع
الكآبة ، ، وقلق الاشواق ، ولوعة الغراق ، فإذا أخذت في مديح سيد ذي أياذ
فاشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبين معالنه ، وشرف مقامه ، ونصّد المعاني (١)
واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة ، ولتكن كأنك
خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد ، وإذا عارضك الضجر ، فأرح نفسك ،
ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة (٢)
إلى حسن نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين

وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء
فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوقعت على السياسة (٣)

(١) نصّد : من التشديد ، وهو ضم بعض الشيء الى بعض (٢) الذريعة : الوسيلة

(٣) ارجع الى نقد هذه الوصية في كتاب (الموازنة بين الشعراء)

وقالوا : البليغ من يحرك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الالفاظ على قدود المعاني

فضل الليل

ولذكر الطائي الليل ذكر بعض أهل العصر وهو أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي ^(١) الليل فقال : فيه تحيم الأذهان ^(٢) ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتدر الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أضوء في مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأغون على صدقة السر ، وتلاوة الذكر ، ومدير الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير ، في دفع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني وتقويم المباني ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام

فضل التروى والأناة

وقال بعض رؤساء الكتاب :

ليس الكتاب في كل وقت على غير نسخة لم تحرز بصواب ، لأنه ليس أحداً أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشر بلاغته ، فينبغي له أن يعمل النسخ ويروىها ، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له

(١) كان الحاتمي حسن التصرف في الشعر يجمع بين البلاغة في الثر والبراعة في التنظيم ، وكان من خصوم التنبي وله في شعره عدة إبحاث ، ومن جيد شعره قوله في وصف الثريا :

وليل أفتنا فيه نمل كاسنا الى أن بدا للصبح في الليل عسكر
ونجم الثريا في السماء كأنه على حلة زرقاء حبيب مندر

مات في شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٨ (٢) تجم : تستريح (٣)

عارفون بكتابه متفردون عليه ، متفردون اليه . وقال آخر : ان لا ابتداء الكلام
فتنة تروق ، وجدة تعجب ، فاذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت
النفس ، فليعد النظر ، وليكن فرحه باحسانه مساوياً لغمه باساءته ، فقد قالت
الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دعوا
الرأى حتى يبلغ أناته ، فانه لاخير في الرأى الفطير ، والكلام القضيبي^(١)

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا
وكذا فقال : أريد أن أصقل عقلي بنومة القائلة^(٢) ثم أروح فأقول أبعد ما عندي.
وقال الشاعر

إن الحديث نثر القوم جالوته^(٣) * حتى يغيره بالوزن مضار
فعد ذلك تستكفي بلاغته * أو يستمر به عي وإكثار
وقالوا : كل مجر بالخلاء يسر^(٤)

وقال أبو الطيب المتنبي

وإذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطمن وحده والنرا
وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً قليل له في ذلك فقال : ان الكلام يزدهم
في صدرى ، فيقف قلبي ليتخير .

وقالوا : الكتاب يتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب ، لأن الكاتب متخير
والخطيب مضطر ، ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أسرع فيه أم أبطأ ،
وانما ينظر أخطأت أم أصبت ، فابطاؤك غير قاذح في إصابتك كما إن إسراعك غير
منطّر على غلطك

(١) الرأى الفطير : الذى لم ينضج ، والكلام القضيبي : المرتجل (٢) نومة القائلة :
نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذى يجرى فرسه بالخلاء يسر
بظفره حيث لا مناصل ، وهو مثل فى التهم

واجب النساخ

ووصف بعض الكتاب النسخ فقال : ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها . ثم تستبرأ بأعادة النظر فيها بعد اختبارها^(١) ويوسع بين سطورها ، ثم تحرر على ثقة بصحتها ، وتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً إلى آخرها . فقد كتب المأمون مصحفاً اجتمع عليه فكان أوله بسم الله الرحيم ، فأغفلوا الرحمن : لأن العين لا تعتبر ذلك ثقة أنه لا يفلط فيه ، حتى فطن المأمون له

وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن ابن وهب : حرر هذه النسخة و بكر بها ، فتصيح الحسن^(٢) ، فقال له : لم تصبحت ؟ قال : حتى تصفحت !

وقال احمد ابن اسماعيل بطاحة : كان بعض العلماء الاغبياء ينظر في نسخه بعد نفوذ كتبه ، فقال بعض الكتاب

مُتَلَبِّ اللب غَوَى الشَّبَابُ * عَذِبُهُ الْمَجْرُ أَشَدَّ الْعَذَابِ
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأُنَى لَهُ * بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابُ
كناظر في نسخة ينبغي * إصلاحها بعد نفوذ الكتاب

صور مختلفة للبلاغة

أوصاف بليغة في البهرغات على ألسنة أقوام من أهل الصناعات

قال بعض من ولد عقائل هذا المنور ، وألف فواصل هذه الشذور :

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم^(٣)
— قال الجوهري : أحسن الكلام نظاماً ما ثقيته يدُ الفكرة ، ونظمتُه

(١) تستبرأ : تحفظ (٢) تصيح : تأخر عن الحضور صباحاً

(٣) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد

وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي

La prose arabe au IV^e siècle de l'hégire

الفطنة ، ووُصل جوهر معانيه ، في سموط ^(١) ألفاظه ، فاحتملت محور الرواة
 — وقال العطار : أطيب الكلام ما عُجِنَ عنبر ألفاظه بمسك معانيه ، ففاح
 نسيم نَشَقِهِ ، وسطعت رائحة عِبَقِهِ ، فتعلقت به الرواة ، وتقطرت به السُراة
 — وقال الصائغ : خير الكلام ما أحميته بكبير الفكر ^(٢) ، وسبكته بمشاعل
 النظر ، وخلصته من خبث الإطناب ، فبرز بروز الأبريز ^(٣) في معنى وجيز
 — وقال الصيرفي ^(٤) : خير الكلام ما قدّمته يد البصيرة ، وجلته عين الروية ،
 ووزّن بمقيار الفصاحة ، فلا نظير يُرِيّه ^(٥) ولا سماع يهرجه ^(٦)
 — وقال الحداد : أحسن الكلام ما نَصَبَتْ عليه منفخة القريحة ، وأشعلت
 عليه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فم الإلخام ^(٧) ، ورققته بفطيس الإفهام ^(٨)
 — وقال النجار : خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقُدوم التقدير ، ونشرته
 بمشار التدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضة لسقف اللسان
 — وقال النجّاد : أحسن الكلام ما لطفت رعارف ألفاظه ^(٩) وحسنت مطارح
 معانيه ، فتزدهت في زرابي محامنه عيون الناظرين ^(١٠) وأصاحت لنمازق ^(١١)
 يهجه آذان السامعين
 — وقال الماتع : أين الكلام ما علّقت ودّم ألفاظه بكرة معانيه ^(١٢) ثم أرسلته
 في قلبب الفطن ^(١٣) فتحت به سقاء يكشف الشبهات ، واستنبطت به معنى يروى
 من ظلم المشكلات

- (١) السموط : جمع سميطة وهو خيط النظم (٢) الكبير بالكسر : هو منفخة الحداد
 (٣) الأبريز : هو الذهب الخالص (٤) الصيرفي صراف الدراهم والجمع صيارفة وجاء في
 الشعر صياريف (٥) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداعتها (٦) يهرجه : يحكم بأنه
 يهرج ، والهرج الباطل والردى (٧) الإلخام : الجز عن اليان ، ومنه : شاعر مفعّم ،
 على صيغة المفعول (٨) الفطيس : المطرقة (٩) الرعارف : الاطراف ، مفردھا
 رفر (١٠) الزرابي : واحدها زربي ، بالكسر ويضم ، وهو كل ما بسط واتكى عليه
 (١١) النمازق : واحدها النمرقة بالتثنية وهي الوسادة الصغيرة (١٢) الودم : اللؤلؤ
 (١٣) القلبب : البثر

— وقال الخياط : البلاغة قينصُ فُجْرُبَّانَه اليان ^(١) وجيبه المعرفة ، وكلمه الوجازة ، ودخاريصه الإيهام ^(٢) ودُرُوزَه الحلاوة ^(٣) ولايس جسده اللفظ ، وروحه المعنى

— وقال الصباغ : أحسن الكلام ما لم تَنْبُضْ بهجة إيجازه ^(٤) ولم تكشف صفة إيجازه ، قد صقلته يد الروية من كُمُود الإشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألف عذارى الألباب

— وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة ألفاظه بسدى معانيه ^(٥) فخرج مفوقاً منيراً ، وموشىً مجبراً

— وقال البراز : أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه ، وحسن نشر معانيه فلم يستعجم عنك نشر . ولم يستبهم عليك طلى

— وقال الرائض : خير الكلام ما لم يخرج عن حد التخليع ^(٦) الى منزلة التقريب ^(٨) إلا بعد الرياضة ، وكان كالهرم الذي أطلع أول رياضته ، في تمام ثقافته

— وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام كلامه ، فأناخه في مبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عقلاً ، والايجاز له مجالاً ، فلم يندد عن الآذان ، ولم يشذ عن الأذهان

— وقال الخنث : خير الكلام ما تكسرت أطرافه ، وتشتت أعطافه ، وكان لفظه حلة ، ومعناه حلية

— وقال الحار : أبلغ الكلام ما طبخته مراحل العلم ، وصفاه راووق الفهم ، وضمته دنان الحكمة ، فتمشت في المفاصل عذوبته ، وفي الأفكار رفته ، وفي العقول حذته

(١) الجربان : الطلوق (٢) الدخاريص : فتحات الأزارار (٣) الدروز : الأطراف

الرقاق (٤) لم تنبض : لم تمتح (٥) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به التوب

(٦) البراز : يائع البرز ، بالفتح ، وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب

(٧) التخليع : السير الخفيف (٨) التقريب : ضرب من العدو ، أو هو ان يرفع

- وقال الفقاع : خير الكلام ما أزاحت ألفاظه غباوة الشك ، ورفعت رفته
فظاظة الجهل ، فطاب حساء فطنته ، وعذب مص جرّعته
- وقال الطيب : خير الكلام ما إذا باشر دواء يئانه سقم الشبهة ، استطلقت
طبيعة العبادة ، فشقى من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم
- وقال الكحال : كما أن الرمد قدّى الأبصار ، فكنا الشبهة قدّى البصائر ،
فاكل عين اللكنة بيميل البلاغة ، واجلّ رمص الغفلة ^(١) بمردو البقطة
- ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمسُه ، انكشف
لبّئُه ، واذا صدقت أنوآؤه ^(٢) اخضرت أحماؤه ^(٣)

قصر في وصف البلاغة لغير واعر

- قال اعرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل
على كثير
- قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تقرير المعنى في الافهام ، من أقرب
وجوه الكلام
- ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام
- سهل بن هرون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب . وقال : العقل رائد
الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم
- ابراهيم بن الامام : يكفى من البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق
ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع
- العتّابي : البلاغة مدّ الكلام بمفانيه اذا قصر ، وحسن التأليف اذا طال
- اعرابي : البلاغة إيجاز في غير عجز ، وإطناب في غير خطل

الجواد يديه معا ويضعهما معا (١) الرمس : وسخ أيضا يجتمع في موق العين

(٢) الانواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والمراد به هنا المنظر

(٣) الاحماء : جمع حمى وهو المكان يحمية الرجل ويمتعه

- وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام
— وقيل للرومي ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداية ، والنزارة
يوم الاطالة
— وقيل للهندي ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة
— وقيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل
— وقال علي بن عيسى الرمانى : البلاغة إيصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة
من اللفظ

صفة البلاغة والبلغاء

ومن كهدم أهل العصر فى صفة البروزة والبلغاء

- أبلغ الكلام ما حسنَ إيجازه ، وقلَّ مجازه ، وكثرَ إيجازه ، وتناسبت صدوره
وأعجازه .
— أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤنس مضيقه
— البليغ من يجتنى من الالفاظ أنوارها ، ومن المعاني ثمارها
— ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانهُ ، أو يُبسَط رِهان القول وميدانه
بل هى أن يُبلِّغ أمد المراد بالفاظ أعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على
الحاجة ، ولا اخلال يفضي إلى القافة
— البلاغة ميدان لا يُقَطَّع إلا بسوابق الاذهان ، ولا يُسَلَّك إلا ببصائر اليان
— فلان يصبث بالكلام ، ويقوده بالآلن زمام ، حتى كأن الالفاظ تتحاسد فى
التسابق الى خواطره ، والمعاني تتغاير فى الاثيال على أنامله
هنا كقول أبى تمام الطائي :
تغايرَ الشعر فيه اذ سهرتْ له * حتى ظننت قوافيه ستقتلُ

— فلان مشرقى المشرق ، وصيرفى المنطق ، البيان أصغر صفاته ، والبلاغة عفو خطراته ، كأنما أوحى بالتوفيق الى صدره ، وحسن الصواب بين طبعه وفكره ، — فلان يحز مفصل الكلام ، ويسبق فيها إلى درك المرام ، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ماطلب ، وترك بعد ذلك أذنايا لا رؤوسا ، وأجسادا لا نفوسا

— فلان يرضى بعفو الطبع ، ويقنع بما خف على السمع ، ويوجز فلا يحل ، ويطنب فلا يمل

— لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ، ويجذبها أنى شاء ، فلا تعصيه بين الصعب والدلّول ، ولا تسلمه عند الحزون والسهول ، كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر الأملس ، ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس ، يقول فيصول ، ويجب فيصيب ، ويكتب فيطبق المفصل ، وينسق البر المفصل ، ويرد مشارع الكلام وهي صافية لم تطرق ، وجمامة لم ترنق^(١) خاطره البرق أو أسرع لمعا ، والسيف أو أخذ قطعاً ، والماء أو أسلس جريا ، والفلك أو أقوم هديا

— هو بمن يسهل الكلام على لفظه ، وتزاحم المعاني على طبعه ، فيتناول المرمى البعيد بقليل سعيه ، ويستنبط المشرع العميق يسير جريه

— لسانه يفلق الصخور ، ويفيض البحور ، ويسمع الصم ، ويستنزل الصم^(٢) — خطيب لاتناله حُبسة ، ولا ترهنه لُكنة ، ولا تمتشى فى خطابه رُنة ، ولا تتعيف بيانه عُجْمة ، ولا تعترض لسانه عُقْدة

— فلان رفيق الأسلة ، غلب العذبة^(٣) لوضع لسانه على الشعر حلقه ، أو على الصخر فلقه ، أو على الصفا خرقه^(٤) قد أحسن السفارة ، واستوفى العبارة وأدى الالفاظ واستغرق الاغراض ، وأصاب شواكل المراد ،^(٥) وطبق مفصل

(١) جمامة لم ترنق : ساكنة لم تمكرك (٢) الصم : جمع أعصم وهو الوعل يتعصم بالجبال (٣) المراد من الأسلة والمذبة طرف اللسان (٤) الصفا : الصخر (٥) الشواكل : جمع شاكلة وهي ما بين الأذن والصدغ.

السداد، وبسط لسان الخطاب ، ومدّ أطناب الإطناب^(١) ، وطلب الأمد في الإسهاب، قال حتى قال الكلام لو أغفيت ! وكتب حتى قالت الأقلام قد أحفيت ، قد اتسع له مَشَرَعُ الإطناب ، واقترح له مَسَلُّكُ الإسهاب ، أرسل لسانه في ميدانه ، قال وأطال ، وجال في بسط الكلام كل مجال ، إذا اسحنفر في الكلام طفح أذية ، وسال أثية^(٢) ، وانتال عليه الكلام ، كانشيال النعام ، واستجاب له الخطاب ، كصوب الرّباب^(٣)

— ألفاظ ، كغمزات الألفاظ ، ومعان ، كأنها فك عان^(٤)

— ألفاظ كما نورّت الأشجار ، ومعان كما تنفست الاسعار

— ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب بين الاحباب ، واستلانت كتشكّى العشاق

يوم الفراق

— كلام قريب شاسع^(٥) ومطمع مانع ، كالشمس تقرب ضياء ، وتبعد علاء أو كالماء ، يرخص موجوداً ، ويضلو مفقوداً

— كلام لا تجمه الآذان ، ولا تبليه الأزمان ، كالبشرى مسموعة ، أو أزاخير الرياض مجموعة ، ومعان كأنفاس الرياح ، تعبق بالريحان والراح

— كلام سهل متسلسل ، كاللدام ، بماء النعام ، يقرب إذنه على الافهام

— كلام كبرد الشراب ، على الانكباد الحرار ، ويردّ الشباب ، في خلع العذار

— كلام كثير العيون ، سلسل المتون ، رقيق الحواشي ، سهل النواحي

— كلام هو السحر الحلال ، والماء الزلال ، والبرود والجبر ، والأمثال والعبر ،

والنعم الحاضر ، والشباب الناصر ، نظرت منه إلى صورة الظرف بحتاً ، وصورة البلاغة سبكاً ونحتاً

— ألفاظ هي خِدَعُ الدهر وعُقَدُ السحر

— كلام يسر المحزون ، ويسهل الحزون^(٦) ويعطل الدر المحزون

(١) الاطناب : الخيال (٢) الأدنى : الموج ، والاقى : السيل ، واسحنفر : اتسع

(٣) الرباب : السحاب (٤) جان : أسير (٥) شاسع : بعيد (٦) الحزون : جمع

حزن بفتح الحاء وهو ما غلظ من الارض

- كلام بعيد من الكلف ؛ تقي من الكلف^(١)
 — كلام كما تنفس السجّر عن نسيمه ، وتيسّر الدر عن نظيمه
 — ألفاظ تأتق الخاطر في تذهيبها ، ومعاني عنى الفهم بتهذيبها
 — ألفاظ حسبتها من رقها منسوخة في صحيفة الصبا ، وظننتها من سلاستها مكتوبة
 في نحر الهوى

- كلام كالبرى بالولد الكريم ، قرّع به سمع الشيخ القيم
 — كلام قرّب حتى أطمع ، وبعل حتى امتنع ؛ قرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى
 ثم علا حتى صار بالمثل الأعلى ، رقيق المزاج ، حلو السماع ، تقي السبك ، مقبول
 اللفظ

- قرأت لفظاً جلياً ، حوى معنا خفياً ، وكلاماً قريباً رمى غرضاً بعيداً
 — لو أن كلاماً أذيب به صخر ، أو أطفئ به حجر ، أو عوفي به مريض ، أو
 جبر به مريض^(٢) لكان كلامه الذي يقود سامعيه إلى السجود ، ويجري في
 القلوب كجوى الماء في العود

- ألفاظه أنوار ، ومعانيه ثمار
 — كلامه أنس المقيم الحاضر ، وزاد الراحل المسافر
 — كلامه يصغى إليه المقبور ، ويفتض له المصفور
 — كلام يقضى حق البيان ، ويملك رق الحسن والاحسان
 — كلام منه يجتنى الدر ، وبه يُقَدّ السحر ، وعنده يُعْتَبِ الدهر^(٣) ، وله
 ششرح الصدر

(١) الكلف : تمش في الوجه ، لم تسلم منه صفحة القدر !
 (٢) مريض : مكسور (٣) يعتب : يصفو ، من أعتباً : ترضى وازال أسباب العتب

وصف النثر والشعر

ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والسحراء

- نثر كُنْثَرُ الْوَرْدِ
- نَظْمٌ كَنَظْمُ الْعَقْدِ
- نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق
- رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالخندرة الرشيدة
- رسالة تقطر ظرفاً ، وقصيدة تخرج بماء الراح لطفاً
- نثره سحر البيان ، ونظمه قطع الجنان
- نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر
- نثر تروق نواحيه وحواشيه ، ونظم تروق ألفاظه ومعانيه
- نثر كالخديعة تفتتح أحداق وردّها ، ونظم كالخريدة تورّدت أسرار خدّها (١)
- رسالة تضحك عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوى على حبر ودُرر
- لم ترض في برك بأخوات النثرة من نثر ك ، حتى وصلت بها بينات الشعرى من شعرك (٢)
- كلام كاهب نسيم السحر ، على صفحات الزهر ، ولذ طعم الكرى بعد بزح السهر (٣) ، وشعر في نفسه شاعر ، تؤسم به المواسم والمشاعر
- كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته ، وشعر من حلة الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق
- قصيدة في فنّها فريدة ، هي عروس كسوتها القوافي ، وحليتها المعاني

(١) الخريدة : الفتاة الخندرة (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعرى

(٣) بزح السهر : شدته

— شعر يترقق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب والسمع ، لا مزية
الاعجاز أخطأته ، ولا فضيلة الایجاز تخطته

— شعر رَوَيْتَهُ لَمْ رَأَيْتَهُ ، وَحَفَظْتَهُ لَمْ احْفَظْتَهُ

— أَيْبَاتُ لَوْ جُعِلَتْ خِلْعًا عَلَى الزَّمَانِ لَتَحَلَّى بِهَا مَكَثُوا ، وَتَحَلَّى فِيهَا مَفَاخِرُ

— شعر راقى حتى شاقى ، فانه مع قرب لفظه بعيد المرام ، مُرَّ النِّظَامِ ، قَوَى
الْأَسْرَ (١) صَافِي الْبَحْرِ

— نَظْمٌ قَدْ أُلْبِسَ مِنَ الْبِدَاوَةِ فَصَاحَتَهَا ، وَغَشَّى مِنَ الْحَضَارَةِ سَجَاحَتَهَا (٢) ،
فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ عَبِيدَ وَلِيدٍ ، وَإِنْ شِئْتَ حَبِيبَ وَالْوَلِيدِ

— قَصِيدَةٌ رَوْضَةٌ تُجْتَنِي بِالْإِسْكَارِ ، وَتَقْلُ يُتَنَاوَلُ بِالْإِسْمَاعِ وَالْإِبْصَارِ (٣) ، وَتَقْلُ
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ أَلَدَ مِنْ تَقْلِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ ، وَفَا كَهَةِ الْكَلَامِ ، أَطِيبَ مِنْ
فَا كَهَةِ الطَّعَامِ

— نَظْمٌ كَنَظَمَ الْجَنَانَ ، وَرَوَّضَ الْجِنَانَ ، وَأَمَّنَ الْفَوَادِ ، وَطِيبَ الرِّقَادِ
— قَصِيدَةٌ لَمْ أَرْغَبْهَا بِكَرًّا اسْتَوْفَتْ أَقْسَامَ الْخُنْكَ ، وَاسْتَكْمَلَتْ أَحْكَامَ الدَّرَجَةِ (٤)
فَعَلِيهَا رَوَّقَ الشَّبَابُ ، وَلَهَا قُوَّةُ الْمَذَكِّيَاتِ الصَّلَابِ (٥) ، رُوحُ الشَّعْرِ ، وَتَاجُ الدَّهْرِ ،
وَمَقْدِمَةُ عَسَاكِرِ السَّحْرِ ، كُلُّ بَيْتٍ شَعْرٌ ، خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ تَبَرٍ

— شعر يُحْكَمُ لَهُ بِالْإِسْمِ عَجَازُ وَالتَّبَرِيزُ ، وَيُشَبَّهُ فِي صِفَاءِ سَبْكِهِ بِالذَّهَبِ الْإِيرَازِ
— شعر تَأْتَلَفُ الْقُلُوبُ عَلَى دُرِّهِ اِثْتِلَافًا ، وَتَصِيرُ الْآذَانُ لَهُ أَصْدَافًا
— اللَّهُ دَرُّهُ مَا أَطْلَى شَعْرَهُ ، وَأَتَقَى دُرُّهُ ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ ، وَأَعْجَبَ أَمْرَهُ ، قَدْ أَخَذَ
بِرِقَابِ الْقَوَافِي ، وَمَلَكَ رِقَ الْمَعَانِي ، فَضْلُهُ بَرَهَانٌ حَقٌّ ، وَشَعْرُهُ لِسَانٌ صَدَقَ -
— فَلَانٌ يُعْرَبُ بِمَا يَجْلِبُ ، وَيُبْدَعُ فِيمَا يَصْنَعُ ، حَسَنُ السَّبْكِ ، مُحْكَمُ الرَّصْفِ ،
بَدِيعُ الْوَصْفِ ، مَرْغُوبٌ فِي شَعْرِهِ ، يُتَنَافَسُ فِي سَحْرِهِ

(١). الْأَسْرُ : إِحْكَامُ الْخَلْقَةِ (٢) السَّجَاحَةُ : اسْتَوَاءُ الصُّورَةِ (٣) الثَّقَلُ : مَا يَنْتَقِلُ
بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَوَائِدِ عَلَى الْإِشْرَابِ (٤) الْخُنْكَ : التَّجْرِبَةُ ، وَالْهَرَبَةُ : التَّمَرُّنُ
(٥) الْمَذَكِّيَاتُ وَالْمَذَاكِي : الْحَيُولُ بَلَّغَتْ سِنَ الْقُوَّةِ

— هو ضارب في قداح الشعر بأعلى السَّهْم ، آخذٌ في عُيُون الفضل بأوفى الأقسام
شعاره أشعاره ، ودأبه آدابه

— هو من ينتدع فينتدع ، طبعه على عليه ، ما لا يعل الاستماع اليه
— قريحة غير قريحة ، وطبع غير طبع ^(١) ، وخيم غير وخيم ، لبيد عنده لبيد ،
وعبيد لديه من العبيد ، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير ^(٢) وجرير يقاد إليه
بجرير ^(٣)

— قد نسج حللاً لا يُبلى جذتها الجديدان ، ولا تزداد إلا حسنا على تردد الازمان
— نظمه قد نظم حاشيتي البر والبحر ، وأدرك ناحيتي الشرق والغرب
— أشعار قد وردت المياه ، وركبت الأفواه ، وسارت في البلاد ، ولم تسر بزاد ،
وطارت في الآفاق ، ولم تمش على ساق

— شعره أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال ، سار مسير الرياح ، وطار
بغير جناح
— أشعاره سارت مسير الشمس ، وهبت هبوب الريح ، وطبقت تخوم الأرض ،
وانتظمت الشرق الى الغرب ، قد كادت الايام تنشدها ، والليالي تحفظها ، والجن
تدرسها ، والطير تتغنى بها .

— أبيات أسفر عنها طبع المجد ، فملئت كيف يتكسر الزهر على صفحات
الحدائق ، وكيف تفرس الدرة في رياض المهارق ^(٤)

— شعر قد أحسن خدمته بكمال فكره ، ووقف كيف شاء عند عالي أمره
— شعر يُعلّق في كعبة المجد ، ويتوّج به مفرق الدهر
— جاءت القصيدة ومعها عزة الملك ، وعليها رواء الصديق ، وفيها سياء العلم ،
وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق

(١) غير طبع : غير لثيم ، وهي من طبع السيف ، على وزن علم ، اذا ركبته الصدا الكثير
(٢) الفرزدقة : القطعة من العجين (٣) الجرير : الجبل (٤) المهارق : جمع مهرب
على صيغة المفعول ، وهو الرسالة .

— لا غَرْوَ إذا فاض بحر العلم على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله
ولا أذن سمعت بشبهه

— شعر يكتب في غرة الدهر ، ويشرح في جبهة الشمس

كتاب لابن العميد

وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضوع

كتب أبو الفضل ابن العميد الى أبي محمد خلاد الراهمزمي القاضي
وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتقديرك ، وضروب برك
وتعظيمك ، فارتحت لكل ما أوليت ، وابتهجيت بجميع ما أهديت ، وأضفت إحسانك
في كل فصل الى نظائره التي وكلت بها ذكرى ، ووقفت عليها شكرى ، وتأملت
النظم فلكنى العجب به ، وبهرنى التعجب منه ، وقد رمت أن أجرى على
العادة : في تشبيهه بمستحسن من زهر جنى ، وحلل وحلي ، وشذور الفرائد ،
في محور الخرائد

والعذارى غدون في الحلل اليه ضوقد رحن في الخطوط السود
فلم أره لشيء عدلاً ، ولا أرضى ما عدته له مثلاً ، والله يزيحك من فضله
ولا يخليك من احسانه ، ويلهمك من بر اخوانك ، ما تم به صنيعك لديهم ،
ويُرَبُّ معه إحسانك إياهم .

كتاب للصاحب بن عباد

وكتب أبو القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب الى أبي سعيد الشيباني :
قد رأى شيخ الدولتين كيف السكّلف بسادق من أهل ميكال ، أيدم الله ،
بين ود أضمره على البعد ، وإشار أظهره على تراخي المزار ، وتقرىظ يلميه على

المَلَوَان^(١) ومدح أنطق فيه بلسان الزمان ، حتى أن ذكرهم إذا جرى على لساني اهتزت له نفسي ، وفضلهم إذا جرى على سمعي اتخرج له صدري ، فتلكت عصبة خير فضلها باهر ، وشرقها على شرف النماء زاهر ، وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، والله يتمم أعدادها ، ولا يعدمى ودادها ، وإذا كان إكبارى لهم هذا الاكبار ، فكل منتسب إلى جنبهم أثير لى^(٢) ، كثير فى يدى ، وطراً على فلان منتسباً إلى جلتهم ، وحذا الجملة ، ومعتزياً إلى خدمتهم ، ونعمت الخلعة ، فقرناته عن طبع سمح^(٣) ، ولفظ غلب ، وصلة نثر بنظم ، فأن شاء قال أنا الوليد ، وإن شاء قال أنا عبد الحميد ، ولم أعظم بمن خرَّجته تلك النعمة ، وتبجته تلك السُّدَّة ، أن يأخذ من كل حسنة بُعْرُوة ، ويقدح فى كل نار مجذوة ، وآنسنا بالمقام مُدَّة ، أكدتها شوافع عِدَّة ، إلى أن تدكر معاهد رأى فيها النهر طلقاً ، والزمان غلاماً ، والفضل زهناً ، والافضل لزماً ، فحنَّ حنين الرُّكَّاب ، وركب عزيم الاياب^(٤)

أبو الفضل الميكالى

فصل كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالى إلى أبى القاسم الداودى جواباً عن كتاب له ورد عليه

وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعمالها فى وقتنا هذا ،^(٥) وسير من كلامه ، وشره ونظامه ، ما يغنى عن التنويه ، ويكفى عن التنبيه ، ويحل عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الاخفش على بن سليمان

« استهدى ابراهيم بن المذَّير أبا العباس محمد بن يزيد جليلاً يجمع الى تأديب

(١) الملوآن : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فرناته : اختبرناه ، والقرن فى الاصل اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة

(٤) العزيم : الجرى الشديد (٥) توفي أبو الفضل الميكالى سنة ٣٦٦ هـ

وله الامتاع بآيناسه ، فندبني لذلك ، وكتب اليه معي : قد ألفت اليك أعزك
الله فلانا ، وجملة أمره انه كما قال الشاعر

إذا زرت الملوك فأن حسي * شفيما عندهم أن يخبروني

وفصل أبي الفضل :

وقفت على ما أتخفى به الشيخ : من نظمه الرائق البديع ، وخطه المزرى
بهر الربيع ، مؤشحا بفرد الفاظه ، التي لو أعيرت حليتها لعطفت قلائد النحور ،
وأبكار معانيه التي لو قُسمت حلالاتها لأعذبت موارد البحور ، فسرحت طرفي
منها في رياض جاداتها سحائب العلوم والحكم ، وهب عليها نسيم الفضل والكرم ،
وابتسمت عنها ثغور المعالي والهمم ، ولم أدر وقد حيرتني أصنافها ، وبهرتني ثغورها
وأوصافها ، حتى كسفتي اهتزازا وإعجابا ، وأنشأت بيني وبين التماسك سترا وحجابا ،
ولم أدر أذهمتي لها نشوة راح ، أم أذهمتني نعمة ارتياح ، وانظم عندي منها عقد
ثناء وقريض ، أم قرع سمعي منها غناء معبد وغريض ، وكيفما كان فقد حوى
رتبة الإعجاز والابداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فإني جارحة إلا
نوحى توذ لو كانت أذنا فتلتقط دُرره وجواهره ، أو عينا تجتلي مطالمه ومناظره ،
أو لسانا يدرس محاسنه ومفاخره

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي :

« وصل كتاب مولاي وسيدى ، أبدع الكتب هوادى وأعجازا ^(١) ،

وأبرعها بلاغة وإعجازا ، فحسبت ألفاظه دَر السحاب ، أو أصفى قطرا وديعة ،
ومعانيه دَر السحاب ^(٢) ، بل أوفى قدرا وقيمة . وتأملت الايات فوجدتها
فائقة النظم والرصف ، عبة النسيم والترف ، فائزة بقدر الحس والطرف ، مالكة
للبام القلب والطرف ولا عرو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدف

(١) . الهوادى والإعجاز : البدايات والنهايات (٢) . السحاب : قلادة من القرنفل

الفقر والنوادر ، وصَدَف الدرر والجواهر ، والله يتمتع بما منحه من هذه النور والأوصاح ، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح

أبو منصور الثعالبي

وأبو منصور هذا يعيش الى وقتنا هذا ، وهو فريد دهره ، وقريع عصره ،^(١) و نَسِيحٌ وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب^(٢) منها من كتاب سباه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : أخرجته بعضه من غُرَر نجوم الارض ، و نكّت أعيان الفضل ، من بلاء العصر ، في النثر ، وحملت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مَلَح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلففت جميع ذلك وحررت ، وسقته ونسقته ، وأنقث عليه مارزقته ، وعملت به بكد الناظر ، وجهد خاطر ، وتسب اليمن ، وعرق الجبين ، وتعمدت فيه لثة الحيدة وروث الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبه بشيء من كلام غير اهل العصر ، الا في قلائل وقلائد ، من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخللت أثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أحل كلماته التي هي وسائل الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعته أنفس الأدياء ، وتلذذ أعين الكتاب ، من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا مثل ولا عدل ، واستعارة مختارة ، أو طباق ، ذي روثق باق ، فمن رافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتاب ، إنا وشواً ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وساحة قيامه لأفراد الشعراء إذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من سُنُوره ، فاما المحاطبات والمحاورات ، فانها تتبرج برقة من غُرره ، وتُتَوَّج بدرة من دُرره

(١) كان الثعالبي فراء يخطط جلود الثعالب فنسب الى صناعته ثم أقبل على الادب والتاريخ فنبغ فيها ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتمة الدهر وكانت وفاته سنة ٤٢٩

الفاظ أهل العصر

وقد ذكر من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم الصائتان ^(١) والخالديتان ^(٢) ، وديع الزمان ، وأبو نصر بن المرزبان ، وابن أبي العلاء الإصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البستي ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم في كتابه فكل مامر أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه قلت ، وعليه عولت . وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البستي

قلبي رهين بنيسابور عند أخ * ما مثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائف أخلاق مهذبة * من الحجا والعلی والظرف تستسخ
وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فساظهر من سرائر شعرهم الرضين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين

رسائل الميكالي

فصل لأبي الفضل :

وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التي هي غرة الزمان إليهم ^(٣) وعذر الدهر المليم ^(٤) ، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم ، وتمت به نقائس الآلام والنعم ، فسرحت طرفي من محاسن ألفاظه ، في أنوار تروق أزهارها ، وقلائد تروع

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن الحسن المتوفى سنة ٤٤٨

(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠ وكان هذان الاخوان يعرفان بالخالدين وكانا يشتركان في نظم الايات أو القصيدة فتنسب إليهما مع أصلهما من الخالدية — فمن قرى الموصل — وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة (٣) البيهقي : المظلم (٤) المليم المذنب

حدرها وجواهرها ، ومباراً يشرق الرقاب باطنها وظاهرها^(١)

وله الى أبي سعيد بن خلف الحمداني :

وصل كتابك متحملاً من أخبار سلامتك ، وآثار نعم الله بساحتك ، مأدّي
روح البر ونسيمه ، وجمع فنون الفضل ونعاسيمه ، ومجدداً عندى من عمر مواسلته
ومعسول كلامه ومحاورته ، ما ترك غصن اللقّة غصاً تروق أوراقه^(٢) ووجه الثقة
طلقاً يتهلل إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تجاذبُ بنيه ،
وحويت به من علّق مَضَنَّةً قلما يحود الدهر بمثله لبنيه^(٣)

وله فصل الى بعض الحكام بجوين^(٤) :

وصل كتاب الحاكم قد وشّعه بمحاسن فقره ، ونتائج فكره ، من لفظ
شهيّ أعطته القلوب فضل المقادة ، ومعنى سنيّ جاده صوبُ الاصابة والاجادة ،
ويريّ هنّيّ اتفقت على الاعتراف بفضله السنة الثناء والشهادة ، فسرحت طرفي
فيما حواه من بدائع وطُرف ، قد جمعت في الحسن والاحسان بين واسطة وطُرف ،
حتى لم تُبق في البلاغة يتيمة الا نظمها ، ولا في الطرف غنيمة إلا اقتسمتها ، ولا
في البر قيمية إلا جبرتها وعظمها

وله الى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم :

كتبت وأنا بمنزلة من ارتد اليه شيا به بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر
قشيب^(٥) والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عوده
إلى مقرّزه وشرفه ، محروساً في حفظ الله وكنفه ، بلم تزل الآمال تنتسم
روائحه ، وتترقب غادى صنع الله فيه ورائحه ، واثقة بأن عادة الله الكريمة عنده
تسايره وتراققه ، وتلزم جنابه فلا تفارقه ، حتى تخرجه من غمرة الغمّاء ، خروج
السيف من الغمد ، والبدن بعد السرار الى الانجلاء ، فصدحت يوم وروده عيداً

(١) مبار : جمع مبرة (٢) اللقّة : الحب (٣) الطق : الشيء النفيس

(٤) جوين : كورة كبيرة في خراسان (٥) قشيب : جديد

أناد عهـد السرور جديداً ، وردّ طرف الحسود كليلاً وقد كان حديداً ، ولم
أشبهه في اهداء الروح والشفاء ، وتلافى الروح بعد أن أشفى على المكروه كل
الإشفاء ^(٢) إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير ، وألقاه
على وجهه فنظر بعين البصير ، فكّم أوسعته ثمّ واستلما ، والتقطت منه برداً
وسلاماً ، حتى لم تبق غلّة في الصدر إلا يردّها ، ولا غمة في النفس إلا تردّها ،
ولا شريعة من الأنس إلا وردتها

وله فصل من رسالة :

وكان فرط التعجب مرّة ، وعظّم الإعجاب تارة ، يقف بي عند أول فصل
من فصوله ، ويشبّني من استيفاء غرّره وجُجّوله ، ويؤمّني أن المحاسن ماحوته
قلائده ، ونظمته فرائده ، فليس في قوس احسان وراءها منزع ^(٣) ولا لاقتراح
جنان فوقها متطّلع ، حتى اذا جاوزته الى لفقه وتزيينه ، وأجلت فكرى في
نكته وعيونه ، رأيت بما يحير الطرف ، ويحجز الوصف ، ويلو على الأول محلا
بمكانا ، وفوقه صفّاً واحساناً ، فرعت كيف شئت في رياضه وحدائقه ، واقتسبت
نور الحكم من مطالعته ومشاركة ، وسلمت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة ،
وتلقيتها بواجبها من النشر والإذاعة ، فانها جمعت إلى حسن الإيجاز ، درجة
الإعجاز ، والى فضيلة الإبداع ، جلالة الموقع في القلوب والأسماع

وله من فصل :

وصل كتاب الشيخ فنشر عندي من حُلّلي إفضاله وإكرامه ، ومحاسن
خطابه وكلامه ، ما لم أشبهه إلا بأتوار النجود ^(٤) وجبرّ البرود ، وقلائد العقود

(١) أشفى على المكروه : أشرف عليه (٢) منزع : على وزن منبر ، السير القى يتزع
يه ، ويقولون : لم يبق في قوس الصبر منزع : يريدون أن الصبر نفدت أسبابه
(٣) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الارض ، وفيه يوضع الزهر

وصف أبي الفضل الميكالي

وذكر أبو منصور النعماني الأمير أبا الفضل في كتاب فقه اللغة فقال في بعض فصوله :

من أراد أن يسمع سرَّ النظم ، وسحر الشعر ، ورقية الدهر ، ويرى صوب العقل ، وذوب الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستشده ما أسفر عنه طبع مجده ، وأثره .
على فكره : من ملَّح تميز بالنفوس لنفاسها ، وتشرب بالقلوب لسلستها
قوافٍ إذا ما رواها المشو * قُ هزت له الغانيات القدودا
كسُون عبيداً ثياب العيب * د وأضحى لبيدٍ لديها بليدا
وايم الله ما مرَّ يوم أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدني بالاقبلاب .
من نوره ، والاعتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شباته ،
ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من الحافظة .
وانتهيت فرائد القوائد من ألفاظه ، إلتذكرت ما أنشدنيه ، أدام الله تأييده ،
لابن الرومي

لولا عجائب صنع الله ما نبئت * تلك الفضائل في لحم ولا عصب
ورددت قول الطائي :

فلو صوّرت نفسك لم تزدها . * على ما فيك من كرم الطباع
وثلثت بقول كُشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال الى * عيبٍ يُوقيه من العيّن
وربعت بقول أبي الطيب :

فان تقق الأثام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
ثم استعرت فيه بيان أبي اسحق الصابي حيث يقول للصاحب « ورثه الله
أعمارها كما بلغه في البلاغة أقدارها » :

الله حسبي فيك من كل ما * تموذ العبد على اللولى
فلا تزل ترفل في نعمة * أنت بها من غيرك الا ولى

وقال في فصل منه : وما أنسىَ لا أنسىَ أيامى عنده بغيروز اباد احدى قراه
برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكى أخلاق صاحبها من سئل القطر ، فانها كانت
بطلعة البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية ، مع جلائل
نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن
أقواله وأفعاله ، التى يعيا بها الواصفون ، أنموذجات من الجنة التى وعد المتقون ،
وإذا تذكرتها فى تلك المراج التى هى مراتع النواظر ، والمصانع التى هى مطالع
العيش الناضر ، والبساتين التى إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت طرائف مطارفها ،
طوى لها الديباج الخسروانى ، ونفى معها الوشى الصنعانى ، فلم تشبه إلا
بشيمه ، وآثار قلبه ، وأزهار كله ، تذكرت سحراً وسياً ، وخيراً عيميا ،
وارتياحاً مقبياً ، وروحاً وريحاناً ونعياً . وكثيراً ما أحكى للاخوان انى استغرقت أربعة
أشهر بحضرته وتوفرت على خدمته ، ولازمت فى أكثر أوقاى على مجلسه ، وتعطرت
بُنار موكبه ، فبالله يميناً كنت غنيا عنها لو خفت إثمها ، آنى ما أنكرت
حرفاً من أخلاقه ، ولم أشاهد إلا مجداً وشرفاً من أحواله ، وما رأيت غائباً
أوسبَ حاضراً ، أوحرم سائلاً ، أو خيب آملاً ، أو أطاع سلطان النضب
فى الحضر ، أو تسلى بنار الضجر فى السفر ، أو بطش بطش المتعجر ، ولا وجدت
المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطاه .

وقال فى فصل منه يصفه :

وأما فنون الأدب فهو ابن بجدتها ^(١) وأخو حملتها ، وأبو عذرها ^(٢) ومالك

(١) ابن بجدتها : هو الخبير بها ، وتقول : فلان عالم ببجدة أمرك ، أى بحقيقة

(٢) أبو عذرها . المذر : البكارة ، وأبو عذرها أول من أفتضا ، كناية عن المهارة
فى أمر من الامور

أزمته ، وكأما يوحى إليه في الاستئثار بحسانها ، والتفرد ببدائعها ، والله هو إذا
غرس الدر في القراطيس ، وطرز بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره ،
جواهر البلاغة على أنامله ، فهناك الحسن برُمته ، والحسن بكليته

امراء البيان

وذكر عمر بن علي المطوعى في كتاب ألفه في شعر أبي الفضل ومنثوره.
والشعراء فقال :

رأيت أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طرق ، وانقسموا الى ثلاث فرق ،
فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب ، دون شرف الانتساب ، كالكتبيين.
من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمناخ ، وهم الاكثرون من
أهل هذه الصناعة ، ومنهم من شرفت بنات فكره عند أهل القول ، وجلبت
لديهم فضائل القبول ، لشرف قائلها لالكثرة عقائلها ، وكرم واسيها لارفة
حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء والحلجة
والوزراء ، ومنهم من أخذ بحبل الجودة من طرفيه ، وجمع رداء الحسن من
حاشيته ، كأمريء القيس بن حُجر الكندي في المتقدمين ، وهو أمير الشعراء
غير منازع ، وسيدهم غير مجاذب ولا مدافع ، وعبدالله بن المعتز بالله أمير المؤمنين
في المولدين ، وهو أسعد أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع انشاء النولة العباسية ،
ومن جل كلامه في التشبيه ، من أن يُمثل بنظير أوشبيه ، وغلت أشعاره
في الأوصاف ، عن أن تتعاطا السنة الوُصاف ، والامير أبي فراس بن حمدان
فارس البلاغة ، ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبة بالسيادة ،
واعترفت لكلامه بالاحسان والاجادة ، حتى قال أبو القاسم اسماعيل بن عباد
الصاحب : (بديء الشعر بملك وختم بملك) يعنى امرأ القيس وأبا فراس ، وهذه
الطائفة أشهر الثلاثة قدما ، وأثبتها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قدما ،

وأسبق الشعراء في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميزان البراعة ، فان الكلام الصادر عن الأعيان والصدور ، أقر للعيون وأشقى للصدور ، فشرف القلائد بمن قلدها ، كما أن شرف المعائل بمن ولدها

وخير الشعراء كرمه رجالاً * وشر الشعر ما قال العبيد
وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن كان خليقاً بأن يُخلَّد في صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوَّن في ضمائر النفوس آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديرًا بأن يختص بسرعة المجال في المجالس ، وخفة المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا أبي الفضل من نال السماء بفضل * ومن وعدته نفسه بمزيد
تود عقود البر لو كنَّ لفظه * فينظمها من تَوَّاه وفريد

وصف البلاغة

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البهرة:

قال أبو الفتح البستي :

مدحتك فالتامت قلائد لم يفز * بأمانها الصيد الكرام إلا عاظم
لأنك بجرِّ والمعاني لآلى * وفكرى غواص وشعري ناظم
وقال أيضاً:

ما إن سمعت بنوارٍ له ثمر * في الوقت يُمتنع سماع المرء والبصرا
حتى أتاني كتابٌ منك مبسم * عن كل لفظ ومعنى يشبه الدررا
فكان لفظك في لآله زهراً * وكان معناه في أثنائه ثمرا
تسابقاً فأصابا القصد في طلق * لله من ثمر قد سابق الزهرا
وقال أيضاً:

لما أتاني كتابٌ منك مبسم * عن كل برٍّ ولفظ غير محدود

حكّت معانيه في أثناء أسطوره * آثارك البيض في أحوالى السّود
كانه ألم بقول الطائي :

يرى أقبح الاشياء أوبة أمل * كستها يد المأمول حلة خائب
وأحسن من نور تفتحه الصبا * يياض العطايا في سواد المطالب

وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي

جمع الله في الأمير أبي نذ * مريخصاً تغلو بها الأقدار
راحة برة وصدرأ فضاء * وذكاه تبدو له الأسرار
خطه روضة وألفاظه الأرز * هار يضحكن والمعانى رمار

وقال عمر بن علي الطوسي يمدح أبا الفضل الميكالي من قصيدة:

والى الأمير بن الأمير المعتلى * بكال سؤدده على الأمراء
وطئت بي الوجناء وجنة مهمه * متقاذف الأكناف والأرجاء^(١)
كيا ألاحظ منه في أفق العلى * فلكا يدبر كواكب العلياء
كالبدر غير دوامه متكامل * كالبدر غير عنوبة وصفاء
بالفضل يكتنى وهو فيه كامن * كالزى يكمى في زلال الماء
يامن إذا خط الكتاب يمينه * أهدى إلينا الوشى من صنعاء
لم تجر كفك في البياض موقعا * إلا تجلّت عن يد بياض
قرم يده وقلبه ما منهما * في التنظيم والإعطاء الإلطائي^(٢)

وقال فيه أيضا

كلام الأمير الندب في تى نظم * ينوب عن الماء الزلال لمن نظم^(٣)

(١) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين وهى الأرض الفليضة — المهمة : الوادى المقفر — متقاذف الأكناف : متباعد الاطراف (٢) القرم : السيد — الطائي في الكرم هو حاتم الطائي ، وفقى النظم أبو تمام (٣) الندب : الشهم

فروى متى نروى بدائع نظمه * ونظما إذا لم نرو يوما له نظما
وكتب اليه أيضا :

أقول وقد جادت جفوني بأدمع * كأتى قد استمليتين من السخب
وقد علفت بي للنزاع نوازع * كتبت مُعانة العناء على قلبي
إلى سيد أوفى على الشمس قدره * وزادت معاليه ضياء على الشهب
أبى الفضل من راحت فواضل كفه * وراحته تُرى على عدد الترب^(١)
سقى الله أرضا حل فيها سحائبًا * كنائله القياض أولفظه العذب
سحائب يحدوها نسيم كحلقة * ويقدمها برق كصارمه العصب^(٢)
يولا زال أفلاك السعود مُطيفة * بحضرة تتنابها وهو كالقطب
وقال أبو منصور الثعالبي للأمير أبى الفضل :

لك فى الفضائل معجزات حمة * أبداً لغيرك فى الورى لم يُجمع
بحرآن بحر فى البلاغة شابه * شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي^(٣)
كالنور أو كالسحر أو كالذرأو * كالوشى فى برد عليه موشع^(٤)
شكراً فكم من فقرة لك كالننى * وافى الكريم بعيد قمر مدقع^(٥)
وإذا تفتق نور شعرك ناضراً * فالحسن بين مُرصع ومصرع
أرجلت فرسان الكلام ورُضت أوه * راس البديع وأنت أجد مُبدع
وتفتت فى غصن للزمان بدائعا * تزرى يا تار الربيع المرع^(٦)
يا مُهدى الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الأربع^(٧)
لاشئ أسرع منه إلا خاطرى * فى شكر نائلك اللطيف الموق

(١) ترى: تزيد (٢) الصارم الضب: السيف القاطع (٣) الوليد: هو البحرى

(٤) موشع: ذور قوم وطرائق (٥) فقر مدقع: شديد، لصق صاحبه بالدعاء

هو التراب (٦) للمرع: الملوأ بالكلا والشب (٧) الطرف: الحصان

ولو آتني أنصفت في إكرامه * لجلال مُهدي الكريم الأروع^(١)
أنظمتُ حُبَّ القلوب لحبَّة * وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلمت ثم قطعت غير مضيق * يُرَدُّ الشباب لجله والبرقع
وكتب إليه في جواب كتاب ورد عليه :

أنسيمُ الرياض حول الغدير * مازجته زياً الحبيب الأثير^(٢)
أم وُرود البشير بالنجح من فك * أسيرٍ أو يُسر أمر عسير
في مُلاء من الشباب جديد * تحت أيلك من التصابي نَصير^(٣)
أم كتاب الأمير سيدنا الفر * د فياحبذا كتاب الأمير
وشار الصدور ما أجتنيه * من سطور فيها شفاء الصدور
نمقتها أناملٌ تفتق الأنوا * رَ والزهري في رياض السطور
كالنبي قد جُمِعَ في النعم الفر * مع الأمن من صُرُوف الدهور
يا أبا الفضل وابنه وأخاه * جل باريك من لطيف خير
شيمٍ يرتضن دَرَّ المعالي * ويعبرن عن نسيم العبير
وسجايَا كائنٍ لدى النَّس * رِضابُ الحيا بأرْيِ مَشور^(٤)
ومُحيًا لدى الملوك محيا * صادق البشر مُنجِل للبدور
فأجابه أبو الفضل بأبيات يقول فيها في صفة أبياته:

وهدي زُفَّت إلى السمع بكرٍ * تنهادي في حلية وشُدور^(٥)
عجب الناس أن بدت من سوادٍ * في رياض كالمسك في الكافور
نُظِمت في بلاغة من معانٍ * مثل نظم العقود فوق النُحور

(١) الأروع : الذكي الروع ، بضم الراء ، وهو الفؤاد
(٢) الأثير : العزيز (٣) الأيلك : الشجر الملتف (٤) الأري : السبل ، والمشور
المصفى ، تقول : شار السبل واشتاره إذا صفاه من الاقراض (٥) الهدى : على
وزن غنى ، هي العروس ، والشُدور قطع الذهب

كم تذكرت عندها من عهود * للتلاقى في ظلّ عيش نضير
فدبمت الزمان إذ ضنّ عنا * باجتماع يضم شمل السرور
ولئن راعنا الزمان بين * ألبس الأنس ذلّة المهجور
فحسى الله أن يعيد اجتماعا * في أمان من حادثات السهور
إنه قادرٌ على ردِّ ما فا * ت وتبصر كل أمرٍ عسير

الوزير المهلبى

وقال أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى فى الوزير المهلبى
قل للوزير أبى محمد الذى * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المجالس منطق يشفى الجوى * ويسوغ فى أخذ الأديب سلافه
وكان لفظك جوهر متنخل * وكانما آذاننا أصدافه (١)

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد
ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وُزِّرَ لأحمد بن بويه الديلى ، وكانت وزارته
سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبو محمد من سروات الناس ، وأديبهم ،
وأجودهم ، وأعفائهم ، وفيه يقول أبو اسحق الصابى :

نعم الله كالوحوش فما تأ * لف إلا الأخير للناسكا
نقرتها آثام قوم وصير * ن لها البر والتقى أشراكا

وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً فى البلاد ، على طريق الفقر والتصوف ،
قال أبو على الصوفى كنت معه فى بعض أوقاته أماشيته فى إحدى طرقاته فضجر
لضيق الحال فقال :

الآ موت يباع فأشتره * فهذا العيش ما لاخير فيه
الآ رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

ثم تصرف بما يرضيه البهر ، وبلغ المهلب مبلغه
قال أبو علي : دخلت البصرة فاجتزت بسر من رأى ، وإذا أنا بنشاطيات
وحراقات وزيارب وطيارات في عُدَّة وعدد فسألت لمن هذا قفيل للوزير المهلب
ونفتوا إلى صاحبي ، فوصلت إليه حتى رأيته ، فكتبت إليه رقعة وتوصلت حتى
دخلت ، فسلمت وجلست حتى خلا مجلسه فدفعت إليه الرقعة وفيها

ألا قل للوزير بلا احتشام * مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ قول لضيق عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فنظر إلي وقال : نعم ! ثم نهض وأنهضني معه إلى مجلس الأنس ، وجعل
يذاكرني ما مضى ، ويذكر لي كيف ترقى حاله ، وقدم الطعام فطعمنا ، وأقبل
ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بدر^(١) ، ومع الآخر نخوت وثيراب ،
ومع الآخر طيب وبخور ، وأقبلت بغلة رائعة بسرج شهيل فقال : يا أبا علي اتفضل
بقبول هذا ، ولا تتغلب عن حاجة تعرض لك . فشكرته وانصرفت ، فلما هممت
بالخروج من الباب استردني وأشدني يديها

رق الزمان لفاقتي * ورثي لطول تحرق
وأنا لى ما أرتجى * وأجار مما أتقى
فلا تخفون له الكثير من الذنوب السبق
إلا جنايته التي * فعل المشيب بفراقى^(٢)

الحكمة ضالة المؤمن

قال بعض العلماء :

— القول لها صور مثل صور الأجسام ، فإذا أنت لم تسلك بها سبيل الأدب
حارت وضلت ، وإن بعثها في أوديتها كلت وملت ، فاسلك بعقلك شهاب المعاني

(١) البدر : جمع بدره وهي كيس النناير (٢) وكانت وفاة الوزير المهلب سنة ٢٥٢

والفهم^(١) ، واستيقه بالجمام للعلم^(٢) . وارتد لثقلك أفضل طبقات الأدب ، وتوق^٣ عليه آفة العطب ، فان العقل شاهدك على الفضل ، وحارسك من الجهل . واعلم أن مغارس العقول كمغارس الأشجار ، فإذا طابت بقاع الأرض للشجر زكا ثمرها وإذا كرمت النفوس للعقول طاب خيرها ، فاغمر نفسك بالكرم تسلم من الآفة والسقم ، واعلم أن العقل في النفس اللثيمة ، بمنزلة الشجرة الكريمة ، في الأرض النسيمة ، ينتفع بثمرها على خبث المغرس ، فاجتن ثمر العقول وإن أتاك من لثام الأنفس

وقيل : الحكمة ضالة المؤمن ، أينا وجدها أخذها

— وسمع الشعبي الحجاج بن يوسف وهو على المنبر يقول : أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقصروا من الأمل ، لتيسر الأجل . فقال : كلام حكمة خرج من قلب خرب^١ وأخرج أواحه فكتب . وقد روى ذلك عن سفيان الثوري . وقد سُمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير : كيوم شره مستطير !

وصف الكتاب

قال الجاحظ : الكتاب وعاء ملي^١ علما ، وظرف حُشى ظرفاء ، ويستأن يُحلب في رُدن^(٢) وروضة قلب في حجر ، ينطق عن الموقى ، ويترجم كلام الأحياء وقال : من صنف كتابا فقد استهدف^(٣) فان أحسن فقد استعطف ، وإن أساء فقد استغذف^(٤)

(١) الشعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الحبل (٢) الجلم بكسر الجيم الراحة (٣) الرذن : الكم (٤) استهدف : صير نفسه هدفا لسهام النقد (٥) استغذف : عرض نفسه للغدق

— وقال : لا أعلم جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل جناية ، ولا أقل إملالاً وإبراماً ، ولا أقل خلافاً وإجراماً ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من معصية ^(١) ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولا أقل صلماً وتكلفاً ، ولا أبعد من مراء ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريناً أحسن مؤاتاة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أقل مؤونة ، ولا شجرة أطول عمراً ، ولا أجمع أمراً ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مجتني ، ولا أسرع إحراكاً في كل أوان ، ولا أوجد في غير إبان ، من كتاب ، ولا أعلم نتائجاً في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص نمته ، وإمكان وجوده ، يجمع من التناير الحسنة ، والعلوم القريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاذل المتراحية ، والأمثال السائرة ، والأهم البائدة ما يجمع الكتاب

— ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب يشهد الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه ، أكثر مما يرى بعين جسمه

— وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هي إن خلوتُ لنتي ، وإن اهتممت سلوتي ، وإن قلت إن زهر البستان ، ونور الجنان ، يجلوان الأبصار ، ويؤمنان بحسنهما الأخلاط ، فإن بستان الكتب يجلو العقل ، ويشهد الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوي القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويعتنت نتائج العقول ويستثير دقات القلوب ، ويؤتمتع في الخلوة ، ويؤنس في الوحشة ، ويضعك بنواجره ، ويسر بفرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب ، من غير سامة تدركك ، ولا مشقة تعرض لك

— وقال أبو الطيب المتنبي :

والسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي إليه شراب

- وللخود منى ساعة ثم بيننا * فلاة الى غير اللقاء تُجَاب (١)
وما العشق إلا غيرة وطاعة * يعرض قلبه نفسه فيصاب
وغير فزادى للغواني رمية * وغير بناني للرخاخ ركاب (٢)
تركنا لأطراف القنا كل لئق * فليس لنا إلا بهن لعب (٣)
ونصرفه للطنن فوق سواج * قد اتصفت فيهن منه ركاب (٤)
أعز مكان في الدنيا سرج ساج * وخير جليس في الزمان كتاب

فقر في الكتب

- إ اتفاق القصة على كتب الآداب ، يختلفك عليه ذهب الأبواب .
— ان هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزمة .
— كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله .
— ابن المعتز : من قرأ سطرًا من كتاب قد خط عليه فقد خان كتابه ، لأن الخط يحوز ما تحته
— بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم
— بعض الكتاب : إعجام الخط يمنع من استعجابه ، وشكله يؤمن من إشكاله
كأن هذا الكاتب نحا الى قول أبي تمام
ترى الحوادث المستعجم الخطيب معجماً * لديه ومشكولا إذا كان مشكلا
— ما كتب قر ، وما حفظ قر
— الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلقة .
— وقال ابن المعتز يصف كتابا :
وذى نكت موشى نمنته * وحاكته الأنامل أى حوك
بشكل يرفع الإشكال عنه * كأن سطورَه أغصان شوك

(١) الخود : الفتاة الجميلة — تجاب : تقطع (٢) رمية : فرسة . والرخاخ جمع رخ ، وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللاب : هو الملاعبة (٤) السواج : الخيول ، والركاب أطراف القنا

تهادى الكتب

جملة من أفاض أهل العصر في صفة الكتب ونهايها وما يتعلق
بأسماؤها ومعانيها

حضرة مولاي تيجل عن أن يهدى إليها غير الكتب ، التي لا يترفع عنها
كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فكرت فيما أنقذت به مقيا للرسم في جملة
الخدم ، وحافظا للاسم في غمار الحشم ، فلم أجد إلا الرق الذي سبق ملكه له ،
والمال الذي منحه وخوَّله ، فعللت الى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا
ولا تكده ، وتهب ريحه بجانبه ولا تركده ، وأنقذت كتابي هذا راجيا أن أشرف
بقبوله ، ويوقع الى بحصوله ، ولما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا اهداء
ما جرت العادة بتسابق الاولياء الى الاجتهاد في اهدائه ، وجب العدول في اقامة
رسم الخدمة الى اتباع ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتيجل عند
ذوى الالباب قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهو علم يقتنى ، وأدب يجتنى

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوى

لا تشكرون إهداءنا لك منطلقاً * منك استفدنا حسنة ونظامه
فأله عز وجل يشكر فضل من * يتلو عليه وجهه وكلامه
وأهدى أحمد بن يوسف ^(١) الى المأمون في يوم مهرجان هدية قيمتها ألف
ألف درهم وكتب

(١) أحمد بن يوسف كاتب بليغ كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون ، وله أخبار
كثيرة تدل على أنه كان مع مركزه في سهولة كثير العبث والمجون . شتمه رجل بين
يدى المأمون فقال مخاطب المأمون : قد واهقه يأمر المؤمنين رأته يستملنى من عينك
ما يلقانى به . وسيعود صاحب زهر الآداب الى الكلام عنه في عدة مواطن . كانت
وفاته سنة ٢١٣

على العبد حق فهو لابد فاعله * وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله * وإن كان عنه ذا غنى وهو قابله
قال أبو الفتح البستي :

لا تنكرن أنّا أهديت نحوك من * علومك الفرّ أو آدابك النّتفا
فقيمّ الباغ قد يهدي لملكه * يرسم خدمته من باغها التّخفا^(١)
وكتب أبو اسحاق الصّافي إلى عضد الدولة في هذا المعنى :

— العبيد تُلطف ولا تكثر الموالى في هداياها ، والموالى تقبل اليسور منها قبولاً
هو محسوب في عطاياها . ولما كان آدم الله تعالى عزه مبرزاً على ملوك الأرض في
الخطر الذي قصرُوا عنه شديداً ، والملى الذى وقعوا منه بعيداً ، والآداب التى
عجزوا عن استسلامها فضلاً عن علمها ، والأدوات التى نكلوا عن استفهامها فضلاً
عن فهمها ، وجب أن يعمل عن اختياراتهم فيما تحظى به الجسوم البهيمية ، إلى
اختياره فيما به تحظى النفوس العلية ، وعمّا ينفق في سوقهم العامية ، إلى ما ينفق في سوقه
الخاصية ، إفراداً لرّبته العليا ، وغايته القصوى ، وتمييزاً له عن لا يجرى معه في هذا
المضمار ، ولا يتعلق منه بالتقار ، وقد حملت إلى الخزانة عمرها الله شيئاً من الدفاتر
 وآلة النجوم . فان رأى مولانا أن يتطوّل على عبده بالأذن في عرض ذلك عليه
 مشرفاً له وزائداً في احسانه اليه ، فعل إن شاء الله تعالى

— وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد في يوم نوروز قصيدة مدحه
 فيها^(٢) يقول في آخرها :

كثر الفكر كيف نُهدى كما نُهدى إلى ربها الرئيس عباده
والذى عندنا من المال والخيل فنه هبّاته وقياده

(١) الباغ : الطيب (٢) مطلع هذه القصيدة :

جاء نيروزنا وأنت مراده وورث بالذى أراد زنده

فبعثنا بأربعين مِهْرًا * كلُّ مهر ميدانه إنشاده
فارتبطها فان قلبًا ناعها * مرَّبطٌ تسبقُ الجيادَ حياده
— وفي هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد في تجويد ألفاظها ومعانيها ،
فقتعب عليه أبو الفضل في مواضع وقف عليها فقال : ^(١)

هل لعذرى عند الهام أبى الفضل قبولٌ سوادٌ عيني مدَّاده
أنا من شدة الحياء عليلٌ * مكلمات المُلله عواده ^(٢)
ما كفاني قصيرٌ ما قلت فيه * عن علاه حتى ثناه انتقاده
ما تعودت أن أرى كأبي الفضل وهذا الذي أتاه اعتياده
غمرتني فوائدٌ شاء منها * أن يكون الكلامُ مما أفاده
ما سمعنا بمن أحب العطايا * فاشتهى أن يكون منها فؤاده
وقد كان مدحه بقصيدته التي أولها :

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا * وبكالك ان لم يجرّد معك أو جرى
وفيها معانٍ مخترعة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها

مَنْ مُبلِّغُ الاعرابِ أنَّى بعدها * جالست رَسْطاليس والاسكندرا
ومَلِّت نحرَ عِشارها فأضافني * من ينعر البدر النضار لمن قرى ^(٣)
وسمعت بطليموس دارس كتبه * متملكا متبدِّيا متحضرا ^(٤)
ورأيت كل الفاضلين كأنما * ردَّ الآلهة نفوسهم والاعصرا
نسَّعوا لنا نسقَ الحساب مقدما * وآتَى فذلك إذ أتيت مؤخرا

(١) ليس الامر كما ذكر المؤلف ، وإنما لاحظ ابن العميد ما لاحظناه على المتن في القصيدة الرائية التي يشير اليها المؤلف بعد ذلك ، فكانت هذه الايات اعتذارا وقع في تضاعيف الدالية التي قصد بها تهنته ابن العميد بعيد التوروز (٢) الملله : من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله (٣) البدر : جمع بكرة وهي الكيس فيه عشرة آلاف دينار والنضار ، بالضم ، الذهب ، وقرى : أضاف (٤) متبديا : في أخلاق أهل البداوة

وفيها يقول :

فدعاك حُسْنُكَ الرئيس وأمسكوا * ودعاك خالِئِكَ الرئيس الاكبرا
خلقت صفاتك في العيون كلامه * كالخطَّ يملأ مسمعى من أبصرا
أخذه من قول الطائي يصف قصائده :

يُقرَّب يراها من يراها بسمعه * ويدنو اليها ذوالالحجا وهو شاسع^(١)

أوصاف الكتب

- كتاب كتب لي أماناً من الدهر ، وهنائي أيام العمر
- كتاب أوجب من الاعتداد ، فوق الاعداد ، وأودع رياض الوداد ، سواد الفؤاد
- كتاب النظر فيه نعيم مقيم ، والظفر به فتح عظيم
- كتاب ارتحت لسيانه ، واهتزت بعنوانه
- كتاب هو من الكتب الميامين^(٢) التي تأتي من قبل اليقين
- كتاب عدّته من جُبول العمرو غُرّه^(٣) واعتدته من فُرص العيش و غُرّه^(٤)
- كتاب هو أنفَس طالع ، وأكرم متطلع ، وأحسن واقع ، وأجل متوقّع
- كتاب لو قرئ على الحجارة لانفجرت ، أو على الكواكب لانتشرت
- كتاب كدت أبلية طيًّا ونشرا ، وقبلته ألفا ويد حامله عسرا
- كتاب نسيت لحسنه الروض والزهر ، وغفرت للزمان ما تقدّم من ذنبه وما تأخر
- كتاب أملتُه هِزّة المجد على بنائك ، ونطق به لسان الفضل عن لسانك
- أنا ألتقط من كل حرف تُديره أنا ملك مُحفّة ، وآخذُ من كل سطر تتجسّم
- تخطيطه زُهره
- اذا قرأت من خطك حزفا ، وجدت على قلبي خِفاً^(٥) واذا تأملت من كلامك
- لفظا ، ازدددت من أنسى حظا .

(١) شاسع : بعيد (٢) الميامين جمع ميمون (٣) الجُبول جمع جبل وهو : رياض في القوائم تجمل به الحيول ، والفرر جمع غرة وهي رياض في الجهة (٤) غرر : جمع غرة يكسر الغين وهي النزق ، وقد يحلو في الشباب (٥) الحف والحفة : الارتياح

— كتاب كتب لى أماناً من الزمان ، وتوقيع وقع منى موقع الماء من العطشان .
— كتاب هو تَعْلَة المسافر ^(١) وائسة المستوحش ، وزُبدة الوصال ، وعُقْلَة
المستوفز ^(٢)

— كتاب هو رُقية القلب السليم ^(٣) وغرة العيش البهيم ^(٤)

— كتاب هو سَمَر بلا سَهَر ، وصفو بلا كَدَر

— كتاب تتمتع منه بالنعيم الأيض ، والعيش الأخضر ، واستلغته استلام الحجر
الأسود ^(٥) ووكلت طرفى من سطوره بوشى مهلل ، وتاج مكلل ، وأودعت سمى
من محاسنه ، ما أناسى سماع الاغانى ، من مطربات النوانى ^(٦)

— نشأت سحابة من لفظك غيمها نعمة سابقة ، وغيشها حكمة بالغة ، سقت
روضة القلب ، وقد أجهدتها يد الجلب ^(٧) فاهتزت وربت ، واكتست ما
اكتست

— كتاب حسبته ساقط الى من السماء ، اهتزازاً لطلعه ، وابتهاجاً بحسن موقعه ،
تناولته كما يُتناول الكتاب المرقوم ، وفَضَضْتُهُ كما يُفَضُّ الرِّحْقُ المحتوم ^(٨)

— كتاب كالشترى شَرُف به المسير ، وقيص يوسف جاء به البشير

— كتاب هو من الحسن روضة حَزَن ، بل جنة عَدَن ، وفى شرح النفس ،
وبسط الانس ، برد الاكباد والقلوب ، وقيص يوسف فى أفنان يعقوب

— قد أهديت الى محاسن الدنيا مجموعة فى ورقة ، ومباهج الحلى والحلل محصورة
فى طبقة

— كتاب ألصقته بالقلب والكبد ، وشممتة شمّ الولد

(١) تَعْلَة المسافر : ما يتهلى به لقطع الوقت (٢) المستوفز : المتعجل (٣) السليم :
المدوغ (٤) البهيم : المظلم (٥) يريد أنه استلغته متبعين باستلامه كما يتقرب الحاج إلى
الله باستلام الحجر الأسود (٦) انظر ما كتب عن القيان وما قال فيهن الشعراء من
الشعر البارع البديع فى كتاب « أفنان الجمال » (٧) أجهدتها : أشقها ، والجلب
القتل (٨) الرحيق المحتوم : الحر الملتصق التى لم تقض عن دنائها الاجتام

— ورد منك المسك ذكياً ، والزهـر جَنِيًّا ، والماء مَرِيًّا ^(١) والعيش هَنِيًّا ،
والسحر يابِلِيًّا

— كتاب مَطلَعُه مَطلَعُ أهلة الاعياد ، وموقِعُه موقِع نيل المراد
— كتاب وجدته قصير العمر ، كليل إلى الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى استكمل
وفارب الآخر منه الاول

— كتاب منتقـض الأـطراف ، منقطع الأكتاف ، أبتـر الجوارح ، مضطرب الجوامع
— كتاب كأنه توقيع متحرِّز ، أوتـعريض متبـزَّر ^(٢) كاد يلتقي طرفاه ، ويتقارب
مُفتـنـحه ومُنـتـهـاه

— كتاب التقت طرفاه صِغَرًا ، واجتمعت حاشيتاه قِصَرًا ، ما أغنني ابتدأته ، حتى
ختمته ، ولا استفتحتـه ، حتى آتمته ، ولا لمحتـه ، حتى استوفيتـه ، ولا نشرته ، حتى
طويته ، وأحسبني لو لم أجوِّد ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ، لطار حتى يختلط بالجو
فلا أرى منه إلا هباء منثورًا ، وهواء منشورًا

— كتاب حسبته يطير من يدي خلفته ، ويلطف عن حسي لقلته ، وعجبت كيف
لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بالهواء عند حصوله لدى
— كتاب قصـة الاختصار أجنحتـه ، فلم يدع له قوادِمَ ولا خوافي ، وأخذ الاختصار
حِثـته ، فلم يبقَ ألفاظًا ولا معاني

— طلع كتابك كأيام بطرف ، أو وحي بكف
— وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز :

— استعرت من علي بن يحيى النجم جزءاً فيه أخبار مَعْبَد ، بخط حماد بن اسحاق
الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إليّ بست ورفات لطاف ، فردتها وكتبت إليه :
— « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت

(١) مري : مريء هنيء . (٢) متبرز : متعفف ، ورجل برز ، وامرأة برزة : عفيف
وعفيفة ، وكلاهما يسكون الراء

أردت جزءاً فيه فائدة للقارىء ، ومُتعة للسامع ، فقد أحلت^(١) وقد رددته عليك ،
بعد أن طار اللحظ عليه طيرة »

— فأجابني : إذا كان السفر عندك منجاة فما أصنع^(٢)

لوعة الشوق

وقال أبو العباس دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً فقال :
« ما ينقضى يوم من عمري لا أراك فيه الا علمت انه مبتور القدر ، منحوس
الحظ ، مغبون الأيام »

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلى بحضورك سروراً لا أجده عند غيرك ،
وأنتسم من ارواح عشرتك ما تجد الحواس به بقيتها ، وتستوفي منه لذتها ، فنفسك
تألف مني مثل ما آلفه منك

وكان يقال : محادثة الرجال تلقيح الألباب^(٣) ، وقال ابن الرومي

ولقد سئمت ما ربي فكان أطيها خبيثُ
الا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديثُ

قال مخارق : لقيني ابو اسحق اسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، قال : أنا والله
صبب بك ، ولوع إليك ، مغمور القلب بشكرك ، واللسان بذكرك ، متشوف إلى
رؤيتك ومفاوضتك ، وقد طالبت الأيام على ما أعد به نفسي من الاجتماع معك ،
ومن قضاء الوطر منك . فما عندك ، أنا الفداء لك ، اتزورني ام ازورك ؟ قلت :
جعلني الله فداك ، ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع ، وفي هذا المحل ،
إلا الاقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسيء الأدب في أمر بدأت
فيه بالفضل ، لقلت ان كثير ما ابتدأت به من القول ، يقل فيما عندي من الشوق .

(١) أجال : تكلم بالمحال (٢) المنجاة ما يتطهر به من ورق أو ماء (٣) التلقيح :
ما تلقح به النخلة لثمر

اليك، والشغف بك دون ما حرك هذا القول مني ، فوجبت لك المنة به على ،
وأنا بين يديك ، فأتى عنائي الى ما أردت ، وقد نى كيف شئت ، تجدنى كما
قال القائل

ما تشبهه فاني اليوم فاعله * والقلب صب فاجشمته جشما

الفهم والافهام

وذكر سهل بن هرون رجلا قال :

لم أر أحسن منه فهما للليل ، ولاتهما للعقيق .

أشار اليه أبو تمام فقال :

وكنتم أعزَّ عزًّا من قنوع ترضه صفوح من ملول^(١)

فصرت أذل من معنى دقيق به قرأ الى ذهن جليل

وقال سعيد بن مسلم للمأمون :

لولم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده إلى

بجديته ، وإشارته إلى بطرفه ، لقد كان فى ذلك أعظم الرضا ، وأرفع

ما توجبه الحرمه .

فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ، لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن

الإفهام إذا حدثت ، وحسن الفهم إذا حدثت ، ما لا يجده عند أحد ممن مضى ،

ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقى ، فانك لتستقصى حديثي ، وتقف عند مقاطع

كلامي ، وتخير بما كنت أغفلته منه

— وقال المتوكل لأبى العيناء : ما تحسن ؟ قال أفهم وأفهم

— وقال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؟ قال : نعم ، قال :

بل لم تفهم ، لا تلى لا أرى عليك سرور الفهم !

— وقد قيل : من نظر الى الريح وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يتهج ، كان
عديم حس ، أو سقيم نفس

ربيع القلب والروح

ومر أبو تمام بإبرشهر من أرض فارس فسمع جارية تغنى بالفارسية فشاقه
شجى الصوت فقال :

ومُسْمِعَةٍ تروق السمع حسناً * ولم تُصِمِّهْ لا يصمم صداها
لوت أنوارها فشجت وشاقت * فلو سطيع حاسدا فداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم أجعل شداها
فكنت كأننى أعمى معنى * يحب الفانيات ولا يراها

وقال أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر قلت لأبى تمام : اخذت هذا المعنى من
أحد ؟ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لازى تهذى ؟ قلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
وقال بشار أيضا فى هذا المعنى

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها * قلبى فأضحى به من جها أثر
أنى ولم ترها تهذى قلت لهم * إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وقال :

يزهدنى فى حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبى
قلت دعوا قلبى وما اختار وارضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان الا من القلب

— وقد قال أبو يعقوب الخزيمى فى هذا المعنى ، وكان قد عورثم عمى ، وقيل
إنها للخليل بن أحمد

قالت أهنأ بي غداة لقيتها * يا للرجال لصوبة العُميان
فأجبتها نفسى فداؤك إنما * أذني وعيني في الهوى سَيَّان

— وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر وإن لم يكن منه
ان كنت لست معي فالذكرُ منك معي * يرعاك قلبي وإن غُيِّبتَ عن بصرى
العين تُبصر من تهوى وتَقْدُهُ * وناظرُ القلب لا يخالو من النظر
وقال آخر:

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى * لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي
تُرفيك عين الوهم حتى كأننى * أناحيك من قرب وإن لم تكن قربي^(١)

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم
لئن كان عن عيني أحدُ غائبًا * فما هو عن عين الضمير بغائب
له صورة في القلب لم يقصها النوى * ولم تتخطها أ كفُ النوائب
إذا ساءنى منه شحوط مزاره * وضائق قلبي في نواه مذاهي^(٢)
عطف على شخص له غير نازح^(٣) * محلته بين الحشا والترائب

طرفة أدبية

وذكرا أبو عبيدة كيسان مستملية في بعض الأثر فقال: ما فهم ، ولو فهم لوهم^(٤)
وكان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة . قال الجاحظ : كان يكتب غير ما يسمع
ويستقنى غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستقنى^(٥) ، ويملى غير ما يقرأ ، أملت
عليه يوما

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف

تطاول باللقاء المهد منا وطول المهد يقدح في القلوب
أراك وإن نأيت بسين قلبي كأنك نصب عيني من قريب
فهل لي في الرواح الى حبيب يقر بعينه قرب الحبيب

(٢) الشحوط : البعد (٣) النازح : البعيد (٤) وهم : غلط (٥) استقنى : سمع

عجبت لعشر علوا * بمحتمر أبا عمرو
فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستغنى أبا زيد

واجب المجلس

قال أبو عباد :

— للمحدث على جلسه السامع لحديثه ، أن يجمع له باله ، ويُصغى الى حديثه ، ويكتم عليه سره ، ويسيطر له عنده .

— وقال : ينبغي للمحدث اذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فان وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وان كان لاهياعنه حرمة حسن .
الاقبال عليه ، وتقع المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث
— وقال : نشاط المحدث على قدر فهم المستمع

— وكان عبد الله بن مسعود ^(١) رضى الله عنه يقول : حدث الناس ماجدحوك
بأسماعهم ^(٢) . ولخظوك بأبصارهم ، فاذا رأيت منهم فتوراً فأمسك
— وقال أبو الفتح البستي

اذا أحسست في لفظي فتوراً * وحفظي والبلاغة والبيان
فلا ترتب بهي إن رقصي * على مقدار إيقاع الزمان
— وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة اذا خرجت من القلب ، وقعت في القلب .
واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان
— وقال الحسن وقد سمع متكلماً يحفظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرق لها : يا هذا
إن بقلبك لشرأ أو بقلبي !

(١) صحابي جليل كان من السابقين الى الاسلام و كان أول من جهر بقراءة القرآن .
في مكة ، وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة . كان رضى الله عنه يكثر من التطيب .
وكان من التفريقين في رواية الحديث توفي سنة ٢٢ (٢) جدحوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

الحديث المعاد

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السك الجاريتي : كيف ترين ما أعظ الناس به ؟ قالت : هو حسن إلا أنك تكرره ، قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه ، قالت : إلى أن يفهمه البطيء ، ينقل على سمع الذكي — واستعيد ابن عباس حديثاً فقال : لولا أني أخاف أن أغض من بهائه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جده روائه ، لأعدته — وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

منزهة عن السرّ المؤدى * مكرمة عن المعنى المعاد
أخذه البحرى فقال :

لا يعمل اللفظ المكرّر فيه واللفظ المردّد
والاطالة عمولة ، كما يُملّ التكرير

أنواع الادب

وقد قال الحسن بن سهل :

— الآداب عشرة ثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود ، ولعب الشطرنج ، ولعب الصواج ، وأما الأنوشروانية فالطب ، والهندسة ، والفروسية ، وأما العربية فالشعر ، والنسب وأليم الناس . وأما الواحدة التي أربت عليهن : فمقطعات الحديث ، والسمر ، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس .

— وكان يقال : خذ من العلوم تنفها ، ومن الآداب طرّفها .

— وكان يقال : مقطعات الأدب ، قراضات الذهب

وحضر بشار بن برد مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسنا غناء كله ، ولا شعراً كله ولا سمرأ كله ، ولكن اتنبهوا أنهابا .

اللهو المباح

وقال الحسن رحمه الله :

— حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدور ، واقدعوا ^(١) هذه الأنفس فانها طُلعة ^(٢) وانكم إن لا تزعوها ^(٣) تنزع بكم الى شر غاية .

— وقال ازدشير بن بابك : إن للأذهان كلاكلا ، وللقلوب مأكلا ، ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجماما

— ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يخلّى نفسه من أربع : عُدّة لمعاده ، وصلاح لمعاشه ، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساده ، ولذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث . ^(٤)

— وما أحسن ما قال أبو الفتح كُشاجم ^(٥)

عَجَبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ * وَكَفَاهُ اللَّهُ ذِلَّاتِ الطَّلَبِ
كَيْفَ لَا يَقْسِمُ شَطْرِي عَمْرَهُ * بَيْنَ حَالَيْنِ نَعِيمٍ وَأَدَبِ
سَاعَةٍ يُبْتِغِ فِيهَا نَفْسَهُ * مِنْ غَدَاءٍ وَشَرَابٍ مُنْتَقَبِ
وَدُنُوٍّ مِنْ دُمَيِّ هُنَّ لَهُ * حِينَ يَشْتَقِ إِلَى اللَّعْبِ لُعْبِ ^(٦)
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ * فَعَدِيدٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبُ
مَرَّةٍ جَدِّهِ وَأُخْرَى رَاحَتِهِ * فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبِ

(١) من القدح ، بالقاف ، هو الزجر . وفي الاصل (اقدعوا) بالفاء وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزع بالزاي المججمة ، يزجر ، وفي الاصل (ترعوها) بالراء المهملة وهو تحريف

(٤) انظر ما كتب عن أثر الفنون الجميلة في تقويم النفوس في كتاب « الاخلاق

عند الفزالي » (٥) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، التوفي سنة ٣٥٠

(٦) الهمزة : جمع مية وهي الصورة توضع في الحراب لتمثل الحور العين

فقضى الدنيا نهاراً حقها * وقضى لله ليلاً ما وجب
تلك أقسام متى يعمل بها * دهره يسعد ويرشد ويصيب

تقسيم الايام

— وقال أبو العباس محمد بن يزيد :

— قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم النسيم للصيد ، ويوم
المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج

— قال الحسين بن خالويه ^(١) ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يملكون ظاهراً من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جزأ
نهاره ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه وبين
الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني حاجة من
لا يستطيع إبلاغي ، فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم
الفرع الأكبر .

(١) هو الحسين «الاحسن» كما ورد في الاصل «ابن احمد امام اللغة والعربية في عصره .
طلب العلم في بغداد ثم سكن حلب واحص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده، وهناك
انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بنية الوفاة : سأل سيف
الدولة جماعة من العلماء بمحضرة ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور فقالوا :
لا . فقال لابن خالويه ما تقول أنت ؟ فقال انا أعرف اسمين . قال : فاما ؟ قال : بحار
وبجاري ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهرين أصاب حرقين آخرين هما صلفاء
وصلافى وهى الارض التليظة ، وبخزاة وبخارى وهى ارض فيها ندوة ، ثم بعد عشرين
سنة وجد حرقاً خامساً وهو سبتاء وسباتى وهى الارض الحشفة .

فضل الإيجاز

وقال شبيب بن شيبَة^(١):

— إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم أحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدم من أحكام البلوغ في شرف التجويد . ثم إياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فقليل كافٍ خير لك من كثير غير شاف
— وكان جعفر بن يحيى يقول لكتّابه : إن استطعت أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا

وقال ثمامة بن أسرم :

— لم أر قط أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد ، وكان صاحب إيجاز
— وكان أبو وائلة إلياس بن معاوية على تقدّمه في البلاغة ، وفضل عقله وعلمه ، بالاكتفاء معيياً ، وإلى التطويل منسوباً ، وقال له عبد الله بن شبرمة : أنا وانت لا تتفق ، أنت لا تستهي إن تسكت ، وأنا لا أشتهي أن أسمع ! وقيل له ما فيك عيب الا كثرة الكلامك ، قال : أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا بل صواباً ، قال فالزيادة في الخير خير

فضل السكوت

قال الجاحظ : وليس كما قال ، بل للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتجال ، ودعا إلى الاستقلال والكمال ، فذلك هو الفضال^(٢) والهدر والخطل والأسهاب التي سمعت الخطباء يعيبنه . . .

.. (١) كان شبيب بن شيبَة مشهوراً بالفصاحة والذكاء ، وكان ينام خلفاً بني أمية ويفزع إليه أهل بلده في جوائهم ، توفي نحو سنة ١٧٠
(٢) الفضال ، على وزن كتاب ، المبتذل من قول أوغيرة

— وذكر الاصمعي أن ابن هبيرة لما أراد إياسا على القضاء ، قال : إني والله لأصلح له . قال وكيف ذلك ؟ قال لا تأتي دعيم ، ولا تأتي حديد ، ولا تأتي عبي ، قال ابن هبيرة أما الحدة فإن السوط يقومك ، وأما العبي فقد عبرت عما تريد ، وأما السماعة فإني لا أريد أن أحسن بك

ولم يصفه أحد بالتي وإنما كان يعاب بالاكثار ، ولكنه أراد للدفاع عن نفسه والحديث ذو شجون (١)

— وقال أبو العيناء : ذكرتُ لبعض القيان فمشقتني على السباع فلما رأته استقبحتني ، فقلت

وشاطرة لما رأته تنكرت * وقالت قبيحٌ أحولٌ ماله جسمٌ
فإن تنكرني مني إحولاً فإني * أديبٌ أريبٌ لا عيبٌ ولا قدمٌ (٢)
فكتبت الي : إنا لم نرد أن نوليكَ ديوان الزمام !

ذِكَاةُ إِيَّاسِ

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب الى عدى بن أرمطة (٣) إن قبلك رجلين من مزية : يعني بكر بن عبد الله وإياس بن معاوية ، فوالأحدنا قضاء البصرة ، فاحضرهما ، فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ؛ فإن كنت صادقاً فما محل توليتي ، وإن كنت كاذباً فذلك أوجب لتري . فقال إياس : إنكم وققتموه على شفير جهنم ، فافتدى منها يمين يكفرها ، ويستغفر الله تعالى منها ، فقال له عدى : أما إذا هتديت لها فأنت أحق بها ، فولاه

— ودخل إياس الشام ، وهو غلام صغير ، فقدم خصماً له الى بعض القضاة ، وكان

(١) شجون : ضروب (٢) القدم : المي عن الكلام (٣) عدى بن أرمطة أمير
عن أهل دمشق ، ولده عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ فاستمر الى ان قتله
معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢

انضم شيخا ، فصال عليه بإس بالكلام ، فقال له القاضي خفف عليك ، فإنه شيخ كبير ، قال : الحق أكبر منه . قال : اسكت ! قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أراك تقول حقا ، قال : لا إله الا الله ! فدخل القاضي على عبد الملك فأخبره ، فقال : اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد أهلها ! ^(١)

الفرار من الحديث المملول

وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحاق الكندي : ^(٢) كنت يوما عند العباس بن خالد ، وكان ممن حبيب الله اليه ان يتحدث . فأخذ يتحدثني . وينتقل من حديث الى حديث . وكنا في محن له فلما بلغت الشمس انتقلنا إلى موضع آخر . حتى صار الظل فينا . فلما أكثر واضجر . ومليت حسن الأدب في حسن الاستماع . وذكرت قول الاوزاعي ان حسن الاستماع قوة للمحدث . قلت له : اذا كنت وانا اسمع قد عيبت بما لا كلفة على فيه . فكيف أراك وانت المتكلم ؟ فقال : ان الكلام يحلل الفضول الزجة الغليظة التي تعرض في اللهوات ، وأصل اللسان ، ومنابت الاسنان . فوثبت وقلت : لا أراي معك اليوم الا (ايارج الفيقرا) فانت تتفرغ في ! فاجتهد في ان أجلس فلم أفعل

طرف أدبية

قال أحمد بن الطيب :

— كنا مرة عند بعض اخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ، ومننا حسن الاستماع ، حتى أفرط ، فبعض لبعض من حضر مكلل ، فقال : اذا بارك الله في الشيء

(١) وكانت وفاة إياس سنة ١٢٢ (٢) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره . واحداً أبناء الملوك من كنده ، نشأ في البصرة وانتقل الى بغداد ، وكان من أعرف الناس بالعلم والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . وقد ترجم عدد من كتبه الى اللاتينية . وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠

لم يقنْ، وقد جعل الله تعالى في حديث أحننا البركة !
 - ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام
 لي صاحب في حديثه البركة * يزيد عند السكون والحركة
 لو قال (لا) في قليل أحرفها * لردّها بالحروف مشتبكه
 - ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمر من كلامه ما هو آتق من
 زهر الربيع
 - قال الاصمعي : بالعلم وصلّناو بالمّح نلنا
 - وقال الاصمعي أيضاً : أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقل
 من رأيتّه :

يا أيها السائل عن منزلي * نزلت في الخان على نفسي
 بضو على الخبز من خايز * لا يقبل الرهن ولا ينسى ^(١)
 آكل من كيسي ومن كسرتي * حتى لقد أوجعني ضرسى
 فقال اكتب لي هذه الآيات ، فقلت أصلحك الله ، هذا لا يشبه مثلك ،
 وإنما يروى مثل هذا الأخطاء : فقال اكتبها فالأشرف تفجبه المّح
 - وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : ان لا تستحيم نفسي ببعض الباطل ،
 ليكون أقوى لها على الحق
 - وقال ابن الماجشون : لقد كنا بالمدينة وإن الرجل ليحدثني بالحديث من الفقه
 فيمليه عليّ ويذكر الخبر من المّح فأستعيده فلا يفعل . ويقول لا أعطيك مّح
 وأهبك ظر في وأذي
 - وقال ابن الماجشون : إني لأسمع بالكلمة المليحة ومالي إلا قميص واحد
 فادفنه الى صاحبها ، واستكسي الله عز وجل

ملح الغاضرى

وقال الزبير بن بكار^(١):

— روى الغاضرى ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة ويقول : أصلح الله الأمير ! إن هذا يدخل على فى صناعتي ، ويطلب مشاركتى فى بضاعتى ، وهياته هيئة قاض . والأمير يضحك

وكانا جميعا فرسى رِهان. ورضيى لبنان . فى بينهما . إلا أن الغاضرى كان لا يتخلق بالطمع تخلق أشعب

— وأبى الغاضرى يوما الحسن بن زيد فقال : جعلت فداك . انى عصيت الله ورسوله . قال بس ما صنعت . وكيف ذلك ؟ قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يفتح قوم ولوا أمرهم امرأة . وأنا أطعت امرأتى فاشتريت غلاما فهرب قال الحسن . فاختر واحدة من ثلاث : ان شئت فتمن الغلام . قال بأبى أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها ! قال أعرض عليك الخصلتين . قال : لا . حسبي هذه — وقد روى نحو هذا عن أشعب أنه قال له بعض إخوانه : لو صرت الى العشي تنفرج ؟ قال أخاف أن يحجى ثقب . قلت ليس معنا ثالث . ففضى معى فلما وصلنا الظهر ودعوت بالطعام فاذا بداق يدق الباب . قال : ترى أن قد صرنا إلى ما نكره . قلت له إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منهم لم آذن له قال هات قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب . فقال التسع لك ، قل له يدخل ! — ورأى سفیان الثورى^(٢) الغاضرى وهو يضحك الناس . فقال ياشيخ أو ما علمت

(١) كان الزبير بن بكار علما بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير ابن العوام ، ولد فى المدينة وتولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

(٢) ولد سفیان الثورى فى الكوفة سنة ٩٧ ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين برواية الحديث ، وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١

أَنَّهُ لَهِ يَوْمًا يَخْصِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ ؟ فَوَجِمَ الْغَاضِرِيُّ وَمَا زَالَ ذَاكَ يَعْرِفُ فِيهِ حَتَّى
لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

ملح أشعب

وأشعب الطمع هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكان أحلى الناس
قال الزبير بن أبي بكر كان أهل المدينة يقولون : تغير كل شيء إلا ملح أشعب
ونخبز أبي الغيث . ومشية يرة ^(١) وكان أبو الغيث يعالج الخبز بالمدينة ، وبرة بنت
سعيد بن الأسود كانت من أجمل النساء وأحسن مشية . وأشعب يضرب به
المثل في الطمع . وكان أشعب قد نشأ في حجر عائشة بنت عثمان رحمها الله مع
أبي الزناد ^(٢) . قال أشعب : فلم يزل يملو وانحط حتى بلغنا الغاية .

— وقال أشعب : أسلفتني أمي إلى يراز فسألتني بعد سنة : أين بلغت ؟ فقلت في نصف
العمل . قالت وكيف ؟ قلت تعلمت النثر وبقى المظي . قالت اذا لا تفلح .

— وسألته صديقه له خاتما فقلت أذكرك به . قال اذكرى انك سألتني ولمنعك .
— وقيل له كم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال ثلثمائة
وثلاثة عشر درهما اثم تسلك في آخر عمره . وغزا ومات على خير رحمه الله تعالى
— وقيل لأشعب أرايت أطمع منك ؟ قال نعم كلبه آل فلان : رأيت رجلين يمضغان
عليكما ^(٣) فتبعتهما فرسخين نظن انهما يأكلان شيئا .

— وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى اسماعيل الاعرج فالودجة وأشعب
حاضر فقال : كل يا اشعب . فأكل مئثرا . فقال كيف تراها ؟ فقال : عليه الطلاق
ان لم تكن عملت قبل ان يوجي ربك إلى النحل ! اي ليس فيها حلاوة ^(٤)

(١) انظر جمال المشية وما قيل في ذلك من الشعر الجليل في كتاب « أفنان الجلال »

(٢) أبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان القرشي المدني . كان من كبار المجتهدين ، وكان

كثير الاتباع من طلاب الفقه والشعر والعريية . توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١

(٣) الملك : الابان (٤) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

أبونواس

وروى ابو هفان قال دخل ابونواس الحسن ابن هانيء على يحيى بن خالد فقال له انشدني بعض ما قلت فأنشده :

اني أنا الرجل الحكيم بطبعة * ويزيد في على حكاية من حكا
أتتبع الظرفاء أكتب عنهم * كما أحدث من أجب فيضعكا
قال له يحيى : إن زندك ليورى بأول قدحة ، فقال ارتجالا في معنى قول يحيى
أبا وزند أبي على إنه * زند إذا استوريت سهل قد حكا
إن الاله لعله بباده * قد صاغ جلك للسباح ومنعكا
تأني الصنائع متى وقريحتي * من أهلها وتعاث إلا مدحكا
ووصف أبو عبد الله الجمار أبا نواس فقال :

كان أطرف النبلن منقطاً ، وأعزرم أدبا ، وأقدرم على الكلام ، وأسرعهم
جواباً ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة والإشارة
ملتف الاعضاء ، بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه ^(١) ، قائم الأنف ، حسن
العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان فصيح
اللسان ، جيد البيان ، غناب الإلفاظ ، حلو الشائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس
كيف تكلمت العرب ، راوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كأن كلامه
شعر منوزون .

الجماز

وأقبل أبو شراة العيسى والجماز في حديثه ، وكان أقيح الناس وجهاً ، وكانت
يد أبي شراة كأنها كربة نخل ، فقال الجماز : فلو كانت أطرافه على أبي شراة
لتم حسنه . فغضب أبو شراة ، وانصرف يشتمه

(١) مسنون : مخروط :

والجواز هو ابو عبدالله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وكانوا يزعمون
لهم من حمير نالهم ريباء في خلافة أبي بكر رضى الله عنه وهم مواليه، وسلم الخاسر
عنه (١).

— وكان الجواز من احلى الناس حكاية، وأكثرهم نادرة.

— قال بعض جلساء المتوكل: كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجواز حتى اشتاقه،
فكتب في حمله إليه، فلما دخل أفتح، فقال له المتوكل: تكلم فاني أريد
أن استبرئك، فقال بيحضة أو بيحضتين يا أمير المؤمنين! فقال له الفتح قد كلمت
أمير المؤمنين يؤتيك على القروذ والكلاب؟ قال أفلست سامعاً مطيعاً؟ فضحك
المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم.

— وكان لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقة، فدعا ثلاثة فجاءه ستة وقرعوا
الباب ووقفوا على رجل رجل فهد أرجلهم من خلف الباب فلما حصلوا عنده،
قال: اخرجوا عني، فأبوا دعوت ناساً ولم أَدع كراكي

مناقب الرجال

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي

الجِدُّ شيمته وفيه فبكاهة * سَجَّحٌ ولا جِدُّ لمن لم يلعب
شَرِسٌ ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير في الصَّهْبَاءِ مالم تَقْطَبِ (٢)

وقال في الحسن بن وهب

لله أيام خطبنا لينها * في ظله بالخندريس السَّلْسَلِ (٣)
بمدامة نغم السماع خيراها * لا خير في المعلول غير معلل (٤)

(١) سلم الخاسر هو سلم بن عمرو بن حماد المتوفى سنة ١٨٦. كان شاعرا ماجنا
خليليا. وسمى الخاسر لأنه باع مصحفا واشترى بتمنه طنبوراً.
(٢) تقطب: تبس. (٣) الخندريس: الحمز (٤) المعلول: الذي يشرب المثل
جثتين، وهو الصرب الثاني، بخلاف التهل فهو الصرب الاول

ينفى عليها وهو يجلو مقلتي * بازٍ ويفعل وهو غير مُغفل
لا طائش تهفو خلاقه ولا * حَسِنُ الوقار كأنه في تحفيل
فِكِهٌ يحجمُ الجدَّ أحياناً وقد * ينفى ويهزل عيش من لم يهزل
وقال فيه

ولقد رأيتك والكلام لآلى * تؤمُّ فبكر في النظام وثيب^(١)
وكان قساً في عكاظ يخطب * وابن المقفع في اليتيمة ينهب^(٢)
وكان ليلى الاخيلية تندب * وكثير عزة يوم بين ينسب
يكسو الوقار ويستخف موقراً * طوراً فيبكي سامعيه ويطرب
وقال ابو الفتح البستي

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * يراح وعلله بشيء من الزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح
— وما زال الاشراف يمزحون ، ويسمحون بما لا يقدح في أدبياتهم ، ولا يفض
من مروا بهم .

— وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة . وقال : إني لأمزح
ولا أقول إلا حقاً .

رواية الشعر والنسيب

— وقيل لسعيد بن المسيب^(٣) إن قوماً من أهل العراق لا يرون إنشاد الشعر فقال :
لقد نسكوا نسكاً أعجبياً .

— وقيل لابين سيرين إن قوماً يزعمون أن انشاد الشعر ينقض الوضوء ، فأشدد

(١) تؤم : أشبه بالبر ، (٢) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع
(٣) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقه والزهد ، وكان يعيش
من التجارة بالزيت ، وكان يحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي
راوية عمر : وكانت وفاته سنة ٩٤

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً * ولو رضيت رشح إسنه لاستقرت
وقام يصلى : وقيل بل أنشد

أنبت أن عجوزاً جئت أخطبها * عرقوها مثل شهر الصوم في الطول
— وقيل لآبي السائب الخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟ قال : أما من
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا^(١)

عروة بن أذينة

وروى مصعب بن عبد الله الزبيري^(٢) عن عروة بن عبيد الله بن عروة
الزبيري قال :

كان عروة بن أذينة^(٣) نازلاً في دار أبي العقيق ، فسمعه ينشد لنفسه
إن التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فيك الذي زعمت بها وكلا كما * أبدى لصاحبه الصباية كلها
ولم يرها لو كان حبك فوقها * يوماً وقد ضحيت إذن لأظلمها^(٤)
فاذا وجدت لها وسوس ساقية * شفع الضمير إلى القواد فسلمها

(١) انظر (أشراك العقول) في كتاب «البدائع»

(٢) رواية أديب محدث ، وهو عم الزبير بن أبي بكر . وكان شاعراً ، وكان أبوه
عبد الله بن مصعب من أشرار الناس . وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال
سنة ٢٣٢ . وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل عن
طريقة مصعب بن عبد الله في النقد ورأى الدكتور طه حسين فيه ، ف يرجع إليه
القارئ . إن شاء (٣) هو عروة بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ . كان شاعراً غزلاً ، فضلاً
عن تقدمه في الفقه والحديث ، وهو القائل :

لا أركب الأمر تزرى بي عواقبه ولا يصاب به عرضي ولا ديني
كم من فقير غنى النفس تعرفه ومن غنى فقير النفس مسكين
(٤) ضحيت : تأقت من الشمس . وفي الاغنى قبل هذا البيت :

وبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقه فادقها وأجلها (١)
لما عرضت مسلماً لى حاجة * أخشى صعوبتها وأرجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقيتها فقلت لعلها
قال فأتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب به : ألك حاجة ؟
فقال نعم آيات لعروة بلغت أنك سمعته ينشدها ، فأنشدته الآيات فلما بلغت
قوله

فدنا وقال لعلها معذورة

البيت ، طرب وقال : هذا والله السائب الصباية ، الصادق العهد ، لا الذى يقول :
إن كان أهلك يمنعوك رغبة * عنى فأهلى بى أضنٌ وأرغبُ
لقد عدا هذا الاعرابى طوره ، وإنى لأرجو أن يغفر لصاحب هذه الآيات
لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها ، قال فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله
ما كنت لأخطب بهذه الآيات طعاماً حتى الليل . وانصرف

أبو السائب المخزومى

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهات مذكورة ،
وأخبار مشهورة ، وكان جدّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نعم الخليط
كان أبو السائب ، لا يشارى ولا يمارى (٢)

(١) أدقها وأجلها : أدق المواضع التى يجب أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التى
يجب أن تكون جلية ، فهى مثلاً دقيقة الحصر ، وثيرة الردف . وبحسن الرجوع الى
هذه المعانى فى كتاب « أفنان الجمال » (٢) المشارة والممارسة : العنف فى المجادلة

واسم ابى السائب عبد الله، وكان اشراف اهل المدينة يستظرفونه ، ويقدمونه لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه .

عود الى عروة بن أذينة

وكان عروة بن أذينة على زهد ، وورع ، وكثرة علمه ، وفهمه ، رقيق الغزل كثيره ، وهو القائل

إذا وجدت أوار الحب في كبدي * اقبلت نحو سقاء القوم أبرد
هَبْنِي يَرَدَّتْ يبرد الماء ظاهره * فن لنار على الاحشاء تنقد
وقد روى هذال البيتان لغيره

— ومرت به سكينه بنت الحسين بن علي بن ابى طالب رضى الله عنهم قالت له : انت الذى تزعم انك غير عاشق وانت تقول ^(١)

قالت وابشها سرى فبحث به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألسن تبصر من حولي ؟ فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى
وأنه ما خرج هذا من قلب سليم قط

حب الاحوص

وروى الزبير عن رجل لم يسمه قال : قال لى ابوالسائب انشدنى للأحوص ^(٢)
فأنشدته

(١) عبارة الاغانى (انت الذى تزعم أنك مروة وأن غزلك من وراء عفة وانك تنق ؟ قال : نعم ! قالت : أفأنت الذى تقول ، الخ) (٢) الاحوص هو عبد الله بن محمد الانصارى ، شاعر هجاء رقيق النسيب ، كان معاصرا لجرير والفرزدق ، وهو من سكان المدينة ونفاه الوليد بن عبد الملك الى اليمن ولقب بالاحوص لضيق في مؤخر عينيه وله أخبار كثيرة بين الجند والمجون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥

قالت وقلت تخرجى وصلى * جبل امرئ يوصالكم صب
صاحت : إذن بلى ؟ قلت لها * القدر شيء ليس من ضربى ^(١)
شيثان لا أدنو لوصولهما * عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فليست فاجعه * والجار أوصانى به ربي
عوجاً كذا نذكر لغانية * بعض الحديث مطيعكم صغبي ^(٢)
وقل لها فيم الصدود ولم * نذنب بل أنت بدأت بالذنب
إنت تقبلى تقبل ونزلكم * منا بدار السهل والرحب
أو تهجرى تكدر معيشتنا * وتصدعى متلائم الشعب
— فقال هذا والله الحب حق لا الذى يقول
وكننت إذا حبيب رام هجرى * وجئت ورأى منفسحاً عريضاً
— ثم قال : اذهب فلا صحبتك الله ، ولا وسع عليك ^(٣)

يغفر الله لأهل الجمال

وخرج أبو حازم يوماً يرى الجمار ، فإذا هو بامرأة حاسر ^(٤) قد فتنت الناس
بحسن وجهها ، وألهمهم بجمالها ، فقال لها يا هذه انك بمشعر حرام ، وقد فتنت
الناس وشغلتهن عن مناسكهم ، فأتى الله واستترى ، فان الله عز وجل يقول
فى كتابه العزيز (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فقالت انى من اللاتي
قيل فيهن

أما طت كساء الخرز عن حر وجهها * وأرخت على المتئين برداً مهلهلاً
من اللاء لم يحجن بينين حسبة * ولكن ليقطن البرى المغفلاً ^(٥)
— الشعر للحارث بن خالد الخزومى — فقال أبو حازم لأصحابه تعالوا ندع الله

(١) ليس من ضربى : ليس من طبعى (٢) عوجاً مطيعكم : قفامطيعكم
(٣) الخطاب لقاتل البيت الأخير (٤) امرأة حاسر وسافر : ليس فى وجهها قناع
(٥) المغفل : الطيب القلب

لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون . فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما أرقكم يا أهل الحجاز ، وأظرفكم ! أما والله لو كان من قرى العراق لقال : اعزبي عليك لعنة الله !

أبو حازم

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلام محفوظ يدل على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه ، ولا يضرك متى مت .

— وكان يقول : ما أحببت أن يكون معك غدا فقدمه اليوم —
 — وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته وأنا وإيَّاهم من غد على وجَل ، وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟
 — وقال أبو العتاهية :

حتى متى نحن في الأيام نحسبها * وإنما نحن فيها بين يومين
 يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب اليومين للصين^(١)

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

فرزى الزبير بن أبي بكر قال : قلت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلة ومعها ابن لها صغير ، وهي أيم^(٢) ، فخطبها الناس واكثروا ، فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

أحبك حباً لا يحبك مثله * قريب ولا في العالمين بعيد
 أحبك حباً لو علمت بعضه * تجددت ولم يصعب عليك شديد
 وحبك يا أم العلاء متيمى * شهيدى أبو بكر فذاك شهيد

(١) الحين : الهلاك (٢) أيم : لا زوج لها

ويعلم وجدى القاسم بن محمد * وعروة ما التى بكم وسعيد
ويعلم ما أخى سليمان كله * وخارجة يبنى بنا ويعيد
متى تسألنى عما أقول فتخبرى * فالحب عندى طارف وتليد

فقال له سعيد بن المسيب : قد أمنت أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنا لك يزور
— وكان عبيد الله أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة ، وقد ذكرهم
عبيد الله فى هذه الأبيات وهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
ابن المغيرة الخزومي والقاسم بن أبى بكر الصديق وعروة بن الزبير بن العوام وسعيد
ابن المسيب بن حزن وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت الانصارى
— وقيل لعبيد الله أقول الشعر على شرفك ؟ فقال : لا بد للعصور أن ينفث ^(١)
— وعبيد الله هو القائل

شَقَّتِ القلب ثم ذررت فيه * هواء فليم والتأم الفطور ^(٢)
تَغْلغل حب عشة فى قؤادى * فباديه مع الخافى يسير
تغفل حيث لم يبلغ شراب * ولا حزن ولم يبلغ سرور

ما يفعل الحب بالقلب

أخذه سلم بن عمرو الخاسر قال :
سقتنى بعينها الهوى وسقيتها * قدب ديب الخرفى كل مفصل
وقال أبو نواس :
أحب اللوم فيها ليس إلا * لترداد اسمها فيها ألأ
ويدخل حبها فى كل قلب * مداخل لا تغلغلها اللد ^(٣)
ومنه قول المتنبي :

والسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يقضى اليه شراب

(١) انظر (ظلم المواطف) فى كتاب « البدائع » (٢) ليم والتأم معناهما واحد
والنفطور جمع فطر بالفتح وهو الصدع (٣) لا تغلغلها اللد : لا تغلغل فيها

وقال بعض المحدثين

ما زلت تعويني وتطلب خلتي * حتى حلتَ بحيث حلَّ شرابي
ثم انصرفتَ بغير جرمٍ كان لي * ما هكذا الاجاب للاجباب
أخذ أبو نواس قوله (احب اللوم فيها) البيت من قول ابن أبي أمية
وحدثني عن مجلس كنتَ زينة * رسولُ امينٍ والنساءُ شهودُ
فقلتُ لهم ردِّ الحديث الذي مضى * وذكركَ من بين الحديث أريدُ
اناشدُهُ بالله إلا أعدتَهُ * كأنني بطيُّ الفهم عنه بعيدُ
وقول ابى نواس في البيت الاول كقوله

اذا غاديتني بصنوح لوم * فمزوجا بتسمية الحبيب
فأني لا أعدُّ اللوم فيها * عليك اذا فعلت من الذنوب
ولا انا إن عمدت ارى جنا * وإن ضنَّتُ بمخوس النصيب
مقنَّة بثوب الحسن ترعى * بغير تكلفٍ ثمر القلوب

ابو نواس وجنان

وفي جنان هذه يقول أبو نواس

يا ذا الذي هن جنان ظلَّ يخبرنا * بالله قُلْ وأعدَّ يا طيبَّ الخبرِ
قالوا اشتكتك وقالت ما بليتُ به * أراه من حيث ما أقبلت في أثرى
ويرفع الطرف نحوى إن مررت به * حتى ليخطئ من شدة النظر
وان وقعت له كيا يكلمني * في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر^(١)
ما زال يفعل بي هذا ويُدمنهُ * حتى لقد صار من همي ومن وطري^(٢)

وفي جنان أيضا يقول أبو نواس ، وكان بها صبا ولها محبا

جنان تسبني ذُكرت بغير * وتزعم أنني رجل خبيث

(١) الحصر: العي (٢) الوطر: الحاجة

وَأَنْ مَوَدَّقِي كَذِبٌ وَمَيِّنٌ * وَأَبْنَى لَدَى تَطْوَى بَثُوثٌ ^(١)
 وَلَيْسَ كَذَا وَلَا رَدٌّ عَلَيْهَا * وَلَكِنَّ الْمَلُولَ هُوَ التَّنَكُّوثُ
 وَلَى قَلْبٍ يَنْزَعُنِي إِلَيْهَا * وَشَوْقٍ بَيْنَ أَضْلَاعِي حَيْثُ
 رَأَتْ كَلْفِي بِهَا وَقَدِيمٌ وَجْدِي * فَلَتَنِي كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ
 وَكَانَتْ جَنَانُ مَوْلَاةٍ لِبَعْضِ الثَّقَفِيِّينَ ، وَفِي مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ يَقُولُ
 الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ

وَحَدَّثَنِي يَاسَعِدُ عَنْهَا فَرَدَّتَنِي * جُنُونًا فَرَدَّنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَاسَعِدُ

ظرف أهل المدينة

وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ أَكْثَرُ النَّاسِ ظَرْفًا ، وَأَكْثَرُهُمْ طَبِيًّا ، وَأَحْلَامٌ مِرْزَا ،
 وَأَشْدَمُ اهْتِرَازًا لِلسَّمَاعِ ، وَحَسَنُ أَهْبَ عِنْدَ السَّمَاعِ
 — وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : إِنْ لِيَ عِنْدَ السَّمَاعِ هَزَةٌ ، لَوْ سُلِّتَ عَنْدهَا لِأَعْطِيتُ ،
 وَلَوْ قَاتَلْتُ لِأَبْلَيْتُ . . .

وَرَوَى أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَرَرْتُ بِبَارِزِ بْنِ بَرْزٍ بِالْبَصْرَةِ فَذَا شَيْخٌ
 قَدِيمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْرِ يَكْنَى أَبَا رِيحَانَةَ جَالِسٌ بِالبَابِ عَلَيْهِ شَمْلَةٌ تَسْتَرُهُ
 فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْنَا سَوِيْدَاءٌ تَحْمِلُ
 قَرْبَةً ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا لَمْ يَتَأَلَّكْ أَنْ قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا بِاللَّهِ غَنَى صَوْتًا ! فَقَالَتْ : إِنْ
 مَوَالِيٍّ أَعْجَلُونِي ، فَقَالَ لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَتْ أُمًّا وَالْقَرْبَةَ عَلَى كَتِفِي فَلَا . قَالَ
 فَأَنَا أَحْمِلُهَا ، فَأَخَذَ الْقَرْبَةَ مِنْهَا ، فَأَنْدَفَعَتْ تَغْنَى

فَوَادَى أَسِيرًا لَا يَفُكُّ وَمَهْجَتِي * تَقِيضُ وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ
 وَلَى مُقَلَّةٌ قَرَحَتْ لَطُولَ اشْتِيَاقِهَا * إِلَيْكَ وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُمُولُ

(١) بَثُوثٌ : كَثِيرُ الْبَثِ لِسَرِّهِ وَالتَّحَدُّثِ عَنْهُ

فديتك أعدائي كثيرٌ وشُقّي * بعيدٌ وأشياعي لديك قليل (١)
 فطرب ، وصرخ صرخة ، وضرب بالقرية الى الارض فسحقها . فقامت الجارية
 تبكي . وقالت ما هذا يمزائي منك ، أسعفتك بجاحتك فعرضتني لما أكره . من
 موالي ، قال لا تغتمى ، فان المصيبة على حصلت ، ونزع الشملة ووضع يداً من خلف
 ويداً من قدام ، وباع الشملة ، وابتاع لها قر بقجديدة ، وقعد بتلك الحال ، فاجتاز
 به رجل من ولد علي بن أبي طالب ، رضى الله تعالى عنه ، فعرف حاله ، فقال :
 يا ابا ريحانة ! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم (فما رجحت تجارتهم وما كانوا
 مهتدين) قال : لا يا ابن رسول الله ، ولكني من الذين قال الله تعالى فيهم (فبشر
 عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فضحك ، وامر له بألف درهم
 ومراً بالواقص الخزومي وهو قاضي المدينة سكرانٌ وهو يتغنى بليل ، فأشرف
 عليه وقال : يا هذا شربت حراماً ، وايقظت نياماً ، وغنيت خطأ ، خذ عني ،
 واصالح له الفناء

التشبيب بأخت الحجاج

وسمع سعيد بن المسيّب منشداً ينشد
 فلم تر عيني مثل سربٍ رأيتُهُ * خرجت من التنعيم معتمرات (٢)
 مررن بفخٍّ شم رُحْن عشيّة * يلبين للرحمن مؤتمرات (٣)
 ولما رأيت ركب النجدي أعرضت * وكنّ بأن يلقين حذرات
 دعت نسوةً شمّ الرايين يزلاً * نواعم لاشعثاً ولا غبرات (٤)

(١) انظر لوعة الشوق في كتاب « مدام العشاق » ترى بقية هذه القصيدة البديعة

(٢) السرب : القطيع من البقر والغنم ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء

(٣) فخ موضع بمكة (٤) الرايين : جمع عرين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل
 وهو البعير يبلغ تسع سنين . فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلثن
 الحسن التي ينقلن فيها القلب من مكان الى مكان

فأبرزن لما قن يحجن دونها * حجاباً من القسي والحبرات ^(١)

تضوع طيباً بطن نعان إذ مشت * به زينب في نسوة عطرات

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات ^(٢)

فقال سعيد : هنا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال

وليس كآخرى وسعت جيب درعها * وأبدت بنان الكف للجمرات

وغالت بيان المسك وخفاً مرجلاً * على مثل بدر للاح في الظلمات ^(٣)

وقامت ترامى بين جمع فأقنت * برؤيتها من راح من عرفات

قالوا فكأنوا يرون أن الشعر الثاني له ، والأول لمحمد بن عبد الله بن نعيم

الثقفي يقوله في زينب بنت يوسف أخت الحجاج حتى ظفر به فقال : أنت القاتل

ما قلت ؟ قال وهل قلت أصلح الله الأمير إلا :

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

قال له : كم كنتم إذ قول * ولما رأيت ركب النيمري أعرضت * قال والله

ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمار هزيل ! فضحك وعفا عنه

— وهو القاتل

أهاجتك الطغائن يوم بانوا * بنى الزى الجليل من الأثاث ^(٤)

طغائن أسلكت في بطن قور * تحث إذا رنت أى اختثاث

كأن على الهودج يوم بانوا * فعاجاً ترتعى بقل البراث ^(٥)

يهيجك الحلم إذا تنفى * كما سجع التوادب بالرائي

(١) القسي : نوع من اللباس ينسب الى قرية مصرية بقرب الريش . وأهو القزى

فأبدلت الزاى (٢) الاعتجار : لينة خاصة للمرأة (٣) وحف : أسود ، وهو

صفة الشعر ، والمرجل : المسرح (٤) الطغائن : جمع طغينة ، وهي المرأة في الهودج

والاثاث متاع البيت (٥) البراث : الارض السهلة

وصف الدنيا

وقال ابن المعتز :

— وعد الدنيا الى خُلف ، وبقاؤها الى تَلَف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها
النجع ، طوَاحَة طَرَاحَة ، آسِيَة جَرَّاحَة ، كم راقِد في ظلها قد ايقظته ، وواثق بها ،
قد خائته ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع ديناه ، ويسكن رسمه ، وينقطع عن أمله ،
ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، وقض قوى حركاته ، وطمس
البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد تحت صفائح انضاد^(١)
وقد اسلمه الاحباب ، واقترب التراب ، في بيت قد نجرته المaul^(٢) ، وفُرشَت
فيه الجنادل ، مازال مضطربا في امله ، حتى استقر في اجله ، ونجت الأيام ذكره ،
واعتادت الألفاظ قمره

بين ابن المعتز وتعلب

وكتب وهو معتقل الى استاذه ابي العباس احمد بن يحيى ثلَب^(٣) يتشوقه
ما وَجَدُ صَادِرًا بِالْجِبَالِ مُؤْتَقٍ * بَاءَ مُزْنٍ بَارِدٍ مَصْفَقٍ^(٤)
بِالرَّيْحِ لَمْ يُكْذِرْ وَلَمْ يُرْتَقِ * جَادَتْ بِهِ أَخْلَافٌ دَخَنٌ مُطْبِقٍ^(٥)
بَصْرَةٍ إِنْ تَرَشَّمَا تَبْرُقَ * مَا دَعَا عَلَيْهَا كَالزَّجَاجِ الْاَزْرَقِ^(٦)
صَرِيحٌ غَيْثٌ خَالِصٌ لَمْ يُنْذَقِ * إِلَّا كَوَجْدِي بِكَ لَكِنْ أَتَقَى^(٧)

- (١) صفائح أنضاد : الصفائح الحجارة الرقيقة ، انضاد جمع ضد وهو المتحوت .
بأستواء (٢) المaul : جمع معول وهو آلة كالقدوم (٣) كان ثلَب من أصدق أهل
المرية لسانا وأبدم ذكرها وأثبتهم حفظا ، وكان في رأى المبرد أعلم الكوفيين . توفي
في جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٤) مصفق : صفقه الريح أى لبت به حتى لكانه يصفق .
(٥) الاخلاف : الائتداء يفيض منها اللبن ، والدخن المطبق هو السحاب المتراكم .
(٦) ماد : مال (٧) لم يذوق : لم يمتزج ، يشبه التيث القوى بالحمر الصرفة تضرع الشارين .

يا فتاحاً لكل باب مُتَّقٍ * وصيرَ قِياً ناقداً للمنطِقِ (١)
 إن قال هذا بهرج لم ينفق * إنا على البعاد والتفرق
 لتلتقى بالذكر إن لم تلتق

فأجابه

أخذت ، أطل الله بقاءك ، أول هذه الأبيات مما أملت على من قول
 جميل (٢)

وما صاديات حُنَّ يوماً وليلة * على الماء يخشين العصي حوانى
 كواعب لم يصدرن عنه لوجهة * ولا هنَّ من برد الحياض دوانى
 يرعن حباب الماء والموت دونه * فهنَّ لاصوات السقاة روانى
 بأكثر منى غلة وصباة * اليك ولكن العدو عرانى
 وأخذت آخرها من قول رؤبة بن السجاج (٣)

إني وإن لم ترني فاني * أخوك والراعى اذا استرعيتني
 أراك بالود وإن لم ترني

قال : فاستخفى في ذلك ونسب الى سوء الادب

(١) الصيرفي : الرجل الحاذق في تمييز النقود ويريد به هنا البصير بقصد القول

(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين الى
 ممشوقه بثينة ، وكانت سكينه بنت الحنين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :
 يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وأى جهاد غيرهن أريد
 لكل حديث يذهر بشاشة * وكل قتيل عندهن شهيد
 وكلفت وفاته سنة ٨٢

(٣) راجز فصيح من مخضرمي البوئين الاموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة
 ومات في البادية سنة ١٤٥ فقال الحليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة

شعر ابن المعتز

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ،
وفي النهاية في إشراف ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان ، وكان كما
قال ابن المرزبان :

إذا أنصرف من بديع الشعر، إلى رقيق النثر ، أتى بحلال السحر
وليس بعدى الرمة^(١) أكثر افتناناً ، وأكبر تصرفاً واحساناً في التشبيه منه .
وأما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ، لثلاث
أخرج عما تقدم به الشرط في البسط ، وآتى ههنا ببعض ما اختاره له . قال :

وفتيان سَرَوْا والليلُ داج * وضوء الصبح متهمُ الطلوع
كان نِزاتهم امرأه جيش * على اكتافهم حدأ الدروع

وقال أيضاً

في ليلة أكل الخاق هلالها * حتى تبدى مثل وقف العاج^(٢)
والصبح يتلو المشتري فكأنه * عُرْيَان يمشي في الدجى بسراج^(٣)

وقال أيضاً يصف فرسا

ولقد غدوت على طمرٍ ساجج * عقلت سنابكه عجاجة قسطل^(٤)
متلِّمُ الحُجْم الحديد يلوكها * لوك الفتاة مساوكاً من إسطل^(٥)

- (١) ذو الرمة هو غيلان بن عتبة أحد فحول النثر في عصره ، قال فيه أبو عمرو
ابن العلاء : (فتح الشعر بامرى القيس وختم بذى الرمة) ولعل ذلك لانه كان يكثر
من التشبيه بأكاء الاطلال ، أولاً ديباجته كانت بدوية خالصة . توفي باصهان سنة ١١٧
(٢) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالصبوس ونحوه .
(٣) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة (٤) طمر : حصان سريع الجرى كما يهوى
من طمار ، أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد حوافره ، والعجاجة السحابة ،
والقسطل الثبار (٥) اللجم جمع لجام ، والاسطل بالكسر شجر يستاك به

وُحَجِّلَ غَيْرَ الْيَمِينِ كَأَنَّهُ * مَتَبَخَّرَ يَمْشِي بِكَمٍّ مَسْبِلٍ
وقال

قد اغتدَى بِقَارِحٍ * مُسَوِّمٍ يَعْبُوبٍ (١)
يَنْفِي الْحَمَى بِخَافِرٍ * كَالْقَدَحِ الْمَكْبُوبِ
قد ضَحَكَتْ غُرَّتُهُ * فِي مَوْضِعِ التَّقْطِيبِ (٢)

وقال أيضا

ولقد وَطِئْتُ الْفَيْثَ يَحْمَلِي * طَرَفُ كُلِّ وَصِيحٍ حِينَ وَفَدَ
جَمَاعَ أَطْرَافِ الصَّوَارِ فَا * الْأُخْرَى عَلَيْهِ إِذَا جَرَى بِأَشَدِّ (٣)
يَمْشِي فَيَعْرِضُ فِي الْعِنَانِ كَمَا * صَدَفَ الْمَعَشَقُ ذُو الدَّلَالِ وَصَدَّ
فَكَأَنَّهُ مَوْجٌ يَذُوبُ إِذَا * أَطْلَقْتَهُ فَإِذَا حَبَسَتْ جَدَّ
وقال أيضا يصف سيفاً:

وَلِي صَارْمٌ فِيهِ النَّايَا كَوَامِنٌ * فَا يَنْفَضِي إِلَّا لِسْفِكَ دِمَاءِ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدُ كَأَنَّهُ * بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقٌّ دُونَ سَمَاءِ
وقال يصف ناراً:

مَشْهَرَةٌ لَا يَحْجُبُ النَّخْلُ ضَوْءَهَا * كَأَنَّ سَيُوفًا بَيْنَ عِيدَانِهَا تُجَلِّي
يُفْرِجُ أَغْصَانُ الْوُقُودِ اضْطِرَامَهَا * كَمَا شَقَّتِ الشَّقَرَاءُ عَنْ مَتْنِهَا جَلًّا (٤)

(١) القارح من ذى الحافر ما طلع ناباه وذلك فى السنة التاسعة ، والمسوم : الملعوم .
واليعيوب : السهل الجبرى فى عدوه . (٢) التقطيب : العبوس (٣) الصوار : القطيع
(٤) الشقراء : فرس زهير بن جندبة

وصف النار

وقال بعض أهل العصر وهو السري الموصل^(١)

يَوْمُ رَدَّاذٍ مُسَّكِ الْحُجْبِ * يَضْحَكُ فِيهِ الشُّرُورُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
وَجَلَسَ أُسْبِلَتْ سِتَارُهُ * عَلَى شُمُوسِ الْبَهَاءِ وَالْحَسْبِ
وَقَدْ جَرَتْ خَيْلٌ رَاحِنًا خَبِيًّا * فِي حُلِيِّهَا أَوْ هَمَمٍ بِالْحُجْبِ^(٣)
وَالْهَيْبِ نَارَنَا قَمَنْظَرَهَا * يَغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجَبِ
إِذَا ارْتَمَتْ بِالْشَّرَارِ فَاطْرَدَتْ * عَلَى ذُرَاهَا مَطَارِدُ الْهَيْبِ
رَأَيْتَ يَاقُوتَةَ مَشْبُكَةٍ * تَطِيرُ عَنْهَا قُرَاضَةُ الْهَيْبِ
فَإَهْضُ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي ابْتَسَمَتْ * فِيهِ رِيَاضُ الْجَمَالِ وَالْآدَبِ

وقال بعض أهل العصر وهو أبو الفرج البيهقي^(٤)

فَحَمَّا قَدَّمَ الْفَلَامَ فَأَهْدَى * فِي كَوَانِنِهِ حَيَاةَ الْنَفُوسِ
كَانَ كَالْأَبْنُوسِ غَيْرِ مَحْلِي * فَقَدْ أَوْ هُوَ مُدْهَبُ الْآبُوسِ
لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ * فَكَسَتْهُ مُصْبَغَاتُ عُرُوسِ

وقال أبو الفضل الميكالي

كَأَنَّ الشَّرَارَ عَلَى نَارِنَا * وَقَدْ رَاقَ مِنْظَرُهَا كُلَّ عَيْنِ
سُحَّالَةٍ تَبْرٍ إِذَا مَا عَلَا * فَأَمَّا هَوَى فُتَّتَاتِ الْجَحَيْنِ^(٥)

(١) هو السري الرقاه المتوفى بفساد سنة ٣٦٦ . وسمى الرقاه لأنه كان في سباه يعرفو الثياب ، وهو جيد الشعر كثير الولع بالآوصاف والتشبيهات (٢) الرذاذ : المطر الضميف . والكشب بالتحريك : القرب (٣) الحجب ضرب من السدو ، وهو أن ينقل القوس أيامنه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد ابن نصر المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين واتصل بسيف الدولة ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء (٥) السحالة : النخالة

عود الى شعر ابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة

وموقرة بثقل الماء جاءت * تهادي فوق أعناق الرياح (١)
فباتت ليها سحًا ووبلاً * وهطلا مثل أفواه الجراح
كان سماءها لما تجلّت * خلال نجومها عند الصباح
رياضُ بنفسج خصلٍ ثراه * فتفتح بينه نورُ الأقاح (٢)

وقال :

ولجة للنيا خضت غمرتها * بصارم ذكر صمصامة خذم (٣)
وقارح صبغ الخيلان دُهمته * بشبهة كاختلاط الصبح بالظلم (٤)

وقال

وليل ككحل العين خضت ظلامه * بأزرق لماع وأبيض صارم
ومضبورة الأعضاد حرقاؤها * تصافح رضراض الحصى بمناسم (٥)

وقال يصف حية

نعت رقطاء لا يجي لرقيتها * لو قد هال السيف لم يعلق به بلل (٦)
تلقى اذا انسلخت في الارض جلدها * كانها كم درع قد هبط (٧)

وقال أيضا

وأسار مني الدهر عضبًا مهندأ * يفل شبا حظي وقلبا مشيعا (٨)

- (١) موقرة : منقطة (٢) خصل : ندى (٣) خذم : قاطع (٤) قارح : القارح من ندى الحافر بمنزلة البازل من الابل وهو الذي قوى ببلوغه تسع سنين — والخيلان جمع خال وهو شامة في البدن. والدمعة : السواد ، والشبهة : لون بين السواد والياض
(٥) الاعضاء جمع عضد ، ومضبورة : محكمة الخلق مكتنزة اللحم. حرف : ضامرة ورضراض الحصى صغارها — والناسم جمع منسم وهو البير (٦) رقطاء : منقطة (٧) أسار : ابتغى — والشييع : الشجاع ..

ورأيا كمرآة الصنّاع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ماسى
أخذه من قول المنصور لابنه المهدي
لا تُبر من أمرٍ حتى تفكر فيه ، فإن فكر العاقل مرآته ، يريه قبضه وحسنه .

رثاء المنصور

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربيع على قبره فقال :
— رحمتك الله يا أمير المؤمنين ، وغفر لك ، فقد كان لك حمى من العقل ، لا يطير
به الجهل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى ، كما ترى ظاهره
ثم التفت الى يحيى بن محمد أخى المنصور فقال هذا كما قال أبو دَهبل الجحى (١)
عقم النساء فما يلدن شبيهه * إن النساء بمنله عقم (٢)
وبعده (٣)

متهلل بنعم بلا متباعد * سيان منه الوفر والعُدْم (٤)
نَزَرَ الكلام من الحياء تخاله * ضَمِنًا وليس بحسمه سُقْم (٥)

أوصاف الرجال

أخذ البيت الأخير من قول ليلى الأُخيلية (٦)
لا تقربين الدهر آل مُطَرِّفٍ * إن ظلالاً يوماً وإن مظلوماً

(١) فى الاصل (أبو دعل) وهو تحريف (٢) عقم : جمع عقيم وهى المرأة العاقرة
وقبل هذا البيت كما فى الحاشية :

إن البيوت معادن فتجاره ذهب وكل بيوته ضخم
والتجار : الاصل (٣) هذا استطراد من الموائف (٤) الوفر والعدم : التقي والفقر
(٥) ضمن : مريض (٦) هى ليلى بنت عبد الله اشتهرت بأخبارها مع توبة وله فيها
شعر جميل ، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الحساء ، توفيت نحو سنة ٧٥
وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحناسة :

قومٌ رِباط الخيل حول بيوتهم * وأسنةٌ زُرُقٌ يُخَلْنَ نجومًا
ومزقٌ عنه القميص تخاله * وَسَطَ البيوت من الحياء سقيا
حتى إذا رفع اللواء رأته * يوم الهياج على الخميس زعيما^(١)
وقال

يُسَبِّهون ملوكًا في تجلّتهم * وطول أنصبة الأعتاق واللّم^(٢)
إذا بدا المسك يجرى في مفارقهم * راحوا كأنهم مُرضى من الكرم
وقال أبو علي الخاتمي : وما أحسن أبياتا أنشدها أبو عمرو المطرز غلام ثعلب
يعترض في أنشائها هذا المعنى

تخالمهم للعلم صمًا عن الخنا * وخُرُسا عن الفحشاء عند التهاثر^(٣)
ومرضى إذا لا قوا حياء وعفة * وعند الحروب كالبيوت الخوادر^(٤)
لهم عز إنصافٍ وذُلٌّ تواضع * بهم ولهم ذلت رقاب العسائر
كأنّ بهم وصمًا يخافون عاره * وليس بهم إلا اتقاء المعايير^(٥)
وأنشد :

أحلام عادي لا يخاف جليسه * وإن نطق العوراء عيب لسان
إذا حدّثوا لم يخش سوء استماعهم * وإن حدّثوا أدّوا بحسن بيان

يا أيها السدم الملوى رأسه ليقود من أهل الحجاز برما
اتريد عمرو بن الخليل ودونه كعب ؟ اذن لو جدته مرموما
ان الخليل ورهطه في طمر كالقلب ألبس جوّ جوّ واحزما

السدوم : الفحل الهائج . والبريم : الجيش المؤلف من اخلاط الناس . والمرموم :
المحوط بالعطف ، والجوّ جوّ الصدر (١) اللواء : الراية ، والخميس الجيش لأنه خمس
فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . والزعيم الرئيس
(٢) الانصبة : جمع نصاب وهو الأصل الذي ركب فيه النقص
(٣) التهاثر : تبادل السباب بالباطل (٤) الخوادر جمع خادر وهو الليث يلزم
لجمته (٥) المعايير : المعايير

طيب الوصال

وقال ابن المعتز :

وعاقد زِنَارٍ عَلَى غَصْنِ الآسِ * دَقِيقِ المَعَانِي مُخْطَفِ الحَصْرِ مَيَّاسِ^(١)
عَقَانِي عُقَارًا صَبًّا فِيهَا مَزَاجُهَا * فَأَضْحَكُ عَنْ نَفْسِ الحَبَابِ فَمِ الكَلَسِ
وقال :

يَا لَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا * أَحْدَاثَهُ كَوْنِي بِلَا فُجْرِ
فَاحِ الْمَسَاءِ بِيَدِهَا وَوَشَتْ * فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ القَطْرِ
ثُمَّ اقْضَتْ وَالْقَلْبُ يَتَّبِعُهَا * فِي حَيْثُمَا سَقَطَتْ مِنَ النُّهْرِ^(٢)
وقال :

يَا رَبِّ إِخْوَانٍ صَحْبَهُمْ * لَا يَمْلِكُونَ لِسُلُوءِ قَلْبَا
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ * أَجْسَامُهُمْ فَمَا تَعَاثَرَتْ حَبَا^(٣)
هذا كقول ابن الرومي

أَعَاقَهُ وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ * إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ العِنَاقِ تَدَانِي
وَأَلَمَ فَاهُ كَيْ تَزُولَ حَرَرَاتِي * فَيَسْتَدِمُّ مَا أَلْتَمَسْتُ مِنَ المَيِّمَانِ
وَلَمْ يَكْ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الجُورِ * لِيَرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفْتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ * سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ يَتَزَجَّانِ

نثر ابن المعتز

ومن منشوره :

— لا يزال الاخوان يسافرون في المودة ، حتى يبلغوا الشَّقة ، فاذا بلغوها ألقوا عصا

(١) الزنار : رباط يشد به الحصر — ومخطف الحصر : ضامره ، ومثله اخطف

ومخطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت : سعت

التسيار ، واطمأنت بهم النار ، وأقبلت وقود النباح ، وأمنت خبايا الضائر ،
فخلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق

— وله : سار فلان في جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقصه الحديد ، وكان
رماحهم قرون الوعول ^(١) وكان أذراعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الأرض
بخوافها ، وعند بالنقع سراقها ^(٢) قد نشرت في وجوهها غرر كأنها صحائف الرق ^(٣)
وأمسكها تحجيل كأنها سورة الأجن ^(٤) وقرطت عذرا كأنها الشنف ^(٥) تتلف
الاعداء أوائله ولم تنهض أواخره ، قد صب عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم
ريح النصر

— وله في عليل :

أذن الله في شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح يده العافية عليك ، ووجه
وفد السلامة إليك ، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك .
— وكتب الى عبيد الله بن سليمان بن وهب ^(٦) في يوم عيد :

أخترني العلة عن الوزير أعزه الله ، فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ،
ويعمر ما أخلته العوائق مني ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الاعياد
السائلة بركة على الوزير ، ودون الاعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له ، ويقبل
ما توسل به الى مرضاته ، ويضاعف الاحسان اليه ، على الاحسان منه ، ويمتعه .

(١) الوعول : جمع وعل وهو التيس الجلي (٢) الثقب : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح وبكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٥) الشنف : بالفتح : القرط والعذر بضمين جمع عذار

(٦) وزير من أكبر الكتاب ، استوزره المتعمد على الله وأقره بعده المتعبد .
واستمرت وزارته عشرين وخمسين يوما وكانت وفاته سنة ٢٨٨ . وهو الذي قال فيه
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمتعبد :

أني دهرنا - انصافنا في نفوسنا وأنصفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعماء فيهم أمها ودع أمرنا ان الأهم مقدم

بصحبة النعمة ولباس العافية ، ولا يريه في مسرة نقصاً ، ولا يقطع عنه مزيداً ،
ويجعلني من كل سوء فداء ، ويعترف عيون الغير عنه ، وعن حظي منه
— وله إلى بعض الرؤساء :

لا تشن حسن الظفر ببيع الانتقام ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الاعتذار
طريقاً ^(١) حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقاً
— وله : اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله :

ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله اني
لأطلب عفو ذنب لم أجته ، وأتأس الإقالة بما لا أعرفه ، لتزداد تطوئلاً وازداد
تذلاً ، وأنا أعيد حالي عندك بكرمك من واث يكيدها ، وأحرسها بوفائك من
باغ يحاول افسادها ، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك ، بقدر ودي لك ،
ويحلي من رجائك ، بحيث استحق منك .
— وله إليه :

لو كان في الصمت موضع يسع حالي لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل
وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ،
كان في الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرفني على ستر أمرى حتى خذلني
— وهذا كقول احمد بن اسماعيل : فصاحة الشكوى ، على قبر البلوى ، إلا أن
يكون بالشاكي اقتباض ، وبالشكوى إليه إعراض

وصف الماء

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أشدتها آتقاً ،
وقد قال في قصيدة له وذكر إبلا :

(١) الاعتذار : ابداء العذر ، وفي الاسل (الاقدار) وهو تحريف :

فتبتى لمن بالنَّجَف المد * بر ماء صافي الجمام مرى^(١)
 يتمشى على حصي سلب لا * اء قذاه فتمته مجلى^٢
 واذا داخلته درة شمس * خِطته كسرت عليه الحلى^٣
 وقال (٢):

لا مثل منزلة البويرة منزل * يا دار جادك وابل وسقاك^(٣)
 يؤسا لهر غيرتك صروفه * لم ينج من قلبى الهوى ومحاك^٤
 لم يحل للعينين بملك منظر * ثم المنازل كلهن سواك^٥
 أى المعاهد منك أنذب طيبة * تمسك بالآصال أم مفداك؟
 أم برد ظلك ذى النصوص وذى الجنى * أم أرضك الميثاء أم رياك^(٤)
 وكأنا سعطت مجامر عنبر * أوفت فار المسك فوق ثراك^(٥)
 وكأنا حصاء أرضك جوهر * وكان ماء الورد دمع نذاك
 وكأنا أيدى الربيع ضحية * نشرت ثياب الوشى فوق رباك
 وكان دِرْعاً مفرغاً من فضة * ماء الغدير جرت عليه صباك^(٦)
 وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فإودعا عن نفسها فقالت:

وما طعم ماد أى ماء تقوله * تحذر عن غر طوال التوايب
 بمنعرج من بطن وادى تقابلت * عليه رياح الصيف من كل جانب
 نكت جرية للماء القذى عن منته * فما إن به عيب تراه لشارب
 بأطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقي الله واستحياء بعض العواقب

(١) النجف، محرّكة وبهاء، مكان لا يعلو الماء مستطيل متقاد ويكون في بطن الوادى وقد يكون يعطن من الارض والجمام جمع جم وهو الماء الكثير، والمرى الهنى

(٢) هذه الكافية من أروع مقلات ابن المعتز، وقد ترجتها الى الفرنسية في كتابى

La prose arabe au Ixe siècle de l'hegire

(٣) البويرة : محلة ببغداد (٤) رواية الفيضون (٥) أم برد ظلك ذى العيون وذى

الحيا والميثاء : اللينة (٥) فار المسك : ما تجمد من دم الفزال (٦) مفرغ مصبوب

وَأَشْدُ الْأَصْمَى قَالَ أَشَدُّنِي أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ الْجَابِرُ بْنُ الْأُرْتِّ وَقَالَ هُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ :

أَيَا وَيْحَ نَفْسِي كَلِمَا التَّحَتُّ لَوْحَةً (١) * عَلَى شَرِيقَةٍ مِنْ مَاءٍ أَحْوَاضٍ مَارِبٍ (٢)
بَقَايَا نَطَافٍ أَوْ دَعِ النَّعِيمَ صَفْوَهَا * مَصْقَلَةٌ الْأَرْجَاءُ زُرُقُ الْمَشَارِبِ (٣)
تَرْتَرِقُ دَمْعُ الْمَزْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوْتُ * عَلَيْهِنَ أَقَاسُ الرِّيَاحِ الْغَرَائِبِ
وَأَشْدُ اسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأَبْرِادِ الْيَبْرُوعِي وَرَوَيْتُ لِمُفْرَسِ بْنِ رَبِيعِ
الْأَسَدِيِّ

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَبِثَتْ * بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرُقٍ مَحَافِرُهُ
أَزَالَ الْقَدْيُ عَنْ مَائِهِ وَافِدَ الْأَصْبَا * يَرُوحُ عَلَيْهِ نَابِئًا وَيَبْكَرُهُ
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهِذَا زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي قَوْلِهِ
فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرُقًا جَمَامُهُ * وَضَمَنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ (٤)

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ
وَبِنَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حَرِّ صَفْحَتِهِ الْقَدْيُ * مِنْ الرِّيحِ مِعْطَارُ الْأَصَاتِلِ وَالْبُكْرُ
بِهِ عَبَقٌ مِمَّا تَسَجَّبَ فَوْقَهُ * نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى النَّوْرِ وَالزَّهَرِ

(١) التحت : عطشت من قولهم لاحه العطش ولوحه اذا غيره ، وهو ملتح ، وبه لوح شديد ، وبمعير ملواح وإبل ملاديج : سريعة العطش
(٢) مارب : هي بلاد الأزد باليمن ، وهي غير مهموزة لأنها وردت كذلك في الخطوط الحيرية كما أخبرنا السيور نالينو . وهذا لا ينافي أنها همزت في بعض الأشار ولسد مارب
توسيل المرم قصص طويلة ذكر بعضها في معجم البلدان
(٣) النطاف والنطاف جمع نطفة وهي الماء الصافي قبل أكثر (٤) المتخيم : المقيم

بركة الجعفري^(١)

ويتعلق بهذا الباب قول البحري يصف بركة الجعفري^(٢) وهو قصر ابتناه المتوكل في سر من رأى

- يا من رأى البركة الحسناء وروىها^(٣) * والآنسات إذا لاحت مغانيها
- ما بال دجلة كالغفري تنافسها * في الحسن طوراً وأطواراً تباهاها
- إذا علتها الصبا أبنت لها حبكاً * مثل الجواشن مصقولة حواشيا^(٤)
- فحاجب الشمس أحياناً يغازلها^(٥) * ورقيق الغيث أحياناً ييا كياها
- إذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حست سماء ركبت فيها
- كانت القبة البيضاء سائلة * من السباتك تجري في مجاريها
- تنصب فيها وفود الماء معلقة * كالخيل خارجة من جبل مجريها^(٦)
- كان جن سليمان الذين ولوا * إبداعها فأدقوا في مغانيها
- فلو عمرها بقليس عن عرض^(٧) * قالت هي المصريح تمثيلاً وتشبها
- لا يبلغ السمك القصور غايتها * لبعث ما بين قاصيها ودانها
- يؤمن فيها بأوساط مجنحة * كالطير تنشر في جو خوافها

(١) الجعفري أسم قصر بناء المتوكل قرب سامراء فلما انتقل إليه انتقل معه أهل سامراء حتى كانت تحلو ، وفي هذا القصر قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧
 (٢) سميت البركة بركة لأقامة الماء فيها ، من بركة البعير (٣) رواية الديوان
 — (الحسناء رؤيتها) (٤) الجواشن جمع جوشن وهو الدرع . وفي الاصل (من الجواشن) وهو تحريف (٥) رواية الديوان (يضاحكها) وهي أنسب
 (٦) الوفود جمع وفد . وهو هنا تيار الماء (٧) عن عرض : من جانب . وفي الاصل (معرضة) وقد أثرنا رواية الديوان

قصور المتوكل

ولم ينفق أحد من خلفاء نبي العباس في البناء ما أنفقه المتوكل ، وذلك أنه
أنفق في أبيته ثلثمائة ألف ألف

وفي أبيته يقول على بن الجهم ^(١)

وما زلت اسمع أن الملو * ك تبني على قدر أخطارها
وأعلم أن عقول الرجا * ل يقضى عليها بأثارها
صُحُونُ تسافر فيها العيون * فتحصِرُ من بُعد أقطارها ^(٢)
وقبة مُلْكٍ كأن النجوى * م تُفنى اليها بأسرارها
إذا أُوقِدَتْ نارها بالعراق * أضاء الحجاز سنا نارها
لها شُرُفَاتُ كأن الربيع * كساها الرياض بأنوارها
فهنَّ كصطربات خرجن * لفصح النصارى وأقطارها ^(٣)
نظمن القيسى كنظم الحلى * بُنُونُ النقاء وأبكارها ^(٤)
فنَّ بين غاصصة شعرها * ومُصلحة عقد زنازها ^(٥)
والبخترى فيها شعر كثير منه
أرى المتوكلية قد تعالت * مصانها ^(٦) وأكملت اللها

(١) شاعر عجل من معاصري أبي تمام والبخترى وهو صاحب الرائية المشهورة التي
يقول في أولها

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلين الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
أعدن لى الشوق القديم ولم أكن * سلوت ولكن زدن جرا الى جر
احتص بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه الى خراسان فأقام بها مدة ورحل الى حلب
فقتله بقرىها. بعض نبي كلب سنة ٢٤٩

(٢) تحصر : تكل ، والأقطار التواحي والارجاء (٣) الفصح من أعياد النصارى
(٤) عون : جمع عوان ، على وزن سحاب ، وهى التى كانت لها زوج
(٥) الزنار : رباط يشد به الحصر (٦) مصانها : مبانها - وفى الديوان (بحسبها)

قصود كالكوكب لامعات * يكدن يَضُنُّ السارى الظلاما
وروض مثل بُرْد الوشى فيه * جنى الحوذان ينشر والخزاي^(١)
غرائب من فنون النور فيها * جنى الزهر الفردى والتؤاما
يضاحكها الضحى^(٢) طوراً وطوراً * عليها الغيم ينسجم انسجاما
ولو لم يستهل لها غمام * بريقة لكننت لها غماما^(٣)
وقال أيضاً

قد تمَّ حسن الجفرى ولم يكن * ليمَّ إلا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار أنشئت * فى خير مبدى للأنام ومحضر
فى رأس مُشرقة حصاها لؤلؤ * وتراها مك يشاب بعنبر^(٤)
مخضرة والنيث ليس بساكب * ومضيئة والليل ليس بمقمر
رُفَّتْ بمنحرق الرياح وجاورت * ظل النعام الصيب المستمبر^(٥)
وبعد :

ورفت بنيانا كأن مناره * أعلام رضوى أو شواهى صير^(٦)
عال على لحظ العيون كأنما * ينظرون منه الى رياض المشتى^(٧)
ملأت جوانبه القضاء وعاقبت * شرفاته قطع السحاب المطر
وتسيل دجلة تحته ففناؤه * من لجة فُرشت وروض أخضر
شجر تلاعبه الرياح فتنتنى * أعطافه فى سائح متفجّر

(١) الحوذان والخزاي من النباتات المزهرة (٢) فى الاصل (يضاحك نورها) وقد
آثرنا رواية الديوان (٣) ريق القطر : التزير منه
(٤) يشاب : يمزج (٥) الصيب : الكثير الانهمال . ورواية الديوان :
ظهرت لمحترق الشمال وجاورت ظلل النعام الصائب المستغفر
(٦) رضوى وصير : جيلان ، وفى الاصل (شواهى منبر) وهو تحريف (٧) المشتى :
اسم نجم

وصف موضع

أخذ أبو بكر الصنوبري ^(١) قول البحرى في صفة البركة فقال يصف موضعا

سقى حليبا سافكا دمه * بطي الرقواءا ماسفكا ^(٢)

مينادينه بسطن الرياض * وساحاته بينهن البرك

ترى الريح تسج من مائه * دُرُوعاً مضاعفة أو شبك

كان الزجاج عليها أذيب * وماء اللجين بها قد سبك

هي الجو من رقة غير أن * مكان الطيور يطير السمك

وقد نظم الزهر نظم النجوم * ففترق النظم أو مشتبك

كما درج الماء مر الصبا * ودبج وجه السماء الحبك

يباهين أعلام قص القيان * ونش عصائبها والتسكك

وأخذ قوله ☆ إذا النجوم ترامت في جوانبها ☆ فقال

ولما تعالى البدر وامتد ضوءه * بدجلة في تشرين في الطول والعرض

وقد قابل الماء المنفض نوره * وبعض نجوم الليل يقوسنا بعض ^(٣)

توهم ذو العين البصيرة أنه * يرى باطن الافلاك من ظاهر الارض

ولأهل مصر في هذا النحو كلام كثير . قال الأمير أبو الفضل الميكالى يصف

بركة وقع عليها شعاع الشمس فالتفت على بهو مطلق عليها :

أما ترى البركة الفراء قد ليست * نوراً من الشمس في حافاتها سطما

والبهو من فوقها يلهيك منظره * كأنه ملك في دسسته ارتقا

(١) هو أحمد بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٣٣٤ (٢) الرقوة : السكون . يقال : رقاً

دمه ودمه ، ولا رقأت دمة فلان ولا أرقأ الله عنه . ومن كلامهم : اليأس رقوة الدمع .

وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فانه رقوة لتذراف الدموع السواك

(٣) يقفو : يتبع ، والسنا الضوء

والماء من تحته ألقى الشعاع على * أعلا سماواته فارتجّ ملتعماً
كأنه السيف مصقولاً ثقله * كف الكميّ إلى ضرب الكميّ سعى^(١)

دار البحر

وقال علي بن محمد الأيادي يمدح المعز ويصف دار البحر بالمنصورة^(٢)
ولما استطلال المجد واستولت البنى * على النجم واشتد الرواق المروق^(٣)
بنى قبةً للملك في وسط جنة * لها منظرٌ يرّهى به الطرف موق^(٤)
بمَشْوِقة الساحتِ أما عِراضُها * فضضرتُ وأما طيرها فهي نُفُوق^(٥)
تحف بقصر ذي قُصور كأنما * ترى البحر في أرجائه وهو مُتَأَنق^(٦)
له بركة للماء ملء فضائه * تحبُّ بقصرها العيون وتعتق^(٧)
لها جدولٌ ينصبُّ فيها كأنه * حُسامٌ جلاه القين بالأرض مُلصق^(٨)
لها مجلسٌ قد قام في وسط مائها * كما قام في فيض القرات الخورق^(٩)
كأنه صفاء الماء فيها وحُسنه * زيلجٌ صفتُ أرجاؤه فهو أزرق
إذا بثت فيها الليل أشخاص نجمه * رأيت وجوه الزنج بالنار تُحرق^(١٠)
وان صافحتها الشمس لاحت كأنها * فِرند عليّ تلج المعز ورووق^(١١)
كأن شرافات المقاصر حولها * عذارى عليهنّ الماء المنطق
يلوب الجفاء الجمّد عن وجه مائها * كما ذاب آل الصحصحان المروق^(١٢)
وقال عبد الكريم بن إبراهيم:

يارب فتیان صدق رُحّت بينهم * والشمس كالدّيقِ العشوق في الأفق
مرّضى أصائلها حُصرى شمائلها * تروّح النّصن المپطور في الورق

(١) البكى: الشعاع (٢) المنصورة: مدينة بقرب القيروان (٣) النجى: جمع بنية
بالضم والكسر (٤) الراس هي الباحت (٥) متاق: ملآن (٦) تحب وتعتق من
الحبب والعتق يفتحان وهما من أنواع السير (٧) القين: الحداد (٨) الخورق:
اسم قصر (٩) الصحصحان: موضع بين حلب وتدمر، والآل السراب

مُعَاطِيًا شمس إِيرِيقَ إِذَا مُزِجَتْ * تَقَلَّتْ عِقدَ مَرْجَانٍ مِنَ النَّزَقِ
 عَنْ مَاحِلٍ طَافِحٍ بِالمَاءِ مُعْتَلِجٍ * كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيفَتْ مِنَ الْحَدَقِ
 تَضْمُهُ الرِّيحُ أحيانًا وَتَقْرَقُهُ * قَالِمَاءُ مَا بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُنْطَلِقِ
 مِنْ أَخْضَرٍ نَاضِرٍ وَالطَّلِ يَلْحَقُهُ * وَأَيُّضَ تَحْتَ قَيْظِي الضَّحَى يَقُ (١)
 تَهْزُهُ الرِّيحُ أحيانًا فَيَمْنَحُهَا * لِلزَّجَرِ خَفَقَ فَوَادٍ الْعَاشِقِ الْقَلْقِ
 كَأَنَّ حَافَاتِهِ نُظُنُّنَ مِنْ زَبَدٍ * مَنَاطِقًا رُصِّعَتْ مِنْ لَوْلُو نَسَقِ
 كَأَنَّ قَبْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ نَظِيرٍ * حَسَنَاءُ مَجْلُوءَةُ اللَّبَاتِ وَالْعَبَقِ
 إِذَا تَبَلَّجَ فَجْرٌ فَوْقَ زُرْقَتِهِ * حَسْبَتْهُ فَرَسًا دَهَاءُ فِي يَلْقَى (٢)
 أَوْ لَا زَوْزَدًا جَرَى فِي مَتْنِهِ ذَهَبٍ * فَلَاحَ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرِيقِ
 عَشِيَّةٌ كَمَلَتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا * لَيْلٌ يَمْدُدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإَفْقِ
 تَجْلَى بِفِرَّةٍ وَضَاحٍ الْجَبِينِ لَهُ * مَا شِئْتُ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقِ

المياه والغدران

ألفاظ يراد بها المعنى في وصف الماء وما ينصل به

- ماء كالزجاج الأزرق .
- غدِير كعين الشمس .
- موارد كالبارد .
- ماء كلسان الشمعة ، في صفاء اللمعة ، يسبح في الرضراض ، يسبح التضاض .
- ماء أزرق كعين السُّنُور (٣) صاف كقضب البلور .
- ماء إذا مسته يد النسيم حكى سلاسل القضة .
- ماء إذا صاحته راحة الريح ، لبس الدروع كالسيح :

(٣) قَيْظِي : منسوب إلى القيظ وهو الحر الشديد . وفي الأصل (قَيْظِي) وهو تحريف
 واليقظ : الناصع اليأس (٤) البلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين (١) السُّنُور : القط

- كأن القدير بتراب الماء رداء مصنل .
- بركة كأنها مرآة السماء .
- بركة مفروزة بالخضرة ، كأنها مرآة مجلوة ، على ديباجة خضراء .
- بركة ماء كأنها مرآة الصانع ^(١) .
- غدیر تفرقت فيه دموع السحاب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .
- ماء زُرْقٍ جمامه ، طامية أُرْجاؤه ، ييوح بأسراره صفائه ، وتلوح في قراره حصاؤه .
- ماء كأنما يفقده من يشهده ، يتسلسل كالزرافين ^(٢) ويرضع أولاد الرياحين .
- أنحل عقد السماء ، ووهى عقد الأنواء .
- أنحل سلك القطر عن در البحر .
- أسعد السحاب جفون العشاق ^(٣) ، وأكف الأجواد ، وأنحل خيط السماء وانقطع شريان النعام .
- سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفض علينا عقود الدر .
- سحاب حكى الحب في انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلوعه .
- سحابة تحدو من الغيوم جمالا ، وتمد من الأمطار حبالا .
- سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والأمواج أفواجاً :
- تحللت عقد السماء بالديمة المطلاة .
- غيث أجش يروي الهضاب والأكام ^(٤) ، ويحيي النبات والسوام .
- غيث كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ، وسلامة عقلك ، وصفاء ودك .
- وبل كالنبيل .

(١) الصانع : المرأة الماهرة فيما تصنع ، وكأنا يراد بها هنا المرأة التي تهتم بزينة النساء
 (٢) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها طريقاً ولعلنا (٣) أسعد :
 من الأسعاد وهو المشاركة في البكاء (٤) الأكام : جمع أكمة وهي التل

- سحابة لا تجف جفونها ، ولا يخف أنينها .
- سحابة يضطك من بكائها الروض ، وتختصر من سوادها الأرض .
- ديمة روت أديم الثرى ، ونبت عيون النور من الكرى .
- سحابة ركبت أعناق الرياح وسعت كأفواه الجراح — مطر كأفواه القرب ،
ووحل إلى الركب — أندية من الله معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف
بالوقوف — أقبل السيل ينحدر انحداراً ، ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ،
أو في أحشائه أجنة .

وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده

ولهم في مقدمات المطر

- لبست السماء جلبابها ، وسجبت السحاب أذيالها .
- قد احتجبت الشمس في سراقق النسيم ، وليس الجو مطر فـه إلا دكن .
- باحت الريح بأسرار الندى ، وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ،
وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلة السماء ، وبشر النسيم بالندى ، واستعلت
الأرض للقطر .

- هبت شمائل الجنائب ، لتأليف شمل السحاب .
- تألفت أشتات النجوم ، وأسبلت الستور على النجوم .

وصف الرعد والبرق

وفي الرعد والبرق

- قام خطيب الرعد ، ونبض عرق البرق .
- سحابة ارتجرت رواعدها ، وأذهبت بروعها مطاردها .
- نطق لسان الرعد ، وخفق قلب البرق ، فالرعد ذو صخب ، والبرق ذو لهب .
- ابتسم البرق عن قهقهة الرعد .

- زارت أسد الرعد ، ولعت سيوف البرق .
 — رعدت النائم و برقت ، وانحلت عزالى السماء فطبقت — هدرت رواعدها
 وقربت أباعدها ، وصدقت مواعدها .
 — كأن البرق قلب مشوق ، بين التهاب وخفوق .

ويتصل بهذه النسخة ما عطاها عمر بن علي الطوسي قال :

— رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين
 أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج فكنت
 فى جملة من استصحبه إليها من أصحابه ، واتفق أنا وصلنا والسماء مُصْحِيَةً ،
 والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ، والإفق فيروز لم يعبق به
 كافور السحاب ، قوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع ، متسقة الأوراق
 والغصون ، قد شترت ماحولها من الأرض طولاً وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظلين
 بنسابة أفنانها ^(١) مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها ، وأخذنا نتجاذب
 أذيال المذاكرة ، وتسالب أهداب المناشدة والمحاوره ؛ فاشعرنا بالنساء إلا وقد
 ارعدت وأبرقت ، وأظلمت بعد ما أشرقت ، ثم جادت بمطر كأفواه القرب
 فأجادت ، وحكت أنامل الاجواد ومدامع العشاق ^(٢) بل أوفت عليها وزادت
 حتى كاد غيبتها يعود عينا ^(٣) وهمّ ويلها أن يستحيل ويلا ، فصرنا على أذاها ،
 وقلنا سحابة صيف عما قليل تقشع ، فإذا نحن بها قد أمطرتنا برداً كالثغور ،
 لكنها من ثغور العذاب ، لامن الثغور العذاب ، فأيقنا بالبلاء ، وسلمنا لأسباب
 القضاء ؛ فامرت إلا ساعة من النهار ، حتى سمعنا خريز الانهار ، ورأينا السيل

(١) السجادة : السماء وهو السقف (٢) المدامع : جمع مدمع ، وهو هنا مكان
 الدمع ، فالمراد من مدامع العشاق عيونهم (٣) الميت : الفساد

قد بلغ الزبي ، ^(١) والماء قد غمر القيعان والرُّبى ^(٢) فبادرنا إلى حصن القرية لاثنتين من السيل بأفنيتهما ، وعائدين من القطر بأفنيتهما ، وأتوا بنا قد صندل كافوريتها ماء الويل ، وغلف طرازها طين الوحل ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الإبدان ، وإن فقدنا بياض الأكلم والأردان ، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح ، شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فجع بالأرباح ، فبتنا تلك الليلة في سماء تكف ولا تكف ^(٣) وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع هوام ، وأريسة سيجام ^(٤) ، فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام ، وصُرف بوالى الصحو عامل الغمام ، رأينا صواب الرأى أن نوسع الإقامة بها رفضاً ، ونتخذ الارتحال عنها فرضاً ، فما زلنا نطوى الصحارى أرضاً فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر ركضاً ؛ فلما قضينا غبار ذلك السير ، الذى جمعنا في ربة الأسير ، وأفضينا إلى ساحة التيسير ، بعد ما أصبنا بالأمر العسير وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة ، في قطع ذلك الطريق ، وطى تلك الشقة ، أخذ الأمير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الآيات ارتجالاً

دهتنا السماء غداة السحاب * بفيث على أفقه مُسْبِل
لجاء برعد له رنة * كرتة ثكلى ولم تشكل
وثنى بويل عدا طوره * فعاد وبالا على المَحِل ^(٥)
وأشرف أصحابنا من أذاه * على خطر هائل مُعْضِل
فن لا نلد بفناء الجدار * وآو الى نفق مُهْمِل ^(٦)
ومن مستجير ينادى الفريق * هناك ومن صارخ مُعُول
وجادت علينا سماء السقوف * بلمع من الوجد لم يهمل
كأن حراماً لها أن ترى * ببساً من الأرض لم يُبْلَل

(١). الزبي جمع زبية وهى الراية لا يملوها ماء (٢). القيعان : جمع قاع ، والرُبى : جمع ربوة (٣). تكف : تسيل ، وتكف تبتع (٤). هوام : جمع هامية ، وسجّام : جمع ساجة أى بمطرة (٥). المَحِل : المجدب (٦). النفق : السرداب

وأقبل سَيْلٌ له روعةٌ * فأدبر كلٌّ عن المقبل
يُقْلَعُ ماشاء من دوحَةٍ * وما يلق من صخرة يحمل
كَأَنَّ باحِثائِهِ إذ بدا * أَجِنَّةً حُبْلَى ولم تحبل
فمن عامرٍ ردّةٌ غامراً * ومن مَعْلَمٍ عاد كالجهل (١)
كفانا بليتة ربنا * فقد وجب الشكر للفضل
فقل للسماء ارعدي وابرقي * فأنا رجعنا الى المنزل (٢)

أخذ المطوى قوله (فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام) من قول
أبي الفتح البستي

ربّ ليل أغمد الانوار إلّا * نور نَفَرٍ أو مدام أو ندام
قد نعمنا بدياحيه إلى أن * سل سيف الصبح من غمد الظلام
وقال بعض أهل العصر وهو أبو العباس الناشي :

خليلي هل للزمن مقلة عاشقٍ * أم النار في أحشائها وهي لاتدرى
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت * وكاللولؤ المنشور أدمعها تجرى
سحاب حكمت ثكلى أصيبت بواحد * فعاجت له نحو الرياض على قبر
تسر بل وشيا من حُزون تطرزت * مطارفها طرزا من البرق كالنبر
فوشى بلا رقمٍ ورقمٌ بلا يدٍ * ودمع بلا عين وضحك بلا نحرٍ

— وقال آخر :

أوقت لبرق شديد الويض * برلمى غواربه بالشهب
كَأَنَّ تَأَلَّفَهُ في السماء * سَطُورٌ كُتِبَتْ بِمَاءِ الذهب

— وقال ابن المعتز :

كَأَنَّ الرِّبَابَ الجَوْنَ دون سحابه * خلع من الفتیان يسحب مِثْرًا (٣)

(١) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل : معلوم ومجهول ، وكلاهما على وزن مقعد
(٢) هذا البيت غاية في خفة الروح (٣) الرباب : السحاب ، والجون الاسود

إذا لحقته خيفة من رعوده * تلفت واستلّ الحسام المذكراً
وقد قال حسان بن ثابت :

كان اليباب دُونِ السحاب * نعامٌ تعلق بالأرجل^(١)
وقال ابن المعتز :

باكية يضحك فيها برقها * موصولة بالأرض مُرخاة الطنب
رأيت فيها برقها منذ بدا * كمثل طرف العين أو قلب يجب^(٢)
جرت بها ريح الصبا حتى بدا * منهالي البرق كأمثل الشهب^(٣)
تحسبه طوراً إذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شجاعاً يضطرب^(٤)
وتارة تحسبه كأنه * أبلق مال جلّه حين وثب^(٥)
وتارة تحسبه كأنه * سلاسل مفصولة من الذهب
وقال الطائي

ياسهم للبرق الذي استطارا * صار على رغم الهجي نهارا
أض لنا ماء وكان ناراً^(٦)

وينشد أصحاب المعاني

نارٌ تجدد للعنين نضرتها * والنار تلفح عيدانا فتحترق

(١) دوين : تصغير دون (٢) يجب : يضطرب (٣) رواية الديوان :

ثم حدث بها العبا كأنها فيها من البرق كأمثل الشهب
(٤) الشجاع : الثبان - ورواية الديوان :

أنا نرى البرق فيها خلته بطن شجاع في كتيب يضطرب

(٥) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيلة الى الفخذين ، والتحجيل بياض في القوائم ،
والجل ما يوضع على ظهر البعير والجواد (٦) أض : رجع وصار

الشرب في الصحو

وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصحو وينمحه في المطر
 أنا لا أشتهى سماء كبطن اله * ير والشرب تحتها في خراب
 بين سقف قد صار منخل ماء * وجدار ملقى وتل تراب
 ويوت يوقع الكف فيهن * وإيقاعه بغير صواب
 إنما أشتهى الصبح على وجه * سماء مصقولة الجلاب
 ونسيم من الصبا يتمشى * فوق روض ندى جديد الشباب
 وكأن الشمس المضيئة ديد * أر جلت حنائد الضراب
 في غداة وكأسها مثل شمس * طلعت في ملاءة من شراب
 أو عروس قد ضمت بحلوق * فهي صفراء في قيص جاب
 وغناء لا تحذر للعود فيه * بتندى الأوتار والمضراب
 وبرة البساط من ضر الط * ين ومنع الأقدام في كل باب
 ونشاط الفلمان ان عرضت حا * جاتنا في مجيهم والنهاب
 وجفاف الحنان والرجس الغض * بأيدي الخلات والاصحاب
 لا تندی - أنوفهم - كلما حيوا * بصف ندى أنوف الكلاب
 ذلك يوم أراه غنما وحظا * بمن عطاء المهيمن الوهاب
 وقال الصنوبري :

أنيس ظباء يوحش الظبا * وصنع حيا مثل صنع الحيا
 ويوم تكلله الشمس من * صفاء الهوى وصفاء هوا
 بشمس الدنان وشمس القيان * وشمس الحنان وشمس السيان

الوامق الممنوع

وشبيهه بالآيات التي كتبها ثعلب الى أبي العباس بن المعتز لجليل^(١)
قول الآخر

وما وجد ملواح من الهيم خلّيت * عن الورد حتى جوفها يتصلصل^(٢)
تحوم وتعشاها العصي وحوها * أقاطيع أنعام تغلّ وتهلّ
بأكثر منى لوعة وصباة * الى الورد الا أننى أنجمل^(٣)
وقال أبو حية النيرى

كفى حزناً أنى أرى الملاء معرّضاً * لعينى ولكن لاسيدل الى الورد^(٤)
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكف أعز الناس كلهم عندى

وصف رجل حازم

وقال ابن المقفع :

— كان لى أخ أعظم الناس^(٥) فى عيني ، وكان رأسن ما عظمه فى عيني صغر
الدنيا فى عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر اذا

(١) قد مرت هذه الآيات فى ص ٢١٨ (٢) الملواح : الناقة أصابها اللوح وهو
الظلم الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام وهو شدة الظلماء ،
ويتصلصل : يصنوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضى

وما حائمات يلفن من الصدى الى الملاء قد موطن بالرفشان
اذا قيل هذا الملاء لم يملكوا لها معاجلة باقران ولا يمشان
باطما الى الاحباب منى وفيهم غريم اذا رمت الديون لوانى
(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

انى واياك كالصاى رأى نهلا ودونه هوة يخشى بها التلقا
يرى بعينه ماء عز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا
(٥) عبارة اليتيم : (انى مخبرك عن رجل كان أعظم الناس فى عيني)

وجد ، وكان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا يدعو اليه مؤنة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً ، وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة ، وكان خارجاً من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم ، وكان خارجاً من سلطان الجمالة ، فلا يتقدم^(١) أبداً إلا على ثقة بنفسه ، وكان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بز القائلين^(٢) وكان ضعيفاً مستضعفاً ، فإذا جدّ الجدّ^(٣) فهو الليث عادياً^(٤) وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في وراء^(٥) ، ولا يلبى بحجة حتى يرى قاضياً فيها^(٦) وشهوداً عدو ولا . وكان لا يعلم أحداً فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ماعذره ، وكان لا يشكو وجهه إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة ، وكان لا يتبسم^(٧) ، ولا يتسخط . ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يفضل عن الولي ، ولا يخص نفسه بشيء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فليكن بهذه الأخلاق أن اطقتها ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

ابراهيم بن آدم^(٨)

وعلى ذكر قوله (وإن قال بز القائلين) قال ابن كناسة واسمه محمد بن عبد الله ويكنى أبا يحيى في ابراهيم ابن آدم الزاهد .

- (١) عبارة اليتيم (فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة)
- (٢) بذ غلب ، بالقال والزاي ، ومنه : من عزيز (٣) في الاصل (فإذا وجد الجد) وهو تحريف . وعبارة اليتيم (فإذا جاء الجد) (٤) طاعياً منصوب على الحال
- (٥) المراد : الجدل (٦) رواية اليتيم (قاضياً عدلاً) (٧) يتبسم : يتضجر
- (٨) ابراهيم بن آدم شخصية قوية ترى أثرها في كتب الدين والاخلاق . كان يعيش من عرق جبينه ويشارك مع الفزاة في قتال الروم . تنفص عن ميراث أبيه واكتفى بحياة التقشف والحسنة . وكان معروفاً بالفصاحة والحرص على صواب القول ، فكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخامة أن يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١

رَأَيْتِكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَى * وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنَ أَدَمَ
وَكَانَ يَرَى الدُّنْيَا صَغِيرًا عَظِيمًا * وَكَانَ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا مَعْظَمًا
وَأَكْثَرًا تَلْقَاهُ فِي النَّاسِ صَامِتًا * وَابْنُ قَالِ بْنِ الْقَائِلِينَ فَأَنْحَمَا
يُشِيعُ الْغَنَى فِي النَّاسِ إِنْ مَسَّهُ الْغَنَى * وَتَلَقَّى بِهِ الْبُؤْسَاءُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ
أَهَانَ الْهُوَى حَتَّى تَجَنَّبَهُ الْهُوَى * كَمَا اجْتَنَبَ الْجَانِيُ الْاسْمَ الطَّالِبَ الدَّمَ

وصف التقى والزهد

ألفاظ لأهل المعصر في ذكر التقى والزهد

— فلان عذب المشرب، عَفَّ المطلب، نقي الساحة من المآثم، يرى الذمة من
الجرائم. اذا رضى لم يقل غير الصدق، وإذا سخط لم يتجاوز جانب الحق، يرجع
الى نفس أمارة بالخير، بعيدة من الشر، مدلولة على سبيل البر
— أعرض عن زبرج الدنيا وخدعها، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومتمها
— كفَّ كفَّه عن زخرف الدنيا ونصرتها، وغض طرفه عن متاعها وزهرتها
وأعرض عنها وقد تعرضت له بزینتها، وصدَّ عنها وقد تصدَّت له في حليتها
— فلان ليس بمن يقف في ظل الطمع، فيسف إلى حضيض الطمع^(١)، تقى
الصحيفة، علا عن الفضيحة، عَفَّ الإزار، طاهر من الأوزار، قد عاد لاصلاح
المعاد، وإعداد الزاد

ابن المقفع

وكان ابن المقفع من أشراف فارس، ومن حكماء زمانه، وله مصنفات
كثيرة ورسائل مختارة، وكان مُتَحَبِّمًا عن قول الشعر، وقيل له لم لا تقول الشعر

(١) الطمع : بفتح الباء الحسة. وفي الاصل (التصنع) وهو تحريف

فقال : الذي أرضاه لا يجتني والذي يحى لا أرضاه ^(١)

أخذ هذا بعضهم فقال

أبى الشعر إلا أن يفيء رديته * إلى ويأبى منه ما كان مضمكا
فياليتنى إذ لم أجد حوك وشبهه * ولم أك من فرسانه كنت مضمعا ^(٢)
وكان ظريفا في دينه ^(٣) وذكر أنه مر ببית النار قال

يا بيت عاتكة الذي أنزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل ^(٤)
أصبحت أمتحك الصدود والني * فما اليك مع الصدود لا ميل ^(٥)

البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الانصارى أخى
بني عمرو بن عوف

عاصم بن ثابت

وعاصم بن ثابت حمى الدبر ^(٦) قتله بنو الحبيان من هذيل يوم الرجيع فأرادوا
أن يبعثوا برأسه إلى مكة ، وكانت سلافة بنت سعد نذرت لتشرى في رأسه الجحر
وكان قتل بعض ولدها من طلحة بن أبي طلحة أجد بنى عبد الدار يوم أحد ، فلما
أرادوا أخذ رأسه جتمه الدبر وهى النعل فلم يجدوا إليه سبيلا وجعلوا يقولون إن
الدبر لو قد أمنى صرنا إلى جشواسته فلما أمهوا بعث الله أنيا فواراه منهم ^(٧)
وعاتكة التى ذكرها هى عاتكة بنت يزيد بن معاوية

(١) ومع هذا فقد تيسرت له الاجادة ، حتى احتار له مؤلف الحماة الآيات والآية

رزنا أبا عمرو ولا حى مثله فله رب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتا وتبركتنا ذوى حلة ما فى انسداد لما طمع

فقد جرنفما فقدنا لك انسا اما على كل الرزايا من الجزع

(٢) مفعم : مغلوب (٣) يريد انه كان متهما ، لأنه كان قبل السلامه مجوسيا

بعد النار . توفي سنة ١٤٢ (٤) أنزل : أنجب . وفي الأجل (أنزل) وهو تحريف

(٥) انظر ما كتب عن هذا الشعر في كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)

(٦) الدبر ، بالفتح ، جماعة الحبل والزناير (٧) الاق : على وزن غنى هـ البسل

فهم المنصور

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : ابغني رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفني على دورها ، فقد بعد عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتى من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يتندي بأخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان ، وأوفى معنى . فأعجب المنصور به وأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة الى استنجاهه ، فاجتاز بيت عائكة فقال : يا أمير المؤمنين هذا بيت عائكة الذي يقول فيه الاحوص :

— يا بيت عائكة الذي أنزل .

البيت ، ففكر المنصور في قوله وقال : لم يخالف عادته بابتداء الاخبار ، دون الاستخبار ، إلا لأمر . وأقبل يردد القصيدة وينصفها بيتا بيتا حتى انتهى الى قوله فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل^(١) ؟
فقال : يا ربيع ، هل أوصلت الى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال أخرته عنه لعله ، ذكرها الربيع ، فقال : عجله مضاعفا . وهذا الطف تعرض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور

بلية الحسد

ومن كلام ابن المقفع

— الحاسد لا يزال زاريا على نعمة الله ، ولا يجد لها مزالا ، ومكدر أعلى نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعاما ، ولا يزال ساعطا على من لا يرضاه ، ومسحطا لا ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بمظلوم ، محروم الطلبة ، منغص

(١) مذق اللسان : يمزج الجذ بالهزل

العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب . والحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة للسرور ممهلاً فيه الى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص . ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيراً له لأنه كلما أراد أن يطفى نور الله أعلاه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

السنة الحسان

قال الطائي :

لولا التخوف للعواقب لم تزل * للحاسد النعمى على الحسود
واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيب عرف العود
أخذه البخري قال :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة * اذا أنت لم تدلّ عليها بحاسد
ولقد أحسن القائل :

إن يحسدوني فاني غير لأهمهم * قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا^(١)
فدام لي ولم يابى وما بهم * ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذي يحسدوني في صدورهم * لأرتقي صدراً عنها ولا أريد^(٢)

وقال ابن الرومي لصاعد بن مخلد :

وضدّ لكم لا زال يسفل جدّه * ولا يرحت أنفاسه تتصدّ^(٣)
يرى زبرج الدنيا يزف اليكم * ويغضى عن استحقاقكم فهو يغاد^(٤)
ولو قلّس باستحقاقكم ما منحتهم * لأطفأ ناراً في الحشا تنوقد

(١) لأرتقي صدراً ولا أريد : أى لا أصد ولا أهبط فأنا كالشجرى النائم الذى لا سلامة لأعدائ منه . وهذه الايات غاية في جمال البيان (٢) الجد : بالفتح ، الحظ (٣) يغاد : يجرى فؤاده

وَأَتَى مِنْ عِدِّ الْقَبِيلَةِ جِدُّهَا * وَأَحْسَنَ مِنْ سِرْبِهَا الْمُتَجَرِّدُ^(١)
وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَزَادَ اللَّهِ فِي حُسْدِي * لَا عَاشٍ مِنْ عَاشٍ يَوْمَ غَيْرِ مُحْسُودٍ
مَا يَحْسُدُ الْمَرءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ * بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

وصف الحسد

أَفْظاظُ لَوْ هَلَّ الْعَصْرُ فِي ذِكْرِ الْحَسَدِ

— قد دبت عقارب الحسد ، وكنت أفاعيهم بكل مرصد
— فلان معجون من طينة الحسد والنفاسة ، مضروب في قالب الضيق والناقصة .
قد وكل بي لحظاً يفتضل بأسهم الحسد
— فلان جسد كله حسد ، وعقد كله حقد
— الحاسد يعنى عن محاسن الصبح ، وبين تترك حقائق القبح

التلطف في الطلب

كتب محمد بن حماد يُعْرِضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ بَيْتِي شِعْرًا إِلَى الْوَاتِقِ يَقُولُ :
جَذِبْتَ دَوَاعِيَ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمُنَى * وَقَلْتَ لَهَا كُنْ عَنِ الطَّلَبِ الْمَزْرَى
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^{بِكَفِّهِ} * مِدَارَ رَحَى بِالرَّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرَى
فَوْقَ تَحْتَمِهَا (جَذِبَكَ تَسْكُ عَنْ امْتِنَانِهَا بِالسَّأَلِ دَعَا إِلَى صَوْنِكَ بَسْعَةً فَضْلِي .
عَلَيْكَ فَخْذٌ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا)
قال علي بن عبيدة أُنِيتَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ فَمِ الصَّلَحُ فَأَقْتِ يَابَهُ ثَلَاثَةَ
أَشْهُرٍ لَا أَحْظَى مِنْهُ بِطَائِلٍ فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

(١) يقول : ان جيد القبيلة أجل من المقد الذي يظن انه يزنيه ، والمتجرد ، أى .
الجسم العريان ، أجل من السربال وهو القميص

مدحت ابن سهل ذا الأيادي وماله * بذاك يدٌ عندي ولا قدمٌ بعدُ
وما ذنبه والناس إلا أقلهم * عيال له إن كان لم يك لي جدٌ
سأحمده للناس حتى إذا بدا * له في رأي عاد لي ذلك الحمد
فكتب إلي : باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلال : عقل وصبر ومال ،
فقلت للواسطة تؤدي عنى ؟ قال مع ، قلت تقول له : لو كان لي مال لأغنائى عن
الطلب اليك ، أو صبر لصبرت عن النل بياك ، أو عقل لاستدلت به على الزاهة
عن رفدك ! فأمر لي بثلاثين ألف درهم

نجوى محب

وقال على بن عبيدة الرضائي يوما وقد رأى جارية يهواها :
لولا البقيا على الضائر ، لبحننا بما تجنه السرائر ، لكن نيران الحب تُتدارك
بالإخفاء ، ولا تُعاجل بالاباء ، فإن دوامها مع اغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في
فتح مصارع الاعلان .

وقد قال محمد بن يزيد الأرموي :

لا وحيك لا أصا * فح بالجمع مدمعا

من يكي حبه استرا * ح وان كان موجعا

ومن كلام على بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، ومن الاسترسال
جنك ، حتى تجد له مستقفا ، فإن الأنس لباس العرض ، وثيقة الثقة ، ورجاء
الأكفاء ، وشعار الخاصة ، فلا تُخلق جدته إلا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك *
وقال : لولا بحركات من الابتهاج أجد حُسبها عند رؤيتك في نفسي لا أعرف
لها مثيلاً من مظانها إلا مؤانستك لي ، لأقيت عليك من العناء ، وخففت عنك
مؤنة اللقاء ، لكى أجد من الزيادة بك عندي أكثر من قدر راحتك في تأخرك
عنى ، فأضيق عن احتمال الحسran بالوحدة منك

وقال : لوسطى من طلوع اللالة بكرّ اللقاء أستخف التجافى مع شدة الشوق
لتبقى جدة الحال عند من أجب دوامه لى . ورد طرف الشوق باطنا أيسر من معاناة
الجفاء مع الود ظاهراً
وقال بعض المحدثين :

كم استراح إلى صبر فلم يرح * صبّ اليكم من الاشواق فى يُرح
تركتم قلبه من حزن فرقكم * لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح
وقال أعرابى :

ألا قل لدار بين أكتبة الحمى * وذات القضى جادت عليك المواضب^(١)
أجذك لا آتيك الا تتابعت * دموع أضاعت ما حفظت سواك
ديار تسمتُ المنى نحو أرضها * وطاوعنى فيها الهوى والحبايبُ
ليالى لا الهجران محتكم بها * على وصل من أهوى ولا الظن كاذب

بين ابراهيم بن المهدي

واحمد بن أبى دواد

تنازع ابراهيم بن المهدي وابن بنخيشوع الطيب بين يدي أجد بن أبى دواد
فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فأربى عليه ابراهيم وأغلظ له فأحفظ ذلك
ابن أبى دواد فقال : يا ابراهيم اذا نازعت فى مجلس الحكم بحضرتنا امراً فلا أعلن
انك رفعت عليه صوتاً ، ولا أشرب بيد ، وليكن قصدك أمماً^(٢) وريحك ساكنة
وكلامك معتدلاً ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التعميم والتوقيع ، والاستكانة
والتوجه الى الواجب ، فان ذلك أشكل بك ، واشمل لذهبك فى محتكك ، وعظيم
خطرك ، ولا تجعل قرب عجلة تهب ريثاً ، والله يعصمك من خطئ القول والعمل ،
ويعم نعمته عليك كما أتمها على أبوك من قبل ، ان ربك حكيم غليم

(١) المواضب : السحب المواطر (٢) أمم : قريب

فقال ابراهيم : أصلحك الله تعالى أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ،
ولست عائداً لما يثلم مروتي عندك ، ويسقطني من عينك ، ويخرجني من مقدار
الواجب الى الاعتذار ، فما أنا معتذر اليك من هذه البادرة ، اعتذار مقرب ذنبه ،
معترف بجرمه ، ولا يزال الغضب يستغزني بمواده ، فيردني مثلك بجله ، وتلك عادة الله
عندك وعندنا منك ، وقد جعلت حق من هذا العقار لابن بختيشوع ، فليت ذلك يكون
وافياً بأرش الجناية عليه ^(١) ولم يتلف مال أفاد موعظة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ^(٢)

أردشير بن بابك

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف وتم له ملكه ، جمع
الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ،
وصف الناس أربعة صفوف فحزوا له سُبُحاً وتكلم متكلمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبوباً من الله تعالى بمرالنصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ،
وتأم النعمة ، ولا زلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الانعامات ، حتى تبلغ
الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل الى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من
أهل الزلني عنده ، والمساكنة منه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس
والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأشجار ، حتى تستوى أقطار الارض كلها في علو
قدرك عليها ، وتقاذ أرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ماعننا عموم ضياء
الصبح ، ووصل اليها من عظيم رأفتك ما اتصل باقنسنا اتصال النسيم ، فأصبحت
قد جمع الله بك الايدي بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد تفرق نيرانها ، ففضلك
لا يدرك بوصف ، ولا يحمد بنعت

(١) الأثرية البداية (٢) هذا الحديث يمثل جانباً من الخطب الذي ظفربه أحمد بن
أبي دواد في عصره - وقد سجد هذا الرجل المأمون والمتعصب والواق وعمل معهم
جميعاً . توفي سنة ٢٤٠

فقال أردشير : طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعي اذا كان
للاجابة أهلا

وقيل لاردشير : أيها الملك الرفيع الذى حلب العصور ، وجرب الدهور ، أى
الكنوز أعظم قدراً ؟ قال العلم الذى خف محمله ، فتقلت مفارقتة ، وكثرت مراقبته ،
وخفى مكانه ، فأمن من السرقة عليه ، فهو فى الملاء جمال ، وفى الوحدة أنيس ،
يرأس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك * قيل له فالألم ؟ قال :
ليس كذلك : محمله ثقيل ، وألم به طويل ، ان كنت فى ملاء شغلك الفكر فيه ،
وان كنت فى خلوة أتعبتك حراسته

أخلاق الملوك

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال :

كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يحمل اختلافهم الى ، فتكون المؤامرات
فيأمرهم من ديواني ، فكنت أسأل رجالا رجلا منهم عن سير ملوكهم ، وأخبار عظمائهم
فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عرْفه ، وجرّد سيفه ،
فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا يُنظر جنده ، ولا يُخرج رعيته ، سهل
النوال ، حزن النكال ، الرجاء والخوف معقودان فى يده

قلت فكيف حكمه ؟ فقال : يرد المظالم ، ويردع الظالم ، ويعطى كل ذى
حق حقه ، فالرعية اثنان : راض ومغتبط

قالت : فكيف هيبتهم له ؟ قال يُتصور فى القلوب ، فتُفضى له العيون
قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغاني إليه ، واقبالى عليه ، فسأل الترجمان
ما الذى يقوله الرومى ، قال يذكركم ملكهم ، ويصف سيرته ، فتكلم مع الترجمان بشئ
فقال لى الترجمان :

إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة

عند الغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوفهم عسف ثقتهم ، فهم يترآونه رأى الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا . وسعهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتننه مَرَحَة ، ولا تؤمننه غفلة . إذا أعطى أوسع . وإذا عاقب أوجع . فالناس اثنان : راج وخائف . فلا الراجي خائب الا أمل . ولا الخائف بعيد الأجل .

قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال لا ترفع اليه العيون أجفاتها ، ولا تُتبعه الابصار انسانها . كأن رعيته قطعاً رفرت عليها صقور صوائد .

حدث المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك . قلت ألفا درهم ، قال يا فضل ان قيمتهما عندي أكثر من الخلافة . أما عرفت قول علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه (قيمة كل امرئ ما يحسن) أفتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت لا ، قال : فقد أمرت لها بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة ، فلو لا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما ما في بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه

أخت ملك الخزر

وقال الجاحظ حدثني حميد بن عطاء قال : كنت عند الفضل بن سهل . وعنده رسول ملك الخزر ، وهو يحدثنا عن أخت الملكهم ، قال : أصابتنا سنة احتلم شوأظها علينا بحر المصائب ، وصنوف الآفات ، ففرغ الناس إلى الملك ، فلم يدر ما يجيبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك إن خوف الله خلق لا يخلق جديده ، وسبب لا يمتن عزيزه ، وهو ذال الملك على استصلاح رعيته ، وزاجره عن استفسادها ، وقد فرغت اليك رعيتك بفضل العجز عن الالتجاء إلى من لا تزيده الاساءة إلى خلقه عزا ، ولا ينقصه العود بالاحسان إليها

ملكاً ، وما أحد أحق بحفظ الوصية من الموصى ، ولا يركوب الدلالة من المال ، ولا يحسن الرعاية من الراعى . ولم تزل فى نعمة لم تغيرها قمة ، وفى رضى لم يكرهه سخط ، إلى أن جرى القدر ، بما عمى عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ، فعد إليه بشكر النعم ، وعُذبه من فطيع النقم ، ففى تنسه ينسك ، ولا تجملن الحياء من التذلل للعز المنزل سترا بينك وبين رعيتك ، فتستحق مذموم العاقبة ، ولكن مُرهم ونفسك بصرف القلوب ، الى الاقرار له بكنه القدرة ، وبتذلل الألسن فى الدعاء بحض الشكر له ، فان المالك ربما عاقب عبده ليرجيه عن سيىء فعل الى صالح عمل ، أو ليبعثه على دائب شكر ليحرز به فضل أجر . فأمرها الملك أن تقوم فيهم فتتذرم بهذا الكلام ففعلت ، فرجع القوم وقد علم الله منهم قبول الوعظ فى الأمر والنهى ، فحال عليهم الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها ، وتواترت عليها الزيادات بجميل الصنع ، فاعترف لها الملك بالفضل فقلدها الملك . فاجتمعت الرعية لها على الطاعة فى المكروه والمحبوب ، قال : وهذا وهُم أعداء الله تعالى وضرائر نعمته ، ومستوجبو نعمته ، أعاد لهم بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالاقرار له بكنه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن يجمعه على الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت على الافتقار إليه الطلبات ، لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا . فاقلب جدم هزلا ، وسكونهم خبلا

أقوال الملوك والحكماء

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد فهمهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرازبته فقال :
يحط عن مرتبته ، ولا ينقص من صلته ، فان الملوك تؤدب بالمجران ، ولا تعاقب بالحرمان

- واصطنع أنوشروان رجلاً قليل له : انه لا قديم له ، قال : اصطنعنا اياه شرفه .
- قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان : من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع .
- وكان يقول : انى لآف من أن يكون فى الأرض جَهلٌ لا يسعه حِلْى ، وذنب لا يسعه عَفْوى ، وحاجة لا يسعها جودى .
- وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة .
- زياد : استشفعوا لى وراءكم . فليس كل أحد يصل الى السلطان ، ولا كل من وصل اليه يقدر على كلامه .
- المهلب : عجبت لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار بمعرفته .
- (وقد روى هذا لابن المبارك) وقال لبنيه : يا بنى أحسن ثيابكم ما كان على غيركم .
- قال أبو تمام الطائي يستهدى فرواً وعرض بقول المهلب
- فهل أنت مهديه بمثل شكيرة * من الشكريعلو مضعداً ويصوب^(١)
- فأنت العليم الطَّبُّ أى وصية * بها كان أوصى فى الثياب المهلب^(٢)
- يزيد بن المهلب : استكثروا من الحمد فان النسم قل من ينجم منه
- السفاح : ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها .
- المأمون : إنما تطلب الدنيا لتُملَك ، فإذا مُلِكت فلتوهب .
- وقال : إنما يتكثر بالذهب والفضة من يعلان عنده
- الحسن بن سهل : الأطراف منازل الاشراف ، يتناولون ما يريدون بالقدرة ، ويتناهبون ما يريدون بالحاجة .

(١) شكيرة : شعرة ، يريد ان هديتك لانسوى شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب يرتفع وينخفض (٢) الطلَب بالفتح الماهر الحازق بماله ، وهو أيضا الفحل الحاذق بالضراب

وتعرض له رجل فقال له من أنت ؟ قال أنا الذي أحضت إلى يوم كذا وكذا ، فقال مرحباً بمن توسل إلينا بنا

ولما أراد المعتصم أن يشرف أشتاس التركي بعقب فتح الخزمية أمر أصحاب المراتب بالترجل إليه ، فنظر الحسن بن سهل إلى حاجبه يمشى ويتعثر في مشيه فبكى ، فقال ما يبكيك ؟ إن الملوك شرفتنا وشرفت بنا
ومن كلام أهل العصر :

— للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير : من أقعدته نكايه الأيام ، أقامتة إغاثة الكرام ، ومن ألبسه الليل ثوب ظلماته ، نزعته النهار عنه بضياته
— وله : ابتناء المناقب ، باحتمال المتاعب ، وإحراز الذكر الجليل ، بالسعى في الخطب الجليل

— صاحب بن عباد :

وقائلة لِمَ عرتك الهموم * وأمرتك ممثلاً في الأُمم
فقلت ذريني لما أشتكى * فان الهموم بقدر الهم
أبو الطيب التنبى :

أفاض الناس أغراض لنا الزمن * يخلو من الهم أخلام من القطن
— أبو الفتح البستي :

صاحب السلطان لا بد له * من هُومٍ تعتريه وغُمٍ
والذى يركب بجزاً سيرى * قُحْمَ الأهوال من صدقهم^(١)

— أردشير : إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة
— افريدون : الأيام محائف آجالكم ، فخلدوها أحسن أعمالكم
— وقيل للاسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لانيك ؟

(١) قحمة : جمع قحمة وهي الشدة

قال : لأن أبي سبب حياتي القانية ، ومؤدبي سبب حياتي الباقية
— ودخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه
قليل له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أول من فتق لساني بذكر الله ،
وأدنانى من رحمة الله

— وأشير على الاسكندر بتثبيت الفرس^(١) فقال : لا أجعل غلبتي سرقة
— وقيل له : لو تزوجت بنت دارا فقال لا تغلبني امرأة غلبت أباه
— أنو شروان : الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته ، كان كمن يعمر سطح بيته
بما يقتله من قواعد بنيانه

— أبرويز : أطع من حوكتك
— السفاح : إن من أدنى الناس ووضاعتهم من عدو البخل حزمًا ، والعمو ذلاً
— وكان يقول : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة ، والصبر حسن إلا على
ما أوقع بالدين ، وأوهى السلطان ، والأناة محودة إلا عند إمكان الفرصة .
وقد قال ابن المعتز :

كم فرصة ذهبت فعادت غصة * تُشجى بطول تلهف وتندم^(٢)

الرأى والعزيمة

— ولما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى فكتب إليه :
إذا كنت ذارأى فكن ذا تدبير * فإن فساد الرأى أنت تتعجلا
فأجاب المنصور :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فات فساد الرأى أن ترددا

(١) التثبيت : الهجوم بغتة بالليل (٢) النصة : ما عترض في الحلق ، وتشجى :
تحدث الشجاء وهو النصة . وغصصت ، بالكسر والفتح ، تقصص ، بالفتح ، غصصا ، فأنته
غاص وغصان .

ولا تمهل الأعداء يوماً بقُدوة * وبأدرهم أن يهلكوا مثلها غدا
— وهذا في موضعه كقول الأمام على كرم الله وجهه (من فكر في العواقب
لم يشجع)

همة سعد بن ناشب

وقال سعد بن ناشب فأفرط ^(١)
عليكم بدارى فاهدموها فانها ^(٢) * تراث كريم لا يخاف العواقب ^(٣)
إذا هم ألقى بين عينيه عزمة * ونكّب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً
سأغسل غنى العار بالسيف جالباً * على قضاء الله ما كان جالباً
ويصغر في عيني تلادى إذا اثنت * يميني بأدراك الذي كنت طالباً
وكان سعد من مرّة العرب ، وشياطين الانس ، وفيه يقول الشاعر :
وكيف يُفبق البهر سعد بن ناشب * وشيطانه عند الأهلة يصرع

كلام الملوك

— كتب مروان بن محمد إلى عبد الله بن علي يسأله حفظ حرمة فقال له : الحق
لنا في دمك ، وعلينا في حرمك

(١) وأول هذه القطعة :

سأغسل غنى العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جالباً
وأذهل عن دارى واجل هدمها لرضى من باقى المذمة حلياً
(٢) رواية الخامسة : (فان تهيموا بالنذر دارى)
(٣) وبهذا البيت روى صاحب الحماة :

أخى غمرات لا يريد على الذى يهم به من مفضح الامر صاحباً
إنما هم لم تردع عزيمة هم ولم يأت ما يأتى من الامر هائباً
فيا الرزام رشخوا بي مقدما إلى الموت خواضاً إليه الكنايب

— وقال الرشيد لاسماعيل بن صبيح : اياك والدالة^(١) فانها تفسد الحرمة ، ومنها
أتى البرامكة

— وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثا : إفساء السر ، والتقدح في الملك
والتعرض للحرَم

— المعتصم : اذا نُصر الهوى بطل الرأي

— المنتصر : لئلا العفو أطيب من لئلا التشفي . وذلك أن لئلا العفو يلحقها حمد
العاقبة ، ولئلا التشفي يلحقها ذم الندم

— والمنتصر يقول عن تجربة لأنه قتل أباه المتوكل . والأمر في ذلك أشهر من
أن يذكر ولكني أَلْعُ منه باليسير

مقتل المتوكل

كان المتوكل قد عقد لولاه المنتصر والمميز والمؤيد ولاية العهد ، ثم تغير على
المنتصر دون أخويه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له أنت تمنى موتى ، وتنتظر
وقتي ! ويأمر الندماء أن يعيشوا به الى أن أوغر صدره ، وأقل صبره ، فلما كانت
ليلة الاربعاء ثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل
يشرب مع الفتح في قصره المعروف بالجعفرى ومعه جماعة من الندماء والغنيين ،
وكان المنتصر معهم ، فلما انصرف ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركي : ألا
تسعى ساعة حتى أشكو اليك ما يمر بي ؟ قال بلى ! وجعل يماطله ويمطاوله ، وغلق
بُها الشرابي الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه ، فأول من ضربه
باغر التركي ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه ، فقتلا
جميعا ، ويومع المنتصر من ساعته ، وكانت مدة المنتصر في الخلافة مدة شرويه
ابن كسرى ، حين قتل أباه ، ستة أشهر

(١) الدالة : ما تدل به على صديقك من خير قدمته . وفي الاصل (الدالة) وهو تحريف

وقال ابراهيم بن أحمد الأسدي يرثي المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ناي وميزهر ومُدام

بين كأسين أروته جميعاً * كأس لذاته وكأس الحام

يقطُ في السرور حتى أناه * قدّر الله حنّفه في المنام

والمنايا مراتب يتفاضلن وبالرهفات موت الكرام

لم يزر نفسه رسولُ المنايا * بصنوف الاوجاع والاسقام

هابه مُعلناً قَدَبَ اليه * في ستور السجى بحد الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن ابراهيم التيمي فقال يرثي عيسى بن خلف

صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواء فمات بسببه

مناياسدّدت الطرُق عنها ولم تدع * لها من ثنايا شاهق مُتطلّعا

فلما رأت سُور المهابة دونها * عليك ولما لم تجد فيك مطمئنا

ترقت بأسباب لطافٍ ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أزوّنا

فجاءت في سر البواء خفيّة * على حين لم تحذر لداء توقعا

فلم أر مالا يُتقى مثل سَهْمها * ولا مثلاً لم تخش كيداً فترجما

وفاء البحثري

وقد رثاه البحثري ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجود ما قيل في معنهما ، وكانا

حاضرين ليلة قتلِه فاخفى أحدهما في طيّ الباب ، والآخر في قناة الشاذروان ،

فمن قصيدة البحثري

تغيّر حُسن الجعفري وأنثى * وقوَّض بادى الجعفري وحاضرهُ

تحمل عنه ساكنوه فُجاءة * فأضت سواء دورهُ ومقابرهُ ^(١)

ولم أر مثل القصر إذ ريع سِرْبهُ * وإذ دُعرت أطلالهُ وجرْدُهُ ^(٢)

(١) آضت : صارت (٢) الاطلاء : جف طلاء وهو ولد الغلبة ، والجاذر جمع جؤذر

وإذ صبح فيه بالرحيل فهتكت * على عجلٍ أستارُهُ وستارُهُ
 إذا نحن زرناه أجدُّ لنا الأسي * وقد كان قبل اليوم يهيجُ زائرهُ
 فأين عبيد الناس في كل نوبة * تنوب وناهي الدهر فيهم وأمرُهُ (١)
 تخفى له مُقتالُهُ تحت غِرفة * وأولى لمن يقتاله لو يجاهرهُ
 صريعٌ تقاضاه السيوف حُشاشَةً * يمحود بها واللوت حمرٌ أظافره
 حرام على الراح بعدك أو أرى * دماً يلم يحرق على الأرض مائرهُ
 وهل يُرتجى أن يطلب السم طالبٌ * مدى الدهر والموتور بالسم وآثرهُ (٢)
 فلا ملىً الباقي تراث الذي مضى * ولا حملت ذاك الدعاء منابرهُ

وهي طويلة (٣) وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها : ما قيلت هاشمية أحسن
 منها ، وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب ، عن تخوف العواقب ، وقد كان
 البحرى يرتاح في كثير من شعره الى ذكره وذكر الفتح بن خاقان ، فن ذلك
 قوله لبعض من يمدحه :

تداركني الاحسان منك ونالني * على فاقة ذاك الندى والتطوُّلُ
 ودافعت عنى حين لا الفتح يُرتجى * لنفع الأذى عنى ولا المتوكلُ
 وقال :

مضى جفراً والفتح بين مؤسلي * وبين قتيل في السماء مضرَج
 أطلب أنصاراً على الدهر بعد ما * ثوى منهما في التراب أوسى وخزرَجى (٤)

وهو ولد البقرة (١) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصب حيث تمت بيتها أبوابه ومقاصره

وأين عبيد الناس الخ (٢) الموتور هو الوائر لأن الذي قتل المتوكل هو ابنه .

(٣) ومن حينها قوله :

أدافع عنه باليدين ولم يكن ليثنى إلا على أعزل الليل حاسره

ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي درى الفاتك العجلان كيف أساوره

أكان ولي العهد أضمر غدره فن عجب أن ولي العهد غادره

(٤) مات أوسه وخزرجه : مثل في فقد التصير لأن الاوس والخزرج يضرب بهما

وقال في غلام له :

عسى آيس من رجعة البصل يوصل * ودهر تولى بالأحبة يقبل
أيا سكتنا فات القراق بنفسه * وحال التعادى دونه والتزيل
أتعجب لما لم يقل جسى الضنا * ولم يحترم قسى الحمام المعجل
فقبلك بان الفتح منى مودعا * وفارقى شفعاً له المتوكل
فما بلغ الدمع الذى كنت أرتجي * ولا فل الوجد الذى خلت فعل
وما كل نيران الجوى تحرق الحشا * وما كل أدواء الصبابة تقتل

رثاء المتوكل

وقال أبو خالد بن محمد المهلبى في قصيدة أولها :

لا ووجد إلا أراه دون ما أجد * ولا كن فقدت عينى مفتقد
يقول فيها

لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هو من عشاء الزينة الأسد^(١)
جاءت منيته والعين هادية * هلاً أته المنايا والقنا قصد^(٢)
نحضر فوق سرير الملك منجداً * لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد
لا يرفع الناس صبحاً بعد ليلهم * إذ لا يهرى إلى الجاني عليك يد
علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك إلا الواحد الصمد
إذا بكيت فان الدمع منهمل * وإن رثيت فان الشعر مطرد
أنا قد ناك حتى لا اصطبار لنا * ومات قبلك أقوام فما فقدوا
قد كنت أسرف فى مالى فتخلفه * فعلمنى اليبالى كيف أقصد

وقال فيها يذكر الأتراك ويحضر على اصطناع العرب

لما اعتقدتم أناساً لا يحفظ لهم * ضعم وضعم من كان يمتقد

المثل فى النصرة (١) العشاء جمع عاضة وهى الحية تقتل لساعتها ، والزينة تلة
للأسد (٢) قصد : جمع قصد على وزن كف أى متكسر

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حمتكم الفادة المنسوبة الحشد^(١)
قومهم الأصل والاسماء تجمعكم * والدين والمجد والأرحام والبلد
إن العبيد اذا أذلّتهم صلّحوا * على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا

أبو حية النيرى^(٢)

وقال أبو حية النيرى

رمته فتاة^(٣) من ربيعة عامر * نوّوم الضحى في مأتم أى مأتم
قتل لها فى السرّ شديك لا يرح * صحيحاً والآ تفتليه فألمى
فألتقينا عاكودنا الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومغصم
وقالت فلما أفرغت فى فؤاده * وعينيه منها السحر قالت له نمر
فأصبح لا يدري أفى طلعة الضحى * تروّح أم حاجر من الليل مظلم^(٤)

(١) الفادة جمع ذائد وهو المدافع، والحشد بضمين جمع حشد، على وزن كتف، وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والتصرة والمال (٢) هو الهيم بن ربيع المتوفى نحو سنة ١٦٠ (٣) رواية الجلمية (رمته أنلة) والآنلة : المرثة فيها فتور عند القيام والمأتم : كل مجتمع فى حزن أو فرح، أو هو خاص بالنساء، أو بالصواب من النساء ونوؤوم : كثيرة النوم، ونوؤوم الضحى كناية عن المرأة المتبرقة. وبعد هذا البيت كما فى الجلمية :

بجاء كخوط الباث لا متابع * ولكن بسياذى وقار وميسم
والخوط : البصير الرطيب . والميسم بالكسر ، أثر الحسن ، ومثله الوسلعة
(٤) مؤدى البتين الأخيرين أنه نام فى حى تلك الفتاة ، ولكن رواية الجلمية تؤدى معنى يخالف هذا إذ تذكر أنه رحل مزوداً بالحسرة ، وذلك قوله :

وقالت فلما أفرغت فى فؤاده * وعينيه منها السحر قلن له قم
فود يجدها ألتف لو أن محبة * تسادوا وقالوا فى المتاح له نمر
فراح وما يدري أفى سانة الضحى * تروح أم حاجر من الليل مظلم
والظاهر أن صاحب زهر الآداب كان يستعمل ذاكرته فتخونه فى بعض الأحيان

أخذ قوله « فألقت قناعاً دونه الشمس » من قول النابغة الذبياني
قامت ترأى بين سَجْفَى كَلَّةٍ * كالشمس يوم طلوعها بالأُسْعَدِ (١)
سقط النصف ولم ترد إسقاطهُ * فتناولته واقتنا باليد
وقال أبو حية يرثى سلمة بن عياش

كَأَنَّ أَبَاحْفَصَ فَتَى الْبَاسِ لَمْ يُجِبْ * بِهِ اللَّيْلُ وَالْبَيْضُ الْقِلَاصَ النَّجَابِ
إِلَى الْغَايَةِ الْقَصْوَى وَلَمْ يَهْدِ فَتِيَةً * كَرَامًا وَتَخْطُوهُ الْخَطُوبُ النَّوَابِ
وَيُعْمِلُ عِتَاقَ الْعَيْسِ حَتَّى كَانَهَا * إِذَا وُضِعَتْ عَنْهَا الْعَلَايَا الْمَشَاجِبِ (٢)
بَعِيدَ مَثْنَى الْهَمِّ يُمَسَّى وَمَالُهُ * سِوَى اللَّهِ وَالْعُضْبِ الشَّرِيجِيِّ صَاحِبِ (٣)
يُرُومُ جَسِيَّاتِ الْعُلَى فَيَنَالُهَا * فَتَى فِي جَسِيَّاتِ الْمَكَارِمِ رَاغِبُ
فَإِنْ يُسْ وَحْشًا بَابَهُ فَلَرَبَّمَا * تَوَاتَرُ أَفْوَاجًا إِلَيْهِ الْمَوَاكِبِ (٤)
يَحْيُونَ بِسَامًا كَانَ جَبِينُهُ * هَلَالٌ بَدَا وَانْجَابَ عَنْهُ السَّحَابِ
وَمَا غَائِبٌ مِنْ غَابٍ يَرْجَى إِيَابَهُ * وَلَكِنَّهُ مِنْ ضَمْنِ الْعَدَدِ غَائِبِ
وَزَعَمَ الصَّوْلَى أَنَّ أَبَاحِيَةَ إِذَا قَالَهَا فِي مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ

ابن العباس

وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر ، وسئل
الاصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال لم يكن مجنوناً ، وإنما كانت به لُؤْمَةٌ
كأُوْتُهُ أَبِي حِيَةَ (٥) وهو القائل

رَمَتْنِي وَسِتْرَ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * عَشِيَّةُ أَحْجَارِ الْكَتْمِاسِ رَمِيمُ

(١) الكَلَّةُ : الناموسية

(٢) العيس : الجمال — العلايا : الامتعة ، مفردها عليان ، بالكسر — المشاجب :

أعواد من خشب تعلق عليها الثياب ، مفردها مشجب (٣) السريجي نسبة إلى سرج

وهو قين كان مضرب التل في صنع السيوف (٤) وحش موحش لا أنيس به

(٥) اللؤنة بالضم من الجنون

رميم التي قالت لجارات بيتها * ضمنت لكم أن لا يزال يهيم
 الأرب يوم لو رمتي رميتها * ولكن عهدي بالنضال قديم
 فيا عجباً من قاتل لي أودّه * أشاطد مني شخص على كريم^(١)
 يرى الناس أئني قد سلوت وإني * لمدفأ أحناء الضلوع سقيم^(٢)

جناية المشيب

وأشدني اسحق ابن ابراهيم الموصلي في مثله ولم يسم قائله
 هل الأدم كالأرام والزهر كالدمي^(٣) * مفاودني أيامهن الصوالح
 زمان سلاحي بينهن شيبتي * لها سائق من حسنهن ورامح
 فأقسم لا يسقيني قطر مزنة * لشبي ولوسالت بهن الأباطح^(٤)
 وقال هارون بن علي بن يحيى النجم^(٥)

الغانيات عهودهن * إلى انصرام واقضاب
 من شاب شبن له المودة * بالخديع والكداب^(٦)
 فانعم بهن وزند سنك في الشيبة غير خالي^(٧)
 مادمت في ورق الصبا * وغصونه الخضر الرطاب
 فافخر بأيام الصبا * واخلع عذارك في التصابي
 واعط الشباب نصيبه * مادمت تملر بالشباب
 وقال أشجع بن عمرو السلمي

(١) أشاطد - احرق (٢) المدفأ : هو المريض تقل عليه المرض — والاحناء جمع
 حنو ، بالكسر والفتح ، وهو كل ما فيه اعوجاج من عظم البدن (٣) الأدم جمع
 اسماء وهي السمراء ، والزهر جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (النمر) وهو
 تحريف (٤) انظر بكاء الشباب في كتاب « مدامع العشاق » لترى كيف اقن
 الشعراء في التوح على فئات الصبا وعهود الشباب (٥) . هو منجم اشتهر بعلم الهيئة
 وعمل آلاتها . توفي في بغداد سنة ٣٧٦ (٦) شبن : مزجن (٧) غير خاب : غير
 منطلي . ويقال : خاب له إذا سكن فور غضبه

ومالاً لا أعطى الشباب نصيبه ☆ وغضناه يهزان في عوده الرطب
رأيت الليالى ينتهن شيبتي ☆ فأسرعت بالذات في ذلك النهب
فان بنات الدهر يجلسن لنتي ☆ فقد جُزْنَ سلمى وانهن الى حربى
وقد حوكت حالى الليالى وأسرجت ☆ على الرأس أمثال الفتيل من العطب
وموت القتي خير له من حياته ☆ اذا كان ذا حالين يصبو ولا يصبي
وقال آخر :

ما العيش إلا أن تحب ☆ وان يحبك من تحبه

وصف الشباب

فقر تصل بهذه الايات في وصف الشباب

- أطلع الشباب وغرته ، وأجاب الصبا وشرته
- جر إزار الصبا ، وأزال ذيول الهوى ^(١) ودكض في ميدان التصابي ، وجنى ثمرات الملامى
- هو في اقتبال شبابه ، وحداثة أترابه ، وريمان عمره ، وعنفوان أمره
- هو في إبان شبابه واعتداله ، وريمان إقباله واقتباله
- بعثه على ذلك أشر الصبا ، ولين الفصن ، وشرخ الشبيبة ، وسكر الحدأة
- قبي السن ، وطيب الفصن ، عمره في إقباله ، ونشاطه في استقباله ، وشبابه في إقباله ، وماؤه بحاله
- فلان في حكم الاطفال الذين لم يعضوا على نواجذ الرجال
- هو في عنفوان شبيبة تُخاف سقطاتها وهفواتها ، ولا تؤمن جيعاًتها ونزواتها
- هو في سُكْرِ الشباب والشراب ، وبين نزوات الشبان ، ونزغات الشيطان
- شبابه أعمى عن الرشد ، أصم عن العذل
- قد لبى داعى هواه ، وانغمس في لجة صباه

- قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث
— يجرى الى الصبا جرئ الصبا
— فلان غفل من سمة التجربة ، جامع في عذار الغفلة ، صعب الرأس على لجام العفلة
— هو من سلطان الصبا في النوبة الاولى ، قد خلع عذاره ومقوده ، وألقى الى البطالة باعه ويده
— هو بين سحر الفداة وسكر العشى ^(١) لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللهو
— فلان لا يفيق ، ولا يذكر التوفيق
— هو بين غرر الشباب ، وغرر الاحباب .

نجابة الشباب

- ويتعلق بهذه اللفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترسمهم للمعالي .
— قد جمع نضارة الشباب الى أهبة المشيب ، وهو على حدوث ميلاده ، وقرب إسناده شيخ قدر وهيبة ، وان لم يكن شيخ سن وشيبة
— هو بين شباب مقبل ، وعقل مكتمل ، قد لبس يرد شبابه على عقل كهل ورأى جزل ، ومنطق فصل ، لدهر فيه مقاصد ، وللأيام فيه مواعد
— أرى له في فصل ضمان الايام ، وودائع الحظوظ والاقسام ، تباشير نجيح ، ومخايل نصر وفتح
— قد استكمل قوة الفضل ولم يتكامل له سن الكهل
— ما زالت مخايله وليدا وناشئا ، وشبائله صغيرا وياضا ، نواطق بالحسن عنه ، وضوا من التبحر فيه
— قد سما الى مراتب أعيان الرجال ، التي لا تدرك مع الكمال والاكتمال
— حمّدت عزائم ، قبل أن حلت ناعمه ، وشهدت مكرماته قبل أن تدرج ليلاته ^(٥)

(١) الخمار بالنغم ما يعتري الشارب من الالم عند فقد الشرب
(١) اللدات : جمع لدة وهو الترب بالكسر ، أى المائل في السن وفي الاصل
(الذات) بالذال المعجمة وهو محريف

— وقال البحرى :

لا تنتظرن إلى العباس من صغري * فى السن وانظر إلى المجد الذى شادا
إن النجوم نجوم الأفق أصغرها * فى العين أذهبها فى الجو إصعادا
— وقال آخر :

رأيت العقل لم يكن انتهاياً * ولم يقسم على قدر السنين
فلو أن السنين تقسمت * حوى الآباء أنصبه البنينا
— وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

فان خلقت السن فالعقل بالغ * به رتبة الكهل المؤهل للمجد
فقد كان يحى أوتي الحكم قبله * صبيها وعيسى كلم الناس فى المهد

بين ابن مناذر وأبي حية النيزى

وكان أبو حية كثير الرواية. عن الفرزدق ، وعمر ، حتى التقى باين مناذر
فاستنشه شعره ، فأنشده أبو حية :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا * لئس البلى مما لبس اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يومه وليلة * تقاضاه شىء لا يمل التقاضيا
حفتك الليالى بعدما كنت مرة * سوى العضا لو كن يقيين باقيا

فقال ابن مناذر : أو شعره هذا ؟ فقال أبو حية : ما فى شعرى عيب غير أنك
تسمعه^(٥) وفى هذه القصيدة يقول أبو حية :

ولما أبت إلا التواء بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربت برتق من هواها مكدر * وكيف يعاف الرنق من كان صاديا

(١) تجدد فى (بكاء الملاح) من كتاب «مدامع العشاق» فصلا متما عن ابن مناذر وعن
غرامه الذى صار مضرب الأمثال

أعباء الكهولة

وقد قال عمرو بن قيس^(١) في معنى قول أبي حية :
 كانت قناتي لاتلين لنامز * فالأهـا الإصباحُ والامساء
 ودعوت ربـي في السلامة جاهداً * ليُصَحِّى فاذا السلامة داء
 وقال النمر بن تولب^(٢) :
 يود الفتى طول السلامة والبقا * فكيف يرى طول السلامة يفعلُ
 يعود الفتى من بعد حُسْنِ وصحةٍ * ينوء إذا رام القيام ويُجَمَلُ^(٣)
 وقد روى في الحديث الشريف : كفى بالسلامة داء
 وقد أحسن حميد بن ثور في قوله :
 أرى بصرى قد راينى بعد صحةٍ * وحسبك داء أن تضح وتسلما
 ولن يلبث العصران يوم وليلة * إذا طلبا أن يدركا ماتهما

(٤) حميد بن ثور

وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهى أجود شعر حميد ، ومن أجود ما فيها :

- (١) شاعر جاهلي نشأ يقيا وأقام في الحيرة مدة وخرج مع امرئ القيس حين توجه الى قيصر فات في الطريق . وفيه يقول امرؤ القيس :
- بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
 فقلت له لاتبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
- وقد سمته العرب عمرا الضائع لموته في غربته وفي غير مطلب ولا أرب
- (٢) شاعر مخضرم من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية ، أدرك الاسلام وهو كبير السن فوفد على الرسول وكتب عنه كتابا لقومه ، وكان جوادا واسع القربى كثيرا لاضيافه
- (٣) ينوء : ينهض بتناقل وإعياء (٤) من شعراء الاسلام أدرك عمر بن الخطاب وقال الشعر في أيامه وقد أدرك الجاهلية أيضا

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة * دعت ساق حُرَّ رَحَّةٍ وترنُّها
 تروح عليه والهّا ثم تقتدى * مولّية تبغى له الدهرَ مَطْعَمًا
 تؤمل فيه مؤنسًا لاشرادها * وتبكي عليه إن زقا وترنّا
 كأن على أشراقه نور خرة * إذا هو مدّ الجيد منه ليطعما
 فلما اكتسى الريش السحّام ولم تجد * لها معه في ساحة الحى مجيما^(١)
 تنحّت قريباً فوق غصن تذاًبت * به الريح صِرْفًا أى وجه تيمنا^(٢)
 فأهوى لها صقر مُسِفٌ فلم يدع * لها ولداً إلا رِماماً وأعظما
 فأوفت على غصن ضحياً ولم تدع * لنائحة في نوحها متلوّما
 عجبت لها أنّ يكون غناؤها * فصيحاً ولم تفقر بمنطقها فنا^(٣)
 فلم أر مثلى شاقه صوت مثلاً * ولا عريّاً شاقه صوت أعجما
 ومن خبيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بشهما :
 وقولا اذا جاوزتما أرض عامر * وجاوزتما الحين نهلاً وخشعا
 تُريمان من جرّم بن ريان انهم * أبوا أن يرقوا في المزاهر محجبا^(٤)
 وما هُجيت جرّم بأشد من هذا ، يريد أنهم لقتلهم لم يتروا أحداً فيطالبهم
 بدخّل .

جناية الليالى

وقال الأصمعي قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؟ قال كيف حال من
 يقنى ببقائه ، ويسم بسلامته ، ويؤتى من مأمّنه
 وقال محمود الوراق :
 يجب الفنى طول البقاء كأنه * على ثقة أن البقاء بقاء

(١) السحّام : الاسود ، والمجثم مكان الرقاد (٢) تذابت : أمت من كل جانب كما
 يفعل الذئب (٣) تفقر : تفتح (٤) المزاهر الحروب ، والمجثم : وطأ الحمامة والنصد

إذا ما طوى يومًا طوى اليومُ بعضَه * ويطويه إن جنَّ المساء مساء
زيادته في الجسمِ قصُّ حياته * وأتى على قصِّ الحياة نملًا^(١)
جديدان لا يبقى الجميع عليهما * ولا لهما بعد الجميع بقاء
وقال المتنبي :

زيادة شيبٍ وهى قصُّ زيادتي * وقوة عشقٍ وهى من قوتي ضعف
وبيت محمود الأخير كقول البحرى :

أناةٌ أيها الفلك المدار * أنهبُ ما تصرف أم جبار^(٢)
ستفنى مثل ما تبنى وتبلى * كما تبلى فيدرك منك نار
تتاب النائبات إذا تناهت * ويدمرُ في تصرفه النمارُ
ومأهل المنازل غير ركبٍ * مطاياهم رواحٌ وابتكارُ
ويقول فيها :

لنا فى الدهر آمالٌ طوالٌ * تُرجيها وأعمارٌ قصارُ
أما وأبى بنى حارٍ بن كعبٍ * لقد طرد الزمان بهم فساروا
أصاب الدهر دولة آل وهبٍ * ونال الليلُ منهم والنهارُ
أغارهمُ رداء العز حتى * تقاضاهم فردوا ما استعاروا
وقد كانوا وأوجههم بدورُ * لبصرها وأيديهم بحار
أخذكوله « ستفنى مثل ما تبنى » أبو القاسم بن هانيء فقال :
تفنى النجوم الزُّهرُ طالعةٌ * والتيران الشمسُ والقمرُ
ولئن تبدت فى مطالعها * منظومةٌ فلسوف تنتثر
ولئن سعى الفلك المدارُ بها * فلسوف يلها وينفطرُ
وقد استقصى على بن العباس الرومى للمعنى الاول فقال :

(١) التمهيد : الزيادة (٢) حيار : مهمل لا قود فيه

والدهر يُبلى الفتي من حيث يُنشئه * حتى تكرر عليه ليلة القرب
يفنوه في كل آن وهو يأكله * ويحتسى تبعاً منه على تعب
يؤدي بحال فحال من شبيبته * تسرب الماء في مستأنف الكتب
حسب أمرى من جى دهر تظاؤله * وإن أُجم فلم ينكب ولم يُنَب
في هُدنة الدهر كاف من وقائه ■ والعمر أقدم مبراة من الوصب
وقال أيضاً :

يا باني الحصن أرساه وشيده * حرز السيل من الاعداء مشجون^(١)
انظر الى الدهر هل فاتته بنيته * في مطمح النسر أو في مسبح النون^(٢)
ومن تحصن منخوباً على وجل * فأما حصنه سجن مسجون
أشكو الى الله جهلاً قد أضرب بنا * بل ليس جهلاً ولكن علم مفتون
وقال الطائي :

وإن تبين حيطان عليه فأما * أولئك عقالاً لا معاقلة
ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه
مشغول ، فرجع ، فبعث اليه الرشيد : خنتي فاتهمني ، فقال : إذا انقضت المدة
كان الختف في الحيلة ، والله ما انصرفت إلا تخفيفاً
— أخذ ابن الرومي فقال وقد فصله بعض الاطباء فزعم أن القصد زاد في علته
غلط الطبيب على غلطة مورد * عجزت محالته عن الإصدار^(٣)
والناس يلحون الطبيب وإما * غلط الطبيب إصابة المقدار

(١) شلو : جزء . ومشجون : مشعوب ومكسور (٢) النون : الحوت (٣) المحالة : الحيلة
ومنه (المرأ يجز لا المحالة) ويخطيء من يقول : المرء يعجز لا محالة

وصف الشجر

وقال أبو حية النيمري:

سقتني بكأس الحب صرقاً مروقاً * رفاق الشيا عذبة المترق^(١)
وخمصانة تفر عن متشق * كنوز الأفاحي طيب المتدوق^(٢)
إذا امتضت بعد امتناع من الضحي * أنايب من عود الارك الحلق^(٣)
سقت شعب السواك ماء غمامة * فضيفاً بخرطوم الرحيق المروق^(٤)
وأشد الثوري

تري الدر منشوراً إذا ماتكلمت * وكالدر منظوماً إذا لم تكلم
تعبداً أحرار القلوب بدكها * وتعلأ عين الناظر التوسم
والبيت الأول من هذين كقول البحري:

فن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه^(٥)
قال أبو الفرج الرياشي سمعت الأصمعي يقول: أحسن ما قيل في وصف الشجر
قول ذى الرمة:

وتجلو بفرع من أراك كأنه * من العنبر الهندي والمسلك يصبغ
ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى * اليه الندى من رامة المروع
هجان الشيا مغرب لو تبسمت * لأخرس عنه كاد بالقول يفصح^(٦)

(١) المترق: العين، وتقول: رنق التوم في عييه خالطهما (٢) خصانة: ضامر
البطن — والمتشق: الثغر، لأنك تنشق منه نكهته العطرة، والمتدوق هو الريق.
لأنك تله تذوقه (٣) الحلق: المدهون بالحلق وهو ضرب من الطيب (٤) الفضيف: ما
تاتثر من الماء (٥) قبل هذا:

ولما التقينا واللوى موعدا لنا تعجب رأى الدر حسنا ولاقطه
(٦) هجان الشيا: يريد أن نأياها ناصعة البياض. من قولهم: أبل هجان، أي.
بيض كرام

ومن قديم هذا المعنى وحيد قول النابغة الذبياني في صفة المتجردة امرأة
النعجان ابن المنذر

تجلو بقادمتي حمامة ايكية * برداً أَسِفَ لثأته بالإيمد^(١)
كالأفحوان غداة غبَّ سبائه * جفت أعالیه وأسفله ندى
زعم الهمام بأن فاهها باردٌ * عذبٌ مقبله شهى المورد
زعم الهمام ولم أذقه أنه * يروى يريارقه العطش الصدى
ومن قوله (ولم أذقه) أخذ كل من أتى بهذا المعنى ففتقه الناس بعده .
قال المتوكل الليثي :

كان مدامة صباءٍ صرفاً * ترقرق بين راووق و دنٌ
تعلُّ بها الثنايا من سليمي * فِرَاسة مقلتي وصحيح ظني
وقال بشار :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر * إلا شهادة أطرافِ المساويكِ
قد زرتنا مرةً في الدهر واحدةً * ثني ولا تجعلها بيضة الديكِ
يا رَحمة الله حُلَى في منازلنا * حَسبي براحة الفردوس من فيكِ
وقيل لبشار : يا أبا معاذ ، كم بين قولك ، وأنشد هذه الايات ، وبين
أن قول

إنما عظم سليمي خلتي * قصب السكر لأعظم الجلل
وإذا قُرُبَ منها بصلٌ * غلب المسك على ريح البصل
فقال :

إنما الشاعر المطبوع كالبحر : مرةً يقذف صدفة ، ومرةً يقذف جيفة^(٢)

(١) الاثمد : الكحل (٢) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت
سقطات المتنبى مثلاً قاضحة ، لان الاجادة المطلقة فوق طاقة الانسان ، وقديطردها
الحكم في كثير من نواحي الحياة الانسانية

وصف الجوارى السود

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الروى من أقرب متناول ، فقال وكشفه بأوضح عبارة في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح السوداء ، بعد أن استوفى جميع صفاتها ، وكان قد اقترح عليه وصفها :

وصفت فيها الذى هَوِيَتْ على الوه * م ولم تختبر ولم نَذُقْ

إلا بأخبارك التى رُفِيتَ * منك الينا عن ظبية البرق^(١)

حاشا لسوداء منظرٍ سكنت * ذُراكِ الا عن مخبر يقين^(٢)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بفضيله على البياض ، حتى أغلق فيه الباب على من بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان مقصر السهم عن غرض الاحسان . وقد نبه على بن عبد الله بن العباس المسيب على فضائلها وأجاد التشبيه وكشف عن وجوه الابلع ، وضروب الاختراع .

وقد مدح الناس السواد والسود فأكثرُوا ، فن جيد ما قالوا فيه قول أبي حفص الشظرنجى :

أشبهك المسك وأشبهته * قاعمةً فى لونه قاعده

لاشك إذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

فأخذ ابن الروى هذا المعنى وأضاف اليه أشياء أخر توسعا واقتداراً فقال :

يذكر المسك والغوالى والسك * ذوات النسيم والعَبَقِ^(٣)

وهذه الأشياء وإن كانت ناقصة عن المسك ، فهى مدحوة بالطيب ، غير

مستغنى عن ذكرها فى التشبيه

فأما زيادته على جميع من تعاطى مدح السواد فقوله :

(١) البرق : جمع برقة بالضم وهي مكان تكثر فيه الطباء (٢) يقق : ناصع البياض

(٣) السك : نوع من الطيب

سوداء لم تنسب الى برص الشَّ * ر ولا كُفَّة ولا بهق^(١)
والأبيض الشديد البياض معيب ، وقد دل عليه قوله :

وبعض ما فُضِّل السواد به * والحق ذو سُلْم وذو نَقَقٍ
ألا يعيب السَّ اذ حُلِكَتْهُ * وقد يُعَاب البياض بالبهق^(٢)

قوله (الحق ذو سُلْم وذو نَقَقٍ) أراد أن الحق يتصرف في جهات ، وضرب
الصعود والنزول لذلك مثلا ، ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في الصفة ،
ومن عيب السود أن أكفهم عابسة متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة ليثة ،
وكذلك لا يزال القلح في شفاههم ، وهي الشقوق المزمومة الموجودة في أكثر
السود في أوساط الشفاة ، وأيضا فإن الاسود مهجور بحث الرق ، ففني هذه
الصفات المزمومة الموجودة في أكثر السود عنها ، فقال :

ليست من العُيبس الا كف ولا القُلا * ح الشفاة الخباث العرق
ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المزمومة ،
فقال :

في لين سَمُورَةٍ تخيرها القرا * أو لين جيد الدلق^(٣)
ومن بديع مدح السوداء قوله :

أكسبها الحب أنها صُيغَتْ * صِيغَةً حَبِّ القلوب والحدق
فانصرف نحوها الضمائر والابصارُ يعشقن أيما عَشَقٍ
فأخبر أن القلوب إنما أحببتها بالجانسة التي بينها وبين حَبِّ القلوب من
السواد ، وكذلك الحلق .

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبه نديما للصباح فأخبر عن حاله وقال
فقام والليل يجلوه الصباح كما * جلا التبسم عن غر الثنيات

(١) الكلفة : النمش يوجد في الوجه ، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحلكة . شدة السواد ، ومنه : ظلام حالك (٣) الدلق : دوية كالسمورة

— ولعل بن العباس عليه التقدم بقوله :

يَقْرَ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَى * مِنْ ثَرَاهَا كَاللَّائِيءِ النَّسَقِ^(١)

كَأَنَّهَا وَالْمَزَاحُ يَضْحَكُهَا * لَيْلٌ تَعْرِى دُجَاهَ عَنْ فَلَقِ^(٢)

وفضل هذا الكلام على ذاك أن هذا قدم لعناه في التشبيه مقدمة أيده ،
ووطأت له الآذان^(٣) ، وأصغت الافهام الى الاستحسان ، وهي قوله :

* يَقْرَ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَى *

— وفي هذه السواداء يقول : وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات محاسنها

الظاهرة والباطنة فقال :

لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَّتَهُ * مِنْ قَلْبٍ صَبَّ وَصَدْرِي حَنْقِ^(٤)

كَأَنَّهَا حَرَّةٌ خَلَابِرُهُ * مَا أَلْهَبَتْ فِي حِشَاءٍ مِنْ حُرْقِ

يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا * تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهْقِ^(٥)

ثم فكر فيها فكرفيه النابضة ، وقد أمره النعمان بوصف المتجردة فوصف مايجوز
ذكره من مظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا يسوغ لمثله أن يذكر
منها ، فرد الأخبار عن تلك الفضائل الى صاحبها وهو الملك ، فقال :

زَعَمَ الْمَهْلَمُ بَأْنَ فَاهَا بَارِدٌ * عَذِبٌ إِذَا قَبْلَتَهُ قَلْتُ أَزْدَدُ

فاحتذى على بن العباس هنا فقال بعد ما سأله أن يستغرق في وصف فضائلها

الظاهرة والباطنة :

خَذَّهَا أَبَا الْفَضْلِ كَسَوَةً لَكَ مِنْ * خَزَّ الْأَمَادِيحِ لَا مِنَ الْخِرْقِ

وَصَفْتُ فِيهَا الَّتِي هَوَيْتَ عَلَى الْوَهْ * مَ وَلَمْ نَجْتَبِرْ وَلَمْ نَنْقِ

إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ * مِنْكَ الْيَنَابِغُ عَنْ ظَبِيهِ الْبُرْقِ

حَاشَا لِسَوْدَاءٍ مِنْظَرٍ سَكَنْتَ * دُرَاكَ الْإِلَاحِ عَنْ نَجْوَى يَقَى

(١) نسق : منسق (٢) تعرى : تكشف (٣) وطأت : مهدت (٤) الحر : بكسر

الحاء هو الفرج (٥) الوهق : الجبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والانسان

وهذا المعنى أوماً إليه النابغة إيماءً خفياً تذهب معرفته عن أكثر الناس ، ولو
آثر النابغة ترك الاختصار وهم بكشف المعنى وإيضاحه ما زاد على هذا الكشف
الذي كشفه ابن الرومي

— وأصحاب المعاني ينشدون للفرزدق

وجفّن سلاح قد رُزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي بطنه من دارم ذو حفيظة * لو أن المنايا أنساؤه لياليا (١)
ومعناه عندهم أنه رثى امرأة توفيت حاملاً ، فقال علي بن العباس وقد وصف
هذه المرأة السوداء :

أَخْلَقَ بِهَا أَنْ هَوَمَ عَنْ ذَكَرٍ * كالسيف يَفْرَى مُضَاعَفَ الْخَلْقِ
إِنْ جَفَنَ السُّيُوفُ أَكْثَرَهَا * أَسْوَدُ وَالْحَقُّ غَيْرُ مَخْتَلِقِ
فهذه زيادة بيّنة ، وعبرة واضحة ، لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعاني .

— وقال بما لم ينشده المتنبي :

غُصْنٌ مِنَ الْآبُوسِ رَكْبٌ فِي * مُؤْتَزِرٍ مُجْبِبٍ وَمُنْتَطِقِ
يَهْتَزُّ مِنْ نَاهِدِيهِ فِي تَمَرٍ * وَمِنْ دَوَاجِي ذُرَاهِ فِي وَرَقِ
وهذا معنى قد بلغ قائله من الاجادة ، فوق الارادة ، وامثّل أبو الفضل الماشمي
ما أشار به ابن الرومي فأولها فأعجبت

— وفي معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكر ولدين توأمين ماتا لعبد الله
ابن طاهر :

أَنْ تَرُزَّ فِي طَرَفِ نَهَارٍ وَاحِدٍ * رُزَأَيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَابِلَا
فَالْتَقَلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لَطِيَّةٍ * إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَازِلَا (٢)
لُحْفِي عَلَى تِلْكَ الْمَشَاهِدِ مِنْهُمَا * لَوْ أُمِهَلَتْ حَتَّى تَكُونَ شِمَائِلَا
أَلْفَا سَكُونُهُمَا جِئِي وَصِبَايَا * حُكْمًا وَتِلْكَ الْارِيحَةُ نَائِلَا
إِنْ الْمَلَالُ إِذَا رَأَيْتَ نَمَاءَهُ * أُعْنِتُ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلَا

(١) الحفيظة : قوة الابه (٢) الوهم : الجمل الضخم القوي ، والبازل المكتمل السن

التهنئة بتوأمين

وعلى ذكر التوأمين أفاظ دأهل العصر في التهنئة بتوأمين :

— تيسرت منحتان في وطن ، وانتظمت موهبتان في قرن ^(١)
 — طلع في أفق الكمال نجما سعد ، وشهابا عز ، وكوكبا مجد ، فتأهلت بهما ربوع
 المحاسن ، ووُطئت لها اكفاف المكارم ، واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر
 — بلغنى خبر الموهبة المشفوعة بمنلها ، والنعمة المقرونة بعلمها ^(٢) في الفارسين
 المقبلين ، رضيعي العز والرفعة ، وقريني المجد والمنعة ، فشملى من الاعتباط ما يوجه
 ازواج البشرى ، واقتران غادية بأخرى
 والشئ يذكر بما قارب ناحية من لائحته ، وجانب حاشية من ردائه ^(٣)

شئ من الهجاء

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلا وضمن قول النابغة :

* كالأقحوان غداة غب سمائه *

وأزاحه عن بابه ، فجاء مليحا في الطبع ، مقبولا في السمع
 يا سائلني عن جعفر عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلد ^(٤)
 كالأقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى ^(٥)

(١) القرن : الحبل المقتول من لحاء الشجر أو من الصوف (٢) العدل بالكسر
 التنظير (٣) هذه البارة من كلام المؤلف ، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن
 التوأمين (٤) العجان : الاست. والجلد : الصخر (٥) هذا التضمين يذكر بقول
 بعض المولدين :

تصدى إلى أبرى فقلت له أئند وعيشك لو أبصرته وهو نائر
 رأيت القى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ومن مستحسن ما روى في هذا التضمن قول الآخر ضمن بيتا للمهلل.
ابن ربيعة

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المذهب غير أئى * أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما يفنيه فتاه * حُسينٌ حين يخلو بالسرور
فلولا الريح أسمع من يحجر * صليل البيض تُقرع بالذكور

وهذا البيت للمهلل مما يعدونه من أول كذب العرب وكانت قبل ذلك
لا تكذب في أشعارها^(١) وكانت بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي
بالجزيرة وبين حجر وهي قصبة باليامة مسافة بعيدة ، فأخرجه هذا الشاعر بقوة
مُنته ، وثاقذ فطنته ، الى معنى آخر مستظرف في بابهِ . وهذا المذهب أحسن مذاهب
التضمن .

ومن مليح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني في طيلسان أحمد بن حرب
المهلي ، وسيأتى ما اختاره من ذلك في غير هذا الموضع

والاصل :

وكنتم إنا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوماً أتبعك المناظر
رأيت التي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(١) هذا ترديد للفكرة المشهورة من ان العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون
الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية ، والمعقول أن طبيعة
الناس تبيح المغالاة بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

وصف الافواه

وقد جاء في صفة الثغور والافواه والريق شعر كثير .

— قال جميل

- تمنيت منها نظرة وهى واقفة * ثرىك قبياً واضح الثغر أشنبا (١)
 كأن عريضاً من فضيض غمامة ■ هزيم النرى تمرى له الريح هيدبا (٢)
 يصق بالمسك الذكى رضابه * إذا النجم من بعد الهدوء تصوبا (٣)

— وقال :

وكان طارها على علل الكرى * والنجم وهناً قد بدا لتغور
 يستاف ريح مدامة معلولة ■ يرضاب مسك في ذكى العنبر

— وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي

يمج ذكى المسك منها مفلج * تنق الثنايا ذو غروب مؤشر (٤)
 يرف اذا تفتت عنه كأنه * حصى برّد أو أفتحان منور

— وقال الهذلي :

وما صباه صافية لصب * كلون الصّرف منجذب قذاها
 تسج بنطفة من ماء مزن * أحلته برضاض عراها
 بأطيب مشرعاً من طعم فيها * اذا ماطر عن سنة كراها

— وقال آخر :

وشق عنها قناع الخز عن برّد * كالدر لا كس فيه ولا مل (٥)

(١) أشنب من الشنب بالتحريك وهو رقة وبرد وعذوبة في الاسنان (٢) المريض :
 القطة من السحاب ، والتضيض ما تتأثر من المطر والماء ، والهزيم الصوت ، والنرى
 الاعلى ، والهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدرت (٤) مؤشر : من الاشر بالتحريك
 وهو تحزب أطراف الثنايا والغروب جمع غرب بالفتح وهو ماء الرضاب (٥) الكس :
 قصر الاسنان ، والعمل زيادة سن أو دخول سن تحت سن

كَأَنَّهُ افْتَحَوانَ بَاتَ يَضْرِبُهُ * طَلُّ مِنَ الدَّجْنِ سَقَّاطٌ لِنَدَى هَطْلُ
كَأَنَّ صِرْفًا كُئِيتَ اللَّوْنُ صَافِيَةً * شُجَّتْ بِمَاءِ سَمَاءٍ شَنَّةٌ جَبَلٌ (١)
فُوها إِذَا مَا قَضَتْ مِنْ نَوْمِهَا سِنَةً * أَوْ اعْتَرَاهَا سَبَاتُ النَّوْمِ وَالْكَسَلِ
وَقَالَ آخَرُ :

هَجَانُ اللَّوْنِ وَاضِحَةٌ الْحَيَاءُ * قَطِيعُ الصَّوْتِ آتَنَةُ كَسُولِ (٢)
تَبَسُّمٌ عَنْ أَغْرٍّ لَهُ غُرُوبٌ * فُرَاتُ الرِّيقِ لَيْسَ بِهِ فُلُولِ (٣)
كَأَنَّ صَبِيبَ غَادِيَةِ لَصْبٍ * تَشِجُّ بِهِ شَامِيَةٌ شَمُولِ
عَلَى فِيهَا إِذَا الْجُوزَاءُ عَالَتْ * مَحَلَّةٌ وَأَرْدَفَهَا رَعِيلِ (٤)
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

يَا نَدِيمِي اشْرَبَا وَاسْقِيَانَا (٥) * قَدْ بَدَأَ الصَّبْحُ لَنَا وَاسْتَبَانَا
وَاقْتُلَا هُمْنًا بِصِرْفٍ عَقَارِ * وَاتْرَكَا الدَّهْرَ فَمَا شَاءَ كَانَا
إِنْ لِمَكْرُوهِ لَدَعَةً شَرٍّ * فَإِذَا دَامَ عَلَى الْمَرْءِ هَانَا
وَأَمَزَجَا كَأَسْنَا بِرِيقَةٍ أَلْوَى * طَابَ لِلْعَطْشَانِ وَرَدًّا وَحَانَا
مَنْ فَمٌ قَدْ غَرَسَ النَّرَّ فِيهِ * نَاصِحُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَانَا (٦)
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

يَارَبَّ رِيقٍ بَاتَ بِدَرِ الدُّجَى * يَمِجُّهُ بَيْنَ ثَنَائِيَا كَا
يُرَوِّى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرْبِهِ * وَالْمَاءُ يَرَوِّيكَ وَيَنْهَاكَ
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ رَشْفَ رِيْقِكَ قُلْتَ لِي * أَخْشَى عَقُوبَةَ مَالِكِ الْإِمْلَاكِ
مَاذَا عَلَيْكَ جَعَلْتَ قَبْلَكَ فِي الثَّرَى * مِنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمُسَوَاكِ

(١) كُئِيتَ اللَّوْنُ : فِيهَا سَوَادٌ وَحُمْرَةٌ ، وَشُجَّتْ : مَزَجَتْ ، وَالشَّنُّ الْبُشَيْرُ

(٢) هَجَانُ اللَّوْنِ : بَيَاضٌ ، وَقَطِيعُ الصَّوْتِ هِيَ الَّتِي يَتَكَسَّرُ كَلَامُهَا لِرَقَبَةٍ

(٣) فُرَاتٌ : عَذْبٌ (٤) الرَعِيلُ : جَمَاعَةُ النُّجُومِ (٥) رَايَةُ الدَّبَّانِ (لَا تَمْلَأُ حُشَا

وَسَقِيَانَا) (٦) نَاصِحُ الرِّيقِ : لَمْ تَتَّعِرْ نَكَبَتَهُ

أيجوز عندك أن يكون متمم * صبب مجبك دون عود أراك
وهذا المعنى يجاوز الإحصاء ، ويفوت الاستقصاء ، وكله مأخوذ من قول
امرى القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر (١)
يعلى به يرد أنيابها * إذا طرب الطائر المستحجر (٢)
فجمع ما فرقوه ، وأخذ الجعفرى فقصر عنه :
كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى وذوب القسل
يعلى به يرد أنيابها * إذا النجم وسط السماء اعتدل

فتنة الساقى

ويلحق بهذه المعانى من شعر أهل العصر قول أبى على محمد بن الحسين بن
المظفر الحاتمي وذكر خمرآ

من كف ساقى أهيف حركاته * فتن تفتح بالملاحه واعتجر (٣)
ناولته كأسى وكسر جفونه * يوحى الى أن ارتقبهم واصطبر
فتنى لها أقلام كدر رخصة * تهوى الى أفراد كدر ذى أسر (٤)
فتصدرت من كأسه فى كثره * كالشمس تقرب فى هلال من قر
واهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب اليها :
قد بشتاه لكى تجلو به * واضحا كاللؤلؤ الرطب أغر
طلب منه العرف حتى خيلته * كان من ريقك يسقى فى السحر (٥)
وأما والله لو يعلم ما * حظك منك لأننى وشكر
ليتنى المهدى فيروى عطشى * يرد أنيابك فى كل سحر (٦)

(١) القطر بالضم العود الذى يتبخر به (٢) المستحجر : الحران (٣) اعتجر : من
الاعتجار وهو لبسة خاصة بالنساء والتغلبان (٤) رخصة : لينة
(٥) لا يطيب الريق فى السحر إلا عند اكتمال القوة (٦) يتنى لوانه كان المسواك

شعر ابن أبي ربيعة

وكان ذكر بحضرة ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخزوميين ، فقال رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابن أبي عتيق : دع قولك يا ابن أخي فلشعر ابن أبي ربيعة لَوَطةٌ بالقلب ^(١) وَعَلَقٌ بالنفس ، ودركٌ للحاجة ، ليس لشعر الحارث ، وما عصى الله بشعر قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصفُ لك :
— أشعر قریش من رَقٍّ معناه ، وَلَطْفٌ مَدْخَلُهُ ، وسهلٌ مَخْرَجُهُ ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن صاحبه
— فقال الذي من ولد خالد بن العاصي صاحبنا الذي يقول :

انى وما نحرروا غداة مَنَى * عند الجمار تَوَدَّهَا الْعُقْلُ ^(٢)
لو بُدِّلَتْ أعلى منازلها * سِفْلاً وَأَصْبَحَ سَفْلهَا يَمَلُو
فيكاد يعرفها الخبير بها * فيردُّهُ الإِقْوَاهُ وَالْحُلُ ^(٣)
لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبلُ

فقال ابن أبي عتيق : يا ابن أخي استر على صاحبك ، ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ، أما تطيَّب الحارث عليها حين قلب ربيعها فجعل عاليه سافله ، ما بقي إلا أن يسأل الله حجارة من سجيل وعذاباً أليماً
— ابن أبي ربيعة كان أحسن الناس للربيع مخاطبةً وأجل مصاحبةً إذ يقول :
سائلا الربيع بالبليِّ وقولا * هجت شوقاً إلى النداة طويلاً
أين أهلٌ حَلَوْكَ إذ أنت مسرو * رُبُّهم أهلٌ أراك جميلاً

(١) لَوَطة بالقلب : علوق به (٢) العقول : جمع عقال (٣) الإقواء : خلاه الديار ، والخل : الجدي

قال ساروا وأمنوا واستقلوا * وبكرهم لو استطعت سبيلا
سثمونا وما سئمتنا مقاماً * واستحبوا دماً وسهولاً^(١)

مز يد المدني

وها هنا حكاية تأخذ بطرف الحديث : دخل مزيد المدني على مولى لبعض
أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ، ورجل من ولد أبي بكر الصديق وآخر
من ولد عمر رضى الله عنهما جالسان بين يديه على الأرض ، فلما رأى المولى مزيدا
تجهمه وقال : يا مزيدا أكثر سؤالك ، وأشد إلحافك ، جئت تسألني شيئا ؟
قال لا والله ، ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد
إني وما نحرروا غداة منى * عند الجمار تؤودها العقلُ
لو بدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلا يعلو
فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال . فقال : اعزُب.
فى غير حفظ الله ! وضحك أهل المجلس

بكاء الديار

وأخذ الحارث قوله :
لمرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبلُ
من قول امرئ القيس ، قال على بن الصباح وراق أبى محلم قال لى أبو محلم
أتعرف لامرئ القيس أياتا سينية قالها عند موته فى قروحه والحلة المسمومة غير
قصيدته التى أولها

* ألما على الربيع القديم بعسسا *

(١) فى الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » شذرات مهمة عن
الحارث بن خالد المخزومي الذى وقف شطرا من حياته وجهاه فى مغازلة الحسان ،
وأخباره مع عائشة بنت طلحة تبين مناهبه فى الحياة الوجدانية

فقلت لا أعرف غيرها ، فقال :

— أنشدني جماعة من الرواة

لن طَلَّلْ دَرَسَتْ آيَهُ * وَغَيْرَهُ سَالِفُ الْأَحْرَسِ^(١)

تَنَكَّرَ الْعَيْنَ مِنْ حَادِثٍ * وَيَعْرِفُهُ شَقَفُ الْأَنْفُسِ

— وقد أخذه طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّقَّاشُ فقال

تَسْتَخْبِرُ الدَّمْعَ مِنَ الْفِغَارِ وَلَمْ تَكُنْ * لَتَرَدَّ أَخْبَارًا عَلَى مُسْتَخْبِرٍ

فَطَلَّاتِ تَحْكُمُ بَيْنَ قَلْبٍ عَارِفٍ * مَعْنَى أَحْبَبْتِهِ وَطَرَفٍ مُنْكَرٍ

— وقال الحسن بن وهب إشارةً إلى هذا المعنى

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ حِدَّتِهِ * فَمَا تَكَادُ الْعَيُونَ تُبْصِرُهُ

كَأَنَّهُ رَسْمٌ مِنْزِلُ خَلْقِهِ * تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنْكُرُهُ

— وقال يحيى بن منصور النهلى

أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ * تَذَكُّرُ طَيْفٍ مِنْ سَعَادٍ وَمُرَبٍ

أُخَادِعٍ عَنْ عِرْفَانِهِ الْعَيْنُ إِنَّهُ * مَتَى تَعْرِفِ الْإِطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ

— وقال آخر :

هِيَ النَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ لِمَ لَا تَعْرِفُ النَّارَا

تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابٍ * بِكَ أَعْلَامًا وَأَنَارَا

فَيَبْدُو الْقَلْبَ عِرْفَانًا * وَتَبْدُو الْعَيْنَ إِنْكَارَا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها

لملاحظتها ، إذ كان الغرض في هذا التصرف هو إيراد الافادة :

أَلَا أَرَى مِثْلِي أَمْتَرِي الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ^(٢) * تَنْقُضُ بِي عَيْنِي وَيُلْقِظُهُ وَهْمِي

أَنْتَ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * فَظَنِّي كَلَّا ظَنٍّ وَعَلِمِي كَلَّا عِلْمٍ

(١) الاحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امترائى في رسم »

فطب بحديث من حبيب مساعد^(١) * وساقية بين المراهق والحلم^(٢)
 ضعيفة كَر الطرف تحسب أنها * قرية عهد بالإفاقة من سقم
 تفوق مالى من طريف وتالد * تفوق الصباء من حلب الكرم^(٣)
 وإني لآتي الوصل من حيث يُبتغى^(٤) * وتعلم قوسى حين أنزع من أرمى

شعر أبي نواس

وروى أبو هفان قال كان أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي^(٥) يطعن على أبي نواس ويعيب شعره ، ويضعفه ، ويستلينه . فجعله مع بعض رواة شعر أبي نواس فجلس والشيخ لا يعرفه ، فقال له صاحب أبي نواس :
 أعرف أعزك الله أحسن من هذا وأنشد (ضعيفة كَر الطرف) الأبيات ، فقال لا والله ، فلمن هو ؟ قال للذى يقول :

رسم الكرى بين الجفون تحيل * عفى عليه بكأ عليك طويل
 يا ناظراً ما أقلت لحظاته * حتى تشحط بينهن قتيل

فطرب الشيخ وقال : ويحك ، لمن هذا ، فوالله ما سمعت أجود منه لتقدم ولا للمحدث ، فقال لا أخبرك أو تكتبه ، فكتبه ، وكتب الأول ، فقال الذى يقول :

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المراهق والحلم : يريد أن سنّها قاربت سن الاحتلام وليست مع ذلك طمّة فهي كما قال صاحب البدائع : « طفلة في المنظر ، وغادة في الحجب » (٣) تفوق مالى : تأكله ، من قولهم تفوق ناقته حلبها ، وتفوق الفصيل اللبن شربه (٤) رواية الديوان « وإني لآتي الأمر » وهي أدق .

(٥) هو ابن الاعرابي المتوفى سنة ٢٣١ . كان نحويًا عالماً باللغة والشعر ، ولم يكن أحد من الكوفيين أشبه برواية البرصيين منه ، وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً . قال نعلب : شاهدت ابن الاعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه ويحجب من غير كتاب . قال : ولزمته بضعة عشرة سنة . ما رأيت يده كتاباً قط وما أشك في أنه أمل على الناس ما يحمل على أجال .

ركبُ تَسَاقَوْا عَلَى الْإِكْوَارِ بَيْنَهُمْ * كَأَنَّ الْكِرَى فَاثَشَى الْمَسْقَى وَالسَّاقِ
كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنُّومُ وَاضِعُهَا * عَلَى الْمَنَاقِبِ لَمْ تُضَلِّقْ بِأَعْنَاقِ
سَارَوْا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ * حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَشْوَاقِ
مِنْ كُلِّ جَائِلَةٍ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ * مُشْتَاكِةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاكِ
قَالَ لِمَنْ هَذَا؟ وَكَتَبَهُ، فَقَالَ: لِلَّذِي تَذَمُّعَ، وَتَعْيِبَ شَعْرَهُ، أُنَى عَلَى الْحَكْمَى؛
قَالَ أَكْتَمَ عَلَى، فَوَاللَّهِ لَا أَعُودُ لَكَ أَبَدًا.
أَخَذَ قَوْلَهُ (كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنُّومُ وَاضِعُهَا) أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ
يُصِفُ شَرِّبًا

كَأَنَّ أَبَارِيقَ اللَّيْلِ لِيَسِيهِمْ * ظِلَابُهُ بِأَعْلَى الرِّقَّتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَّ وَاحْتَى كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ * مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عِظَامُ
الْبَيْتِ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ مِنْ قَوْلِ عُلُقَمَةَ بْنِ عَبْدِ: (١)
كَأَنَّ ابْنَ يَهْمَ ظَلَى عَلَى شَرَفٍ * مُقَدَّمٌ بِسَبَابِ الْكَتَانِ مَلُثُومُ (٢)
أَرَادَ بِسَبَابِ (٣) خُذِفَ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي قَوْلِهِ:
إِبْرِيْقَنَا سَلَبَ الْفَزَالَةِ جِيْدَهَا * وَحَكَى الْمَدِيرُ بِمَقْلَتِهِ غَزَا لَا
يَسْقِيكَ بِالْإِلْحَاطِ كَأَنَّ صِبَابَةَ * وَيَدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جِرِيَالَا (٤)

طَرَفَةُ أَدَبِيَّة

وَأَنْشَدَ الْحَارِثُ بْنُ خَالَةَ أُمَيَّاتِهِ:

* إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةً مِنِّي *

- (١) هُوَ عُلُقَمَةُ الْفَحْلُ أَحَدُ مُعَاَصِرِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ
(٢) مُقَدَّمٌ: مُسَدَّدٌ، وَالْقَدَامُ هُوَ السَّدَادَةُ، وَالْمَلُثُومُ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ الْإِثَامُ وَهُوَ كَالْقَدَامِ
(٣) السَّبَابُ: جَمْعُ سَبِيَّةٍ وَهِيَ الْجِلْدُ (٤) الْجَرِيَالُ: الْحَرُّ

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ الى قوله :

لعرفت معناها بما احتملت * منى الضلوع لاهلها قبل

قال له ابن عمر : قل ان شاء الله ، قال اذا فسد الشعر يا ابا عبد الرحمن ، فقال :

لا خير في شيء تقسده ان شاء الله !

تظرف الحارث بن خالد

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من.

ذلك ، وإنما يقوله تظرفاً وتخلعاً ، وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما :

قتل عنها مصعب بن الزبير قيل له : لو خطبتها ! قال : إني لأكره أن يتوهم

الناس عليّ أني كنت معتقداً لما أقول فيها

وهو القائل :

يا أم عمران مازالت وما برحت * بنا الصبا به حتى مسنا الشفق^(١)

القلب تاق اليكم كي يلاقكم * كما يتوق الى منجاة الفرق

توفيك شيئاً قليلاً وهي خائفة * كما يسر يظهر الحية الفرق^(٢)

أخذ هذا الطائي فحسّنه فقال :

تأبى على التصريد إلا نائلاً * إلا يكن ماء قراحاً يُمدّق

نزاراً كما استكرهت عابر فجعة * من فارة المسك التي لم تفتق.

عائشة بنت طلحة

وحجبت عائشة بنت طلحة ، فوجه اليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن

حرام ، فأخر ذلك حتى نُحلّ ، فلما أحلت أدلجت ولم يعلم ، فكتب اليها

ما ضرّكم لو قلتم سداً * إن المنية عاجل غدّها

ولها علينا نعمة ملقت * لسنا على الأيام نجدها
لو تمت أسباب نعمتها * تمت بذلك عندنا يدها
إني وإياها كفتن * بالنار تحرقه ويمدها

ابن أبي عتيق

وابن أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه ، وكان من أفاضل زمانه علماً وعفافاً ، وكان أحلى الناس فكاهة ،
وأظرفهم مزاحاً ، وله أخبار مستظرفة سيمر منها ما يستحسن ان شاء الله
روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة يعني بنت طلحة رضي الله عنهما
وهي لما بها ، فقال كيف أنت جعلت فداك ؟ قالت في الموت ، قال فلا إذا ، أما
ظننت في الأمر فسحة ، فضحكت ، وقالت : ما تدع مزحك بحال !

وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب * بفلاة هم لديها خُشوع
طالما عرستم فاستقلوا * حان من نجم الثريا طلوع
إن همي قد نقي النوم عني * وحديث النفس مني يروع
قال لي فيها عتيق مقالاً * فجرت بما يقول السموع
قال لي ودّع سليمى ودعها * فأجاب القلب لا أستطيع
لا تلمني في اشتياقي إليها * وابك لي مما تُجنّ الضلوع

الثريا بنت علي^(١)

قال أبو العباس محمد بن يزيد قوله (حان من نجم الثريا طلوع) كناية ،

(١) في كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فصل مطول عن الثريا بنت علي ،
وفصول أخرى شائقة عن الملاح الأثني قن عمر بن أبي ربيعة وصيرنه مضرب المثال
في التثني بالحسن والهيام بالجمال

وانما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها الى مصر وفي ذلك يقول عمر وضرب لها المثل بالنجمين

أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

فمات سهيل عنها ، أو طلقها ، فخرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة في دمشق تطلب في دين عليها ، فبينما هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز اذ دخل الوليد فقال : من هذه عندك ؟ قالت الثريا جاءتك تطلب في دين ارتكبتها . فأقبل الوليد عليها فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، أما إنه رحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى له قوله :

ما على الرسم بالبليين لو بين ☆ رجع السلام أولو أجايا
فالى قصر ذى العشرة بالطا ☆ فأمسى من الأيس يبابا
ربما قد ثوى به حتى صدق ☆ ظاهري العيش نعمة وشبابا
وحسانا جواريا خفرا ☆ جافطات عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن بالحديث ولا نعة ☆ ن يتعنن بالهام الظربا (١)

فلما خلا الوليد بأم البنين قال : لله در الثريا ! أتدريين ما أرادت بانشادها ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت لا ، قال فاني لما عرضت لها بمصر عرضت لي بأن أمتي أعراية

وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي وهي أم سليمان ، ولا تعلم امرأة ولدت خليفتين في الاسلام غيرها، وغير الخيزران وهي سبية من خرشنة ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد المهدي ، وشاهسفرم بنت غيروز بن يزددرد بن شهریار بن كسرى ابرويز ، فانها ولدت للوليد بن عبد الملك

يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخولع جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بني أمية فخلعه وولى بعده

عزة كثير

وشبيه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها: أنت عزة كثير؟ قالت أنا أم بكر الضمرية ، قال لها يا عزة هل تروين من شعر كثير شيئاً؟ قالت ما أعرفه ، ولكن سمعت الرواة ينشدون له :
قضى كل ذى ذين فوفى غريمه * وعزة ممحولٌ معنى غريمها
قال : أفتروين قوله

وقد زعمت آبي تبيت بعدها * ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير
تغير حالي والخليفة كالذي * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر
قالت ما سمعت هذا ، ولكن سمعته ينشدون :
كأنى أنادى صخرة حين أعرضت * من الصمّ لو تمشى بها العُصم زلت
غضوباً فما تلقاك إلا بالخيلة * فن ملّ منها ذلك الوصل ملت^(١)

ظرف ابن أبي عتيق

قال وكل ما ذكر ابن أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فأما هو ابن أبي عتيق ، وكان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة جديفة ابن النيرة بن عبد الله بن مخزوم ، يكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد سبية من حضرموت ويقال من حمير ومن ثم أتاه العزل لأنه يقال (عشق يمانى ، ودلّ حجازى)

(١) ليس لكثير أجمل من هذه البائية ، وتجدّها برمتها مضبوطة مشروحة في كتاب « مدامع المشاق » عند الكلام عن بخل الحسان

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي :

إن قلبي بالتل تلَّ عِرَاز * مع ظبي من الظباء الجوازي^(١)
شادت لم ير العراق زوفيه * مع ظرف العراق دَلَّ الحجاز
وقال الطائي وذكر نفسه :

قد شفت منه الحجاز وسهلت * منه العراق ورقته المشرق^(٢)
وهجرت الثريا عمر فقال :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي * أحب القَتُول أخت الرباب
قلت وجدى بها كوجدك بالما * إذا ما فقدت يرد الشراب
أرهقت أم نوفل إذ دعيتها * مهجتي ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل المهابة تهادى * بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحدر منها * في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهراً * عدد الرمل والحصى والتراب
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله :

من رسول الى الثريا فأتى * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
قال ليلى أراد ، وبى هتف ونوّه ، لاجرم لاذقت طعماً أو أشخص إليها ،
وأصلح بينهما . قال مولى لبني تميم فبهض ونهضت معه ثم خرج الى السوق الى
الضمرتين فأتى قوماً من بني الدليل بن بكر يكرهون النجائب ، فقال بهم تكروني
راحتين الى مكة ؟ قالوا بكنا وكنا درهما ، فقلت لبعض التجار استوضعوا شيئاً ،
فقال ابن أبي عتيق : ويحك ان المكاس ليس من أخلاق الناس^(٣) ثم ركب
واحدة وركبت أخرى وأجد السير ، فقلت : ارفق بنفسك ، فقال ويحك ! أبادر حبل
الوصل أن يتقضّا . وما أملك الدنيا اذا تم الوصل بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة

(١) الجوازي هي الظباء التي تجزى بالشب عن الماء

(٢) المشرق خلاف بالين (٣) المكاس : الشدة في الاخذ والمطام

وأتى باب الثريا ، فقالت : والله ما كنت لنا زواراً ، فقال أجل ، ولكن جئت برسالة ، يقول لك ابن عمك : ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب فلامه عمر ، فقال ابن أبي عتيق إنما رأيته مبادراً تلتمس رسولا ، فحققت في حاجتك ، فأما كان ثوابي أن أشكر

كمثل الشيطان

ووصف ابن أبي عتيق لعمراة من قومه ، وذكر جلالاً راثماً ، وعقلاً فاثماً ، فراها عمر فشبه بها ، فغضب ابن أبي عتيق وقال : تشبه بامرأة قومي ؟ فقال عمر :

لا تلعني عتيقُ حسي الذي بي * ان بي يا عتيق ما قد كفاني
ان بي مضراً من الحب قد أب * لي عظامي مكنونه وبراني
* لا تلعني وأنت زينها لي *

فقال ابن أبي عتيق :

* أنت مثل الشيطان للإنسان *

فقال عمر : هكنا ورب الكعبة قلت ا فقال ابن أبي عتيق : ان شيطانك ورب القبر ربما ألم بي !

رملته بنت عبد الله

ووجبت رملته بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات فقال عمر فيها :
أصبح القلب في الجبال رهينا * مُقصدًا يوم فارق الطاعينا
ولقد قلت يوم مكة سرًا * قبل وشك من يينكم يلوينا
أنت أهوى العباد قرباً وبعداً * لو تواتين عاشقا محزوناً
قاده الحين يوم سرنا الى الحج * جهاراً ولم يخف أن يحينا
مفاذاً نجاة تُراعى فجاجاً * ومهًى تُجمل النواظر عينا

فسيبني بمقالة ومجيد * وبوجه يضي لناظرينا
قلت من أنتم فصلت وقالت * أميد سؤالك العالمينا (١)
قلت بالله ذي الجلالة لما * أن تبلى الفؤاد أن تصدقينا
أى من تجمع المواسم أنتم * فأبيني لنا ولا تكذينا
فراأت حرصى الفتاة فقالت * أخبريه بلم ماتكتمينا
تحن من ساكنى العراق وكنا * قبلها فاطنين مكة حينا
قد صدقناك إذ سألت فن أد * مت عسى أن يجر شأن شونا
ونرى أننا عرفناك بالنع * مت ظنونا وما قبلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونمت * قد نراه لناظر مستبيننا

صفقة أبي غبشان

قولها (وكنا قبلها فاطنين مكة حينا) أرادت إذ كانت مكة لخزاعة . وكان
آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبو غبشان فباعه من قصي بزق خمر قليل.
فى المثل (أخسر صفقة من أبى غبشان) وكان أبو غبشان إذ باع المفتاح قصي
مرضا قد يئس من نفسه ، فلما أبلى من مرضه لامة قومه ، وسأله استرجاعه ،
وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش ، فظفر قصي واستولى على مكة ،
وجمع قريشا بها ولذلك سجن مجمعا . قال مطرف الخزاعى
أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهير
وقال الطائي :

ولما نضا ثوب الحياة وأوقعت * به فآيات الدهر ما يتوقع
غدا ليس يدري كيف يصنع معدم * ذرى دمه فى خده كيف يصنع
ولم أنس سعى الجود خلف سريره * بأ كسف باليستقل ويظلم (٢)

(١) . أميد سؤالك العالمين : أى هل أنت مقسمه بددا وقارقى على الناس بحيث
يصفهم جميعا (٢) . يستقل ويظلم : ينهض ويسقط

وتكبيره خمسا عليه معالنا * وان كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري يعلم الله قبلها * بأن الندى في أهله يتشيع
غدوا في زوايا نفسه وكأما * قريش قريش يوم مات مُجمَع
وقال الشاعر في أمر قصى وأبي غبشان :

أبو غبشان أظلم من قصى * وأظلم من بني فهر خِزاعه
فلا تَلَحُّوا قصيا في سِراه * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

حب ابن أبي ربيعة

وكان عمر أسود الثنيتين : قال مولى ابن أبي عتيق بلال : أتيت الثريا مسلما
عليها فقالت أنشدني لعمر فأنشدتها

* أصبح القلب في الحبال رهينا *

فقال الثريا : إني والله لئن سلمت له لأردن من شأوه ، ولأثنين من عنانه ،
ولأعرفته نفسه ! فررت فيها حتى انتهيت الى قوله :

قلت من أنتم فصدت وقالت * أميد سؤالك العالينا

فقال : أوقد أجابته بهذا أى وقت ؟ فلما انتهيت الى قوله

* وترى أننا عرفناك بالنت *

قالت جاءت النوكاء بأخر ما عندها في موقف واحد (١)

وسأله أخوه الحارث وهو المعروف بالقبايع وكان من أفاضل أهل دهره ، أن
يترك الشعر ، ورغب اليه في ذلك ووعظه ، فقال : أمامدمت بمكة فلا أقدر ، ولكني

أخرج الى اليمن . فخرج فلما سار الى هناك لم تدعه نفسه وترك الشعر فقال :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا * اذ أنزلنا بسيف البحر من عدن (٢)

واحتل أهلك أجياداً وليس لنا * الا التذكر أو حظ من الحزن

(١) النوكاء : الحمقاء (٢) سيف البحر ، بكسر السين ، ساحله

بل مانسبت غداة الخيف موقفها * وموقفي وكلانا ثمّ ذو شجن
وقولها للثريا وهى مُطرقة * والدمع منها على الخدين ذوسن^(١)
بالله قولى له فى غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث فى العين
ان كنت حاولت دنيا وظفرت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمن
فلما بلغ الشعر الحارث قال قد علمنا أنه لا ينفى^(٢)

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريح قال : لزمى دين مرة فضاقت ساحتى
وبلادى بي . فتوجهت الى معن بن زائدة باليمن ، فقال ما أقدمك هذه البلدة ؟
قلت دين طردنى عن وطنى ، قال : يقضى دينك ، وترد الى وطنك محبوباً محبوباً
قال فأقمت عنده ، ثم رأيت الناس يرحلون الى الحج فخننت الى مكة وذكرت قول ابن أبي
ربيعة ، وذكر الأبيات ، فأثبت باب معن فقلت للحاجب استأذن لى على الامير ، فلما دخلت
عليه قال إن لك لحادث خبر ! قلت أستودع الله الامير واستحفظه عليه ، قال وما حاج هذا
منك ؟ فقلت رأيت خروج الناس الى الحج وذكرت قول عمر فخننت الى مكة ،
فقال أنت وحنينك ، وإن كنت بفراقك ضنيناً ، وسيتبعك ما تحتاج اليه ، فسر
مصاحباً . قال فسرت الى رحلى فأتبعنى بمال وثياب ومطايا ودواب ، وسرت الى مكة
من فورى .

وكان عمر على غزله وما يذكره فى شعره عفيفاً

حدث النخيرة ابن عبد الرحمن عن أبيه قال دخلت مع أبى مكة فجاء عمر فسلم
عليه وأنا غلام شاب وعلى جبة ، فجعل يأخذ بخصلة من شعرى فتمتد فى يده ثم
يرسلها فترجع ، فيقول واشباباه ! فقال لى يا ابن أخى قد سمعت قولى : قلت لها
وقالت لى . وكل مملوك لى حرّ إن كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال فقامت
وفى نفسى من يمينه شئ . فسألت عن رقيقه فقيل لى : أما فى هذا الحول فسيبعون .

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع الى نقض هذا الرأى فى كتاب « حب ابن
أبى ربيعة وشعره » فى الفصل الذى عنوانه « الجوانب الجدية فى حياة ابن أبى ربيعة »

ويستحسن قول عمر في المساعدة :

وخلّ كنت عين النصح منه * اذا نظرت ومستمعا مطيعا
أطاف بنية فهيت عنها * وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدى فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا
وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصمة الجشمي (١)

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الفد
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد (٢)
فلما عصوني كشت منهم وقد أرى * غوايتهم واننى غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية إن غوت * غويت وإن ترشد غزية أرشد
ومن جيد شعره :

تقولين إني لست أصدقك الهوى * وإني لا أراك حين أغيب
فأبال طرفى عفا عما تساقطت * له أنف من معشر وقلوب
عشية لا يستنكر القوم أن يروا * سيفاه حجى ممن يقال لبديب
ولا فتنة من ناسك أومضت له (٣) * بعين الصبا كسلى القيام لعوب
تروح يروحو أن تحط ذنوبه * فأب وقد زيدت عليه ذنوب
وما للنسك أسلافي ولكن للهوى * على العين منى والفؤاد رقيب

ونظر عمر بن أبى ربيعة الى فقي من قريش يكلم امرأة فى الطواف فعاب
ذلك عليه ، فذكر انها ابنة عمه ، فقال ذلك أشنع لأمرك ، قال إني خطبتها الى
عمى وانه زعم أنه لا يزوجنى حتى أصدقها أربع مائة دينار وأنا غير قادر على ذلك ،

(١) أحد الشعراء الأبطال ، غزا نحو مئة غزوة ولم يخب فى واحد منها ، عمر طويلا
حتى سقط حاجباه على عيذه . أدرك الاسلام ولم يسلم فقتل على دين الجاهلية يوم حنين
(٢) ظنوا ، هنا ، معناها تيقنوا . والمدجج : التام السلاح . والمسرد : المحكم النسيج
وهو صفة للدرع (٣) أومضت له : سارقه النظر

وذكر من حاله وجهه لها . فأتى عمر عمه فكلمه في أمرها فقال انه مملق فزوجه .
وساق عمر عنه المهر ، وكان عمر حين أسن خلف أن لا يقول بيتا إلا أعتق رقبة ،
فانصرف الى منزله يحدث نفسه فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها فقالت إن لك .
نشأنا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأيته * طربت وكنت قد أقصرت حيناً
أراك اليوم قد أحدثت أمراً * وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء * اذا ما شئت فارق القرينا
لمرك هل رأيت لها سمياً * فساقت أم لقيت لها خدينا
قللت شكى الى أخ محب * كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص على ما يلقي بهند * فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقي العاشقين
فكم من خلة أعرضت عنها * لغبر قلبي وكنت بها ضفينا
أردت بعادها فصدت عنها * وان جنّ الفؤاد بها جنونا
ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم .

قال عثمان بن ابراهيم : حججت أنا وأصحاب لنا فلما رجعنا من مكة مررنا
بالمدينة فرأينا عمر بن أبي ربيعة وقد نسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض ::
هل لكم فيه ؟ فلنا اليه وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له .
بعضنا أيسجبك قول الفرزدق

سرت لعينك سلى بعد مغاها * فبتّ مُستلهياً من بعد مسراها
قللت أهلاً وسهلاً من هناك لنا * إن كنت تمألها أو كنت إياها
تأتى الرياح التي من نحو بلدكم * حتى تقول دنت منا برناها
وقد تراخت بهم عنا نوى قذف * هيئات مصيها من بعد مسها (١)

من أجلها آتني أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناعـ قينعاها
 كيما أقول افتراق لا اجتماع له * وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها
 ولو تموت لرأعتني وقلت لها * يا يؤس للدهر ليت الدهر أبقاها
 فلم يهش لذلك ، فقال الآخر أيجيبك قول العذرى :

لوحز بالسيف رأسى فى مودتها * لم يهوى سريعا نحوها راسى
 ولو لي تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت ألى ومأقلى لكم نامى
 أو يقبض الله روحى صار ذكر كمو * روحا أعيش بهما عشت فى الناس
 لولا نسيمٌ لذا كركم يروحنى * لكنت محترقا من حر أنفاسى

فتحرك ثم قال : يا ويحه ! أبعد ما يحز رأسه يميل إليها ؟ ثم أنشأ يحدثنا فقال :
 أتانى خالد الدليل ، فقال : ان هندا وأتراها بموضع كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع
 فقلت كيف الحيلة ؟ فقال تتلم وتكتفل (١) كأنك طالب ضالة ، ففعلت فدفعت
 اليهن ، فقلن يا أعرابى ما تطلب ، فقلت ضالة لى ، فقلن قد كَلِيت يا أعرابى ،
 فلو جلست فأصبت من حديثنا . وأصبنا من حديثك ، ولعلك تروح الى وجود
 خالتك ، فزلت ، فلما امتدَّ الحديث بنا حسرت هند لثامى ، وقالت أتراك
 خدعتنا ؟ نحن والله خدعناك ، وبعثنا اليك خالدا ، رأينا خلاء ومنظراً فأردناك
 ونظرت فى درعى فأعجبني ما رأيت ، فقلت يا أبا الخطاب ؟ قال عمر فقلت لبيك !
 وفى ذلك أقول :

ألم تسأل الاطلاع والمتربما * ببطن حُلَيَّات دوارس بلقما (١)
 الى السرح من وادى النفس بدلت * معاله وبلا وتكبأ زعزعا (٢)

(١) اكتفل : ركب فوق الكفل ، بالكسر ، وهوشى مستدير يتخذ من خرق أو
 غيرها ويوضع على سنام البعير (٢) حُلَيَّات : اسم موضع (٣) النفس : موضع قرب
 مكة فى طريق الطائف . والتكبأه : الريح التى تتكبد عن مهاب الرياح ، ويرج
 زعزع شديدة

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما * نكأن فؤادا كان قد ما موجعا^(١)
 لهند واتراب لهند اذ الهوى * جميع واذ لم نخش أن يتصدعا
 واذ لا نطيع العاذلين ولا نرى * لو اش لبينا يطلب الهجر مطمعا
 واذ نحن مثل الماء كان مزاجه * كما صفق الساقى الرقيق المشعما
 تنوحين حتى عاود القلب خبله * وحتى تذكرت الحبيب المودعا
 فقلت لمطربين بالحسن انما * ضررت فهل تستطيع نغما فتنغما
 وأشريت فاستشرى وقد كان قد صحا * فؤادا بأمثال المها كان مولعا^(٢)
 لئن كان ما حدثت حقا فما أرى * كمثل الالى أطریت في الناس أر بما^(٣)
 فقال تعال انظر قلت وكيف لى * أخاف حديثا أن يشاع فيشنا
 فقال اكتمل ثم التم فأت باغيا * فلم ولا تكثر بأن تتورعا
 فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي * لموعده أبني قلو صا موقعا^(٤)
 فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنا
 تباهن بالعرفان لما رأيتنى * وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا^(٥)
 وقرين أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن أصبعا
 فلما تنازعن الأحاديث قلن لى * أخفت علينا أن نقر ونخدعا
 فبالأمس أرسلنا بذلك خالدا * إليك وبيننا له الأمر أجمعا
 فما جئنا الا على وفق موعدي * على ملا منا خرجنا له معا
 رأينا خلا من عيون ومنظرا * دميث الرئي سهل المحلة ممرعا^(٦)

(١) نكأ الجرح أصابه من جديد (٢) أشرته فاستشرى : محبته فهاج ، وشرى
 الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشرى زيد غضب ولج ، ومثله استشرى ، ومنه
 الشراء للخوارج ، سموا بذلك لان حاجتهم وإيمانهم في الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم
 وباعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٣) الاطراء : المبالغة في التناء
 (٤) الموقع : البئر تكثر عليه آثار الدبر (٥) أكل راحلته وأضعها : أتعبها وأجهدها
 (٦) دميث : سهل والمرع : الخصب

وقلن كريمٌ نال وصل كرائم * فحق له في اليوم أن يتمتا
وقوله : (وجوه زهاها الحسن أن تتقنا) . يقول هذه الوجوه مدلةً بجمالها
فلا تختمر فتستر شيئاً عن الناظرين إليها ، وقد أشار الى هذا المعنى الشَّاح بن
ضِرار^(١) يصف ناقته :

كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعُ مُدْلَةٍ * بُعِيدَ الشَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدِرَا
مِنَ الْبَيْضِ أُعْطَاهَا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ * فِرَاسَ بِنِ غَمٍّ أَوْ لَقِيطَ بِنِ يَعْمرَا
بِهَا شَرَقٌ مِّنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبِرٍ * أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرِّدَاءَ الْحَبْرَا

عائشة بنت طلحة

قال وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها ، فلما دخلت على
مصعب بن الزبير قال لها في ذلك ، فقالت ان الله تعالى وسمي بميسم جمال فأجبت
أن يراه الناس ، والله ما بي وصمة أستتر لها
وقال علي بن العباس الرومي يصف قينة :

لَمْ يَتَّصِمِ عَوْدَهَا بِزَامِرَةٍ * وَلَا انْضَوَى وَجْهَهَا إِلَى السَّتْرِ
وَقَدْ رَدَدَ مَعْنَى قَوْلِهِ لَمْ يَتَّصِمِ عَوْدَهَا بِزَامِرَةٍ فَقَالَ يَصِفُ بَرْعَةَ الْكَبِيرَةِ :
غَنَّتْ فَلَمْ تَحْجُجْ إِلَى زَامِرٍ * هَلْ تَحْجُجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْعِهِ
كَأَنَّمَا غَنَّتْ لَشَمْسِ الضَّحَى * فَأَلْبَسَتْهَا حُسْنَهَا خِلْعَهُ
كَأَنَّمَا رَنَّةٌ مَسْمُوعَهَا * رَقَّةٌ شَكْوَى سَبَقَتْ دَمْعَهُ
تَهْدِي إِلَى قَلْبِكَ مَا يَشْتَهَى * كَأَنَّمَا قَدْ أَطْلَعْتَ طَلْعَهُ
يَجْتَمِعُ الظَّرْفُ مُجَلَّاسَهَا * وَالْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ فِي بُقْعِهِ

(١) هو معقل بن ضرار التوفى سنة ٢٢ كان أرحز الناس على البمية . شهد القادسية
وتوفى في غزوة موقان

- طَفَّلَ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عَنْده * فَبَعْضُ تَطْفِيلِ الْفَتَى رَفْعُهُ (١)
رَبِيعٌ غَيْثٌ فَانْتَجَعَ رَوْضُهُ * فَلَنْ يُعَابَ الْحَرْبُ بِالنَّجْمَةِ (٢)

عمامة ابن الرومي

وكان ابن الرومي لا يزال معتماً وكان يغضب اذا سئل عن ذلك . وسأله بعض الرؤساء لم تَعْمُ ؟ فقال بديها :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ لِأَخْبَرُهُ * عَنِّي لَمْ لَا أَزَالُ مُعْتَجِرًا
أُسْتَرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي * تَعْرِيفُهُ السَّائِلِينَ مَا أُسْتَرَا

وقد بين العلة التي أوجبت اعتمائه في قوله :

تَعَمَّتُ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بُرْهَةً * مِنَ الْقُرَى يَوْمًا وَالْحُرُورَ إِذَا سَفَعَتْ
فَلَمَّا دُمِيَ طَوْلُ التَّعَمُّمِ لِي * وَأَوْدَى بِهَا بَعْدَ الْإِطَالَةِ وَالْفَرَعِ
عَزَمْتُ عَلَى لِبَسِ الْعِمَامَةِ حِيلَةً * لِنَسْتَرِ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ
فِيَالِكَ مِنْ جَانٍ عَلَيَّ جَنَابَةً * جَعَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ جَنَابَتِهِ الْفَرَعِ
وَأَعْجَبَ شَيْءٌ كَانَ دَائِي جَعَلْتُهُ * دَوَائِي عَلَى وَأَعْجَبُ بَأَن تَقَعَ
وَهَذَا كَقَوْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعْنَاهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى كَسَاحِمٍ :
طَرِبْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَّعْتَنِي * طَوَالِغَ شَيْبَتَيْنِ أَلْتَنَا بِي
فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَرَّزَتْ مِنْهَا * إِلَى الْمَقْرَاضِ حَبًّا لِلتَّصَابِي
وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَصَحَتْ عَنْهَا * لِتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ رِخْضَابِي
فَأَعْجَبُ بِاللَّيْلِ عَلَى مَشْيِي * أَقْتُ بِهِ اللَّيْلَ عَلَى شَبَابِي
وَهُوَ الْقَائِلُ فِي صِفَةِ رَجُلٍ أَصْلَحَ

يَجْنُبُ مِنْ قَرْنِهِ طُرَةً * إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِيلِهِ
فَوَجْهَهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ * أَخْذَ نَهَارِ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ

(١) التطفيل : غشيان الولية من غير دعوة (٢) النجمة : الأرتحال في سبيل الكلاء

وقال أعرابي

قد ترك الدهر صفاتي صفعفا * فصار رأسي جبهة إلى القفا^(١)
كأنه قد كان ربعا ففعا

سليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك :

إني أملكك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحبه .
قال هاتيه يا أعرابي ، فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا تأمن غيبته ، ولا
نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيبا ، الناصح جيبا^(٢)

قال فاني سأطلق لساني بما خرسست عنه الألسن ، تأدية لحق الله تعالى ،
إنه قد اكتشفك رجال أساؤا الاختيار لأنفسهم . وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك
بسخط ربهم . وخافوك في الله . ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة . وسلم
للدنيا . فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه . فانهم لم يألوا الامانة تضييعا . والأمة
كسفا وخسفا . وأنت مسئول عما اجترموا . وليسوا مسئولين عما اجترمت . فلا
تصلح دنياهم بفساد آخرتك . فان أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته
بدنيا غيره .

فقال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهوسيفك ، قال : أجل يا أمير
المؤمنين ، لك لا عليك .

وروى العتيبي عن أبيه عن مولى عمرو بن حُرَيْث قال :

شخصت إلى سليمان بن عبد الملك فقيل لي انك ترد على أفصح العرب .

(١) الصفة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

سلامة الطوية

وسيسألك عن المطر فانظر ما تجيبه . فقلت ما عندى من الجواب إلا ما عند العامة . فقيل لى : ما ذلك بمنع عنده . فلقينى أعرابى فقلت : هل لك فى درهمين ؟ فقال إني والله محتاج إليهما ، حريص عليهما . فما شأنك ؟ قلت لو سألك سائل عن هذا المطر ، بم كنت تجيبه ؟ قال أويصيا بهذا أحد ؟ قلت نعم سألك ! قال : أتعياأن . تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها الغدُرُ ، وأنتك فى مثل وجار الضبع . فكتبت الكلام وأعطيته درهمين فكان هججراى . على الراحلة ^(١) فاذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسى كأتى واقف بين يديه وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألنى عن المطر ! فلما انتهيت إليه سألتى فافتصت الكلام فكسر إحدى عينيه ، وقال : إني لأسمع كلاما ما أنت بأبى عذُرته ^(٢) قلت صدقت وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين ! فاستغرب ضحكا ، ثم أحسن صلتى

وصف رجل ماجد

وقال أعرابى يمدح رجلا :

حليم مع التقوى شجاع مع الجدى * نديح لا يندى السحاب سكوب .
ويجلو أمورا لو تضيفن غيره * لالت خفاتا أو لكاد يذوب .
شديد مناظ القلب فى الموقف الذى * به لعلوب العالمين وجيب .
ففى هو من غير التخلق ماجد * ومن غير تأديب الرجال أديب .
وقال بعض المحدثين يمدح :

ففى يحمل المعروف قبل سؤاله * ويحمل دون العذر فضل التكرم .
أغر متى تقصد به فضل حظه * تصب ومتى تطلب به الغم تنعم .

(١) كان هججرا على الراحلة : أى لم يزل يكرره وهو سائر (٢) ليس بأبى عذرتة ليس صاحبه ، والعذر : أو العذرة ، البكارة ، وهو أبو عذر هذا الكلام أى أول من اقتضى بكارته ، يعنى أنه مبدعه

على رأيه ينضم مُنصَدَع الصفا * وينحل من عقد العُرى كل مُبَرَّم
له عزمة أغنى من الجيش في الوغى * وخطرة رام كالحسام المصمَّم

البديع الهمداني^(١)

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني بديع الزمان
وهذا اسم وافق سماه ، ولفظ طابق معناه ، كلامه غض المكاسر ، أنيق
الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفًا ، والهوى يشقه ظرفًا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن
الحسن بن دريد الأزدي^(٢) أغرب بأربعين حديثًا ، وذكر أنه استنبطها من ثنائيع
صدره واستنخبها من معادن فكره ، وأبداهاللابصار والبصائر ، وأهداها للافكار
والضائر ، في معارض عجيبة ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبوع عن قبوله
الطباع ، ولا ترفع له حُجُبها الاسماع ، وتوسع فيها ، إذ صرفَ الفاظها ومعانيها ،
في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة في الكُدَيَّة ، تذوب
ظرفًا وتقطر حسنًا . لا مناسبة بين القامتين لفظًا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ،
ووقف مناقلتها ، بين رجلين ، سمي أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندري ،
وجعلهما يتهاديان اللز ، ويتناقضان السحر ، في معان تضحك الحزين ، وتحرك الرزين
تُتَطَلَّع منها كلُّ طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة . وربما أفرد أحدهما بالحكاية
وخص أحدهما بالرواية . وسأذكر منها ما لا يحل طوله بالشرط العقود . ولا ينافي
حصوله الفرض المقصود^(٣)

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع وأبقاهم أثرًا . كانت وقته سنة ٣٩٨ وسيتحدث
عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن
« لا الحسين كما ورد في الاصل » المتوفى سنة ٣٢١ كان فيما وصفوه أعلم الشعراء وأشعر
العلماء (٣) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبكر فن المقامات وأنه حاكي
ابن دريد في أحاديثه ؛ وقد استطلت هذا النص في كتاب الذي وضعته بالفرنسية عن
النثر في القرن الرابع . وقد دهش المسيو مارسيه لهذه الفكرة وعجب كيف اتفق الناس

كتابه الى أبى نصر الميكالى

كتب الى أبى نصر احمد بن على الميكالى :

كتابى أعز الله الأمير ، وبودى أن أكونه ، فأسعده دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قناه . فرق الله بين الأيام ، تفرقها بين الكرام وألمها أن تورد بعقل ، وتصدر بتميز ، وما ذلك على الله بعزيز ، وأنا فى مفتحة الأمير ، بين ثقة تعد ، ويد ترتعد . ولم لا يكون ذلك ؟ والبحر وان لم أره ، فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد عاين أكثره ، واليئ وان لم ألقه فلم أجهل خلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبعد همه وصيت ؛ فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الاشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكا ، والاذن أكثرها استمساكا ، وإن بعديت الدار فلا ضير : فإن أيسر البعدين ، بعد الدارين ، وخير القرين قرب القلين .

وكتب اليه فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع مناط الهمة ، بيد مثال الحرمة ، فسيح مجال الفضل ، رحيب منحرق الجود ، رطيب مكسر العود
فلو نظمت الثريا * والشريين قريضا
وكامل الأرض ضربا * وشعب رضوى عروضا
وصئت للدر ضدا * واللهوا قريضا

الى اليوم على أن البديع هو منقى فن المقامات . ولكنى من جانب آخر أذكر أنى لم أر مثل هذا الكلام فى غير زهر الآداب ولا أزال أتفلس له مصدرا آخر ولم أعثر على شئ إلى اليوم . ويزيد فى النعشة أن صاحب زهر الآداب يروى المسألة على أنها مقبولة معروفة لم تمس بنقض ولا تكذيب وقد نقلها عنه ياقوت فى معجم الادباء

بل لو جأوت عليه * سود النوائب يضا
أو ادعيت الثريا * لأخصيه خضيفا
والبحر عند لهاه * يوم العطاء مغيضا

لما كنت إلا في فمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعد الحالة
في المدح ، قاصر الآلة عن الشرح ، ولكني أقول : الثناء منجج أتى سلك ،
والسخي جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرة لأنحة ، فلهجة دالة ، وإن لم يكن صداء
فناء ^(١) وإن لم يكن خمر ، فخل ، وإن لم يصبها وابل فطل ، وبذل الموجود غاية
الجود ، وبض الجهد آخر المجهود ، وماش ، خير من لاش ^(٢) ووجود ما قل .
خير من علم ما جل ، وقليل في الجيب ، خير من كثير في النيب . وجهد القل
خير من عذر الخل ، وجمار آيس ، خير من فرس لئس ^(٣) وكوخ في العيان ، خير
من قصر في الوهم . وزيت ، خير من ليت ، وما كان ، أجود من لو كان ، وقد
قيل : عصفور في الكف ، أجود من كركي في الجو . ولأن تقطف ، خير من أن تقف
ومن لم يجد الجليم ، رعى الهشيم ^(٤) ومن لم يحسن صهيلا نهق ، ومن لم يجد ماء تيمم
والامير الرئيس أدام الله نعماءه . لا ينظر في قوافي صنيعته إلى ركاكة ألفاظها
وبعد أغراضها ، ولكن إلى كثرة جذرها ^(٥) ، وتل مهرها ، وقلة كفوها ، وانني
منذ فارقت قصبة جرجان ، ووطئت عتبة خراسان ، ما زفقتها إلا إليه ، ولا وقفها
إلا عليه ، هذا على تمرغى في أعطاف الحن ، وضرورتى إلى أبناء الزمن ، وإن كان
الامير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ، ويفسح لكل شعر فناء طبعه ،
فهاك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى

(١) صداء : ماء يضرب به المثل في الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء

(٢) لاش : لاشي ، ويقابله ماش ، وهي عبارة مولدة

(٣) الآيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المهدوم

(٤) الجليم : الثبت الغزير ، والهشيم اليابس (٥) الجذر ما تكافأ به المعنى

أدهق الكاس فعرّف النجر قد كاد يلوح
 فهو للناس صباح * ولذى الرأى صبح
 والذى يرح بي في * حلبة اللهو جروح
 فاسقنيها والأمانى * لما عرف يفوح
 ان للأيام أسرا * رأبها سوف تبوح
 لا يفترنك جسم * صادق الحس وروح
 انما نحن الى الآجا * ل نفدو ونروح
 ويك هذا العرتبر * ح وهذا الروح ريح
 بينا أنت صبح الج * سم اد أنت طريح
 فاسقنيها مثل ما ي * فظه الديك الذئبيح
 قبل أن يضرب في الع * ربى القدح السنيح
 انما النهر غرور * ولن أصغى نصيح
 ولسان النهر بالوء * ظ لواعيه فصيح
 نستبيح النهر والايا * م منا تستبيح
 نحن لاهون وآجا * ل المنايا لا تريح
 يا غلام الكاس فاليا * س من الناس مريح
 ضاع ما نحيه من * أنفسنا وهو مبيح
 وقفنوا فقام الذل * بالحر قبيح
 أنا يادهر بأبنا * مك شق ووسطيح^(١)
 وبأبكار القوافي * لاعلى كفؤ شحيح
 يابنى ميكال والجو * د ليلاتي مزيج
 شرقاً ان مجال ال * فضل فيكم لتسيح

(١) شق وسطيح : كاهنان يضرب بهما المثل في معرفة النيب

وعلى قدر سنا المذو * ح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار * فع والظرف الطموح
والندى والخلق الط * اهر والخلق الصبيح
مرتقى مجد بحار الطر * ف فيه ويطيح
أى هذا الكرم الما * ثل والخلق السجيج
كان هذا الجود ميتا * عاده منك المسيح

هذه أطال الله بقاء الأمير ، هدية الوقت ، وغفر الساعة ، وفيض البديهة
ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد للفم ، وحجرات الحدة ، وثمرات المدة ، ومجارات الخاطر
للتناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، ومجازبة الجنان للبيان . والشعر اذا لم تتقدمه روية
ولم تنضج نية . لم يفتح له السمع يابه . ولم يرفع له القلب حجابيه . واذا لبس الامير
هذه على علاقتها رجوت أن يكون بعدها مأهو أفن ، وأحسن ، وأرصن ، فأريه
أيده الله في الوقوف عليها موفق ان شاء الله

عتابه للميكالي

وله اليه معاتبه :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءر * لقد سرّنى انى خطرت ببالك
الأمير الفاضل ، الشيخ الرئيس ، أطال الله بقاء ، الى آخر السناء ، في حال
برّه وجفائه متفضل ، وفى يومى إبعاده وإدنائهم متطّل ، وهنيئاً لمن رحانا ما يحلّه ،
ومن عرانا ما يحلّه ، ومن أعراضنا ما يستحلّه ، بلغنى أنه آدم الله عزه استزاد صنيعته
وكنّت لأظنى مجنّياً عليه ، مُساءً إليه ، فاذا أنا فى قرارة الذنب ، ومثارة العتب ،
وليت شعرى أى محظور فى العشرة خضرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته ، أو
واجب فى الزيارة أهملته ، وهل كنت إلا ضيقاً أهناه بلدٌ شاسع ، وأداة أملٌ واسع ،
وحدها فضل وإن قل ، وهدها رأى وإن ضل ، ثم لم يُلقِ إلا فى آل ميكال

رحله ، ولم يصل إلا بهم حبله ، ولم ينظم الا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره ، ثم ما بعدت محبة إلا دنت مهابة ، ولا زادت حرمة الا نقصت صيانة ، ولا تضاعفت منة ، الا تراجمت منزلة ، ولم تزل الضعة بنا حتى صار وابل الإعظام قطرة ، وعاد قميص القيام صدرة ، وذلك التقرب ازوارا ، وطويل السلام اختصارا ، والاهتزاز إيماء ، والعبارة إشارة ، وحين عابته أمل إعتابه ، وكاتبته أنتظر جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت ، وأعتب بالقنوت ، فما ازددت الا لهولاء ، وعلية ثناء ، لا جرم أتى اليوم أبيض وجه العهد ، واضح محبة الود ، طويل عنان القول ، رفيع حكمة العذر ، وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافي عنه القلم ، والامير الرئيس أطال الله بقاءه ينعم بالاصفاء لما يورده موقعا ان شاء الله

(وله اليه في هذا الباب) أنا في خدمة الأمير الرئيس ، أطال الله بقاءه ، مترجج بين أن أشربها رقة ولا أسيفها ، وأجلج منها مضغة ولا أجيها ، وبين أن أطويها على غرّها ، ولا أرتضع أخلاف درّها

فلا تسي تطاوعني لرفض * ولا ممي توطني لخفيض

وبقي أن أقرصه بأنامل العتب ، وأجشبه بالحافظ العذل ، وأعرفه اني ما أطوي. مسافة مزار الامتجسا ، ولا أطأ عتبة دار الامتبرما ، ولست كمن يسط يده مستجليا أو ينقل قدمه مستعليا ، فان كان الأمير الرئيس أيده الله يسرح طرفه مني في طامع أو طامع ، فليعد للقراءة نظرا

فما الفقر من أرض العشيرة ساقنا * اليك ولكننا بقرباك نتجح
وأجلدني كما استغزني الشوق الى تلك المحاسن ، أطيروا إليها بجناحين عجلا وأرجع بمرجاوين خجلا ، ولولا أن الرضى بذلك ضرب من سقوط الهمة ، وأن العتاب نوع من أنواع الخلعة ، لصنت مجلسه عن قلبي ، كما أصونه عن قدمي. ولملت إلى أرض الدماء فهو أجمع ، وإلى جانب الثناء فهو أوسع ، وسأعمل لتخف مؤنتي ، ولا تثقل وطآتي

إذا ما عتبت فلم تُعْتَب * وهنت عليك فلم تُعْنَبِي^(١)
 سلوت فلو كنت ماء الحياة * لِعَفَت الورد ولم أشرب

أبيات مختارة

قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معانيه شتى
 مجرى مجرى الأمثال

— أبو فراس الحمداني :

إذا كان غير الله للمرء عُدَّة * أُنْتَه الرزايا من وجوه المكاسد

— وله :

عفاك عني أعماء عفة الفقى * إذا عف عن لذاته وهو قادر

— وقال المتنبي :

كلُّ حلم آتى بغير اقتدار * حجةٌ لاجيء إليها اللئام

— وله :

وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مُرادها الأجسام

— وله :

وإذا أُنْتُك مذموم من ناقص * فهي الشهادة لي بآتي كمال

— وله :

لا يُعْجِبُ مَضِيًّا حسن بزمته * وهل تروق دفيناً جودة الكفن

— وله :

من أطلق التماس شيءٍ غلاباً * واغتصاباً لم يلتصمه سؤالا

— وله :

والظلم من شيم النفوس فإن تعبد * ذا عفةٍ فَلَعَلَّةٌ لا يظلم

(١) أعتبه : أزال عتبه

— وله :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه * انى بما أنا بالك منه محسود

— وله :

ذكر القى عمره الثانى، وحاجته * ما فاته، وفضل العيش أشغال
والمتنبى أكثر المحذرين افتتانا وإحسانا فى الاغراب بهذا الباب، والاستقصاء
يخرج عن شرط الكتاب

— وقال السرى الموصلى :

خذا من العيش فالأعمار فائتة * والدهر منصرم والعيش منقرض

— وله :

فانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض
— وقال أبو اسحق الصابى :

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما * وليس يرجى التقاء اللب والذهب
— وقال ابن نباتة :

مثل خلعت على الزمان رداءه * عوز الدرام آفة الاجواد
— وله :

يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان
— وقال أبو الحسن السلامى :

تبسطنا على الذات لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب
— وقال ابن لنكك البصرى :

وماذا أرحى من حياة تكدرت * ولو قد صفت كانت كأحلام نائم
— وقال أبو طالب المأمونى :

لى فى ضمير الهرسرة كمن * لا بد أن تستله الاقدار
وقال أبو الفضل بن العميد :

الرأى يصدأ كالحسام لعارضى * يطرا عليه وصقله التذكير

— وقال أبو الفتح:

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى * وتقويم عبد المون بالهون رادع
— وله:

إذا بلغ المرء آملهُ * فليس له بعدها مقترح

— وقال صاحب اسماعيل بن عباد:

إن أم العقر في الود * لَمَقَلاتٌ زور

— وله:

من لم يعدنا إذا مرضنا ■ إن مات لم نشهد الجنائزة

— وله:

حفظ اللسان راحة الانسان * فاحفظه حفظ الشكر للاحسان

— وقال اسماعيل الناش:

وكنت أرى أن التجارب عدّة * فخانَت مُتات الناس حتى التجارب

— وقال أبو الفتح البستي:

لا ترجُ شيئاً خالصاً منه * فالتبث لا يخلو من العيث
— وله:

ولم أر مثل الشكر جنة غارس * ولا مثل حسن الصبر جبة لابس
— وله:

وطول مقام الماء في مستقره * يغيره ريحاً ولوناً ومطما
— وله:

ما استقامت قناة رأيي إلا * بعد ما عوّج الشيب قناتي
— وقال أبو الفضل الميكالي:

هو الشوك لا يبطيك وافر منّة * يد البهر إلا حين تصر به جلدًا
— وله:

ذوالفضل لا يسلم من قدح * وإن غدا أقوم من قدح

— وقال شمس الممالى :

وفى السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر
هذا مأخوذ من قول الطائي :

إن الرياح اذا ما استعصفت قصفت * عيدات نجد فلم يعبان بالرم (١)
بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منها الدهر فى الرقم
— وقال أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضى :

المجر أروح من وصل على حذر * والموت أطيب من عيش على غرر
— وقال أبو بكر الخوارزمى :

لا تترك هذه الاوجه الفر * فيارب حية فى رياض

أبو العيناء

قال أبو العيناء: كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى ولايته الوزارة ، فلما
صُرف رهبنى ، فلقينى فسلم على فأخفى . فقلت لتلامي من هذا ؟ قال أبو موسى .
فدنوت منه وقلت :

أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمانك دون يانك ، وبلحظك . دون .
لفظك . فالحمد لله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأت فيك النعمة .
فلقد أصابت فيك النعمة . ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك . لقد .
أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . والله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك . ونزهتنا
عن قول الزور فيك . فقد والله أسأت حمل النعم . وما شكرت حق المنم
فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب . فما كان الذنب ؟ قال سألته حاجة
أقل من قيمته . فردنى عنها بأقبح من خلقته

بين أبي الصقر وابن الرومي

وقال على بن العباس الرومي لأبي الصقر اسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيناء :

لا زال يومك عبدةً لفتك * وبكت بشجو عين ذى حسدك
فلئن نكبت لطلما نكبت * بك همه لجأت الى سندك
لو تسجد الايام ما سجدت * إلا ليوم فت في عضدك
يا نعمة ولت غزارتها * ما كان أقبح حسنها يديك
فلقد غدت برداً على كبدى * لما غدت حرّاً على كبديك
ورأيت نعى الله زائدة * لما استبان النقص في عددك
ولقد تمت كل صاعقة * لو أنها صُبت على كتفك (١)
لم يبق لى مما يرى جسدى * إلا بقاء الروح في جسدك
وله فيه أهاج كثيرة لما نكب منها قوله :

خفّض أبا الصقر فكم طائر * خرّ سريعاً بعد تخليق
زوّجت نعى لم تكن كفأها * فصانها الله بتطليق
لا قدّست نعى تسربلتها * كم حجة فيها لزندق (٢)

وكان أبو الصقر لما ولى الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته التونية الى أولاده
أجنينك الورد أغصان وكتبان * فيهن نوعان : قراح ورماني
وفوق ذينك أعنان مهلهة * سود لمن من الظلماء ألوان
وتحت هاتيك عنان تلوح به * أطرافهن قلوب القوم قنوان

(١) الكند : مجتمع الكنفين (٢) يريد أن التعم التي تسربلتها هذا الرجل وليس لها بأهل ، قوت حجة الزنادقة في جحود الآله ، لانه لو كان هناك عدالة إلهية لجيل بين اللثام وبين جميع الطيات

غصون بانٍ عليها الدهرَ فأكهة * وما الفواكه مما يحمل البانُ
 ورجس يات سارى الطل يضربه * وأفحوان منير اللون ريانُ
 ألفن من كل شيء طيب حسن * فهنَّ فأكهة شتى وريحانُ
 ثمار صدق اذا عاينت ظاهرها * لكنها حين تبلو الطعم خطبان^(١)
 ولا يدُمنَ على عهدٍ لمعتدي * والغانيات كما شبن بستان
 يعيل طوراً بحمل ثم يُعلمه * ويكنسى ثم يُلقى وهو عُريانُ
 وهى أكثر من ماتى بيت مرَّ له فيها احسان كثير، فأتشدّها أبا الصقر
 فلما سمع قوله:

قالوا أبو الصقر من شييان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شييانُ
 قال هجائى، قيل له إن هذا من أحسن المدح ألا تسمع ما بعده:
 وكم أب قد علا بان دُرى شرفي * كما علت برسول الله عدنانُ
 قال أنا بشيان لا شييان بى قليل له فقد قال:
 ولم أقصر بشيان التى بلغت * بها المبالغ أعراقُ وأغصانُ
 لله شييان قوم لا يشوبهم * روع اذا الروع شابت منه ولدان
 — قال لا والله لا أثيبه على هذا الشعر، وقد هجائى.

— قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى: كنت يوماً عند عبيد الله بن عبد الله بن
 طاهر، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية فقال: هذه دار البطيخ فافروا
 تشبهاتها تعلموا ذلك افضحك جميع من حضر
 وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسيب:

ياربَّ حُسانه منهن قد فعلت * سوءاً وقد فعل الأسواء إحسانُ
 تُشكى الحب وتُلقى الدهر شاكية * كالقوس تُصمى الرمايا وهى مرنان^(٢)

(١) الخطبان: نبات مر، يضرب به المثل فيقال: أمر من نقيع الخطبان. وهو يضم
 الحاء المحجمة (٢) تشكى الحب: تحمله بظلمها على الشاكية — والرمايا جمع رمية،
 بمعنى مرمية، وتسمى تقتل وتبيد

— وهذا كقوله في قصيدة يصف فيها قوس البندق :

لها رنةٌ أولى بها من تصبیه * وأجدر بالإعوال من كان مُوجعاً
— يقول فيها :

لا تلصقاني وإياها على ضَرعى * وزهوها لجّ مفتونٌ وقتانُ
إني مُلكت في لرق مسكنة * ومُلكت فلها بالملك طُغيان
لى مذنأت وجنة رياء بمشربها * من عبّرتي وفمّ ما عشت ظانُ
— وفيها في مدح بني شيبان

قومٌ سماحتهم غيثٌ ونجدتهم * غوثٌ وآراؤهم في الخطب شهيدان
تلقاهمُ ورماح الخطّ حولهم * كالأسد ألبسها الآجام خفان^(١)
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتدلوا * منهم في سُبُل العلياء ما صانوا
المنعمون وما منوا على أحدٍ * يوما يُنعمي ولو منوا لما نوا^(٢)
— يقول فيها في أبي الصقر :

يفديه من فيه عن مقدار فديته * عن المفاداة تقصير وتقصان
قومٌ كأنهم موتى إذا مدحوا * وما لهم من حبير الشعر أ كفان
صاحي الطباع إذا سالت هواجسه * وإن سألت يديه فهو نشوان
يصحّيه ذهنٌ ويأبى صحوة كرم * مستحکم فهو صاح وهو سكران
فردٌ جميعٌ يراه كل ذي بصير * كأنه الناس طرّاً وهو إنسان
— وهذا كقول أبي الطيب :

ولقيت كل الفاضلين كأنما * ردّ الآله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّما * وآتى فذلك إذ أتيت مؤخرا
وقد قلم .

(١) خفان، بفتح الخاء المعجمة ، أجرة في سواد الكوفة (٢) مان : كذب .
والاسم المين ، بالفتح

— وقال :

فان يك سيارُ بن مكرمٍ اتقضى * فانك ماء الورد إن ذهب الوردُ
مضى وبنوه وانفردتَ بفضلهم * وألف اذا ما جُمعت واحد فردُ

— وقال البحتري :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتًا * لدى المجد حتى عدَّ ألف بواحدٍ
— ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أتجحت ، فمن ذلك قوله في قصيدة
طويلة بمدحه

في وجهه روضة للحسن موشةٌ ☆ ماراد في مثلها طرفٌ ولا سرحا^(١)
طلُ الحياء عايها ساقطٌ أبدًا ☆ كاللؤلؤ الرطب لو رقرقته سفحا
أنا الزعيم لمكحولٍ بفرته ☆ أن لا يرى بعدها يؤسًا ولا ترحا
مهما أتى الناس من طول ومن كرم ☆ فانما دخلوا الباب الذي فتحا
يعطى المزاح ويعطى المجد حقهما ☆ فاللوت إن جده والمعروف إن مزحا
وافى عطارده والريح مولده ☆ فأعطياه من الحظين ما اقترحا
ان قال لا قلها للأمر به بها ☆ ولم يقلها لمن يستمنح المنحا
في كفه قلم ناهيك من قلم ☆ نبلا وناهيك من كف بما اتشحا
يمحو ويثبت أرزاق العباد به ☆ فما المقادير إلا ما يحا ووحى^(٢)
كأنما القلم العلوى في يده ☆ يحريه في أى أنحاء البلادنحا
لما تبسم عنك المجد قلت له ☆ قهقه فلا نفلًا تبدى ولا قلحًا^(٣)
أتنى عليك بنعائك الى عظمت ☆ وقد وجلت بهانى القول منفسحا
أمطر بذاك جناني تكسه زهرا ☆ أنت الحيا برياه إذا نقحا
أنشدتها على توالى الاختيار، وكذلك أجرى في كثير من الاشعار

(١) راد وارناده معناها واحد (٢) وحى : كتب ، قال رؤبة ولقد ركان وحاه الواحى

(٣) التعل والقلع : فساد الاسنان

وقال يمانية ويستبطه :

عقيد الندى أطلق مدائح جمة * حبائس حسرى قدأبت أن تسرحا
وكنت متى تشد مديحا ظلمته * يرى لك أهجى ما يرى لك أمدحا
عذرتك لو كانت سماء تقشعت * سحائبها أو كان روض تصوحا
ولكنها سقيا حرمت رؤيها * وعارضها ملق كلال كل جنح^(١)
وأكله معروف حرمت مريمها * وقد عاد منها السهل والحزن مشرحا
عرضت لا ورادى وبحرك زاحر * فلما أردن الورد ألقين ضحضا
فلو لم ترد أوراد غيرى غماره * لقلت سراب^٢ بالمتان توضحا
فيا لك بجرأ لم أجد فيه مشربا * وإن كان غيرى واجدا فيه مسبحا
مديحي عصا موسى وذلك أننى * ضربت به بجر الندى فتضحضا
سأمدح بعض الباخلين لعله * إذا طرد المقياس أن يتسمحا
فيا ليت شعرى إن ضربت به الصفا * أبيعث لى منه جداول سيحا
كتلك التى أبدت ترى الأرض يابسا * وشقت عيوننا فى الحجارة سفحا
ملككت فأصبح يا أبا الصقر انه * إذا ملك الأحرار مثلك أسجحا
وماضى إلى أحد هذه الضراعة ، ولا فى طوقه هذا الاحتمال ، وهذه الأبيات
الأخيرة إنما ولد أكثرها من قول أبى تمام الطائى لحمد بن عبد الملك الزيات
فلوحار دت شول^٣ عذرت لقاحها * ولكن حرمت الدّر والضرع حافل
أكبرنا عطفًا علينا فانا * بنا ظلمنا برح^٤ وأنتم مناهل^٥
— وفيه يقول :

هذا مقامى يابنى وائل * من مستجير بكم عائد
أنشب فيه النهر أظفاره * ونعه بالناب والتاجد

(١) الكلال كل : الصدور ، وجنح : جمع جناح ، وهو المائل

فأنصفوا منه أبا حُرْمَةٍ * لاذبكم منه مع اللانذر
فأرى البحر على جورِهِ * يخرج من حكمكم النافذ
— وقال أيضاً :

يا أيها السيد الذي وهنت * أنصار أموالهِ ولم يهين
فأصبحت في يد الضيف وذى الـ * قوة والباقي والسن
غيرى على اننى مؤمك الأة * لم سائلٌ بذاك وامتن
مادح عشرين حجة كُملًا * محرومها عنك غير مضطغن
فضلك أو عدلك الذى ائتمن الله * عليه أجل مؤتمن
إن كنت فى الشعر ناقداً فطنا * فلتعطني حق حصّة الفطن
وان أكن فيه ساقطاً زَمناً * فلتعطني حق حصّة الزمن
سُمّ فى ديوانك الذى عدلت * جدواه بين الصحيح والضمين^(١)
كثير بشخصى من استطعت من النا * س فان لم أزنك لم أشن
ماحق من لان صدره لك بالود * لقاء بجانب خشن
— وقال أبو العباس الرومى لرجل مدحه فى كلمة :

أبعد لقاى دونك كل قَرَرٍ * يدقُ الشخص فيه أن يُلَاقى
وإعمالى اليك به المطايا * وقد ضرب الظلام له رواقا
ورفضى النوم إلا أن ترانى ■ أعانق واسط الكور اعتناقا
تسوق بنا الحداة فليس ندوى ■ أشوقا كان ذلك أم سيقا
أصادف دَرّة المعروف شكرى * لديك ولا أخوق لها ذواقا^(٢)
— يقول فيها :

غداً يعلو الجياد وكان يعلو * اذا ما استفره السبب الرقاقا^(٣)

(١) الضمن ، على وزن كفف ، المرض (٢) شكرى ، على وزن سكرى ، ملائمة

(٣) استفره : طلب الفاره القوى من الحبل ، والسبب بكسر السين المهملة جلود

البقر : يريد أنه كان يركب الحبل من الدواب

أَعْنَتَهَا الشُّسُوعُ فَإِنْ عَرَاهَا * حَفَاءَ الْكَدِّ أَنْفَلَهَا طَرَاقًا
فَرُؤُوجٌ بَعْدَ فَقْرٍ مِنْهُ نَعْمَى * أَرَانِي اللَّهَ صُبَّحَتَهَا الطَّلَاقَا

عود الى أبي العيناء

قال أبو القاسم علي بن حمزة بن شمردل حدثني أبي قال : سألت أبا العيناء عن نسبه فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومي من بني حنيفة من أهل البصرة ، ولحقهم سباء في أيام المنصور ، فلما صار ياسر في قيده أعتقه ، فولأونا لبني هاشم

وكان أبو العيناء ضريح البصر ، ويقال ان جده الاكبر لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأساء مخاطبته ، فدعا عليه وعلى ولده بالمعنى ، فكل من عصى منهم صحيح النسب !

قال الصولي : حدثني أبو العيناء قال : لما أُدخِلت على المتوكل فدعوت له وكلمته استحسنت كلامي وقال لي : إن فيك شرًّا ! فقلت يا أمير المؤمنين ، ان يكن الشر ذكر المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، فقد زكَّى الله تعالى وذم ، فقال في التزكية (ضم العبد انه أواب) وقال في النسم (همَّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله * ولم أذم الجيس اللئيم المذمماً^(١)
فقيم عرفت الخير والشر باسمه * وشقَّ لي الله المسامع والنما
وان كان الشر كفعل القرب التي تلسع السنَى والدنيَّ بطبع لا بتمييز فقد
صان الله عبدك عن ذلك !

فقال لي بلغني انك رافضي ، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً

(١) الجيس : هو الدنيء الحيان ، ويجمع على أجاس ، قال
ماض إذا الاجياس بعد الكرى تساحت أزواج أحلامها

وبلدى البصرة ، ومنشئ في مسجد جامعها ، وأستاذى الأصمعى ، وليس يخلو
التقوم أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ، فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس
على تقديم من أخروا ، وتأخير من قدموا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وأباؤك
أمرأ المؤمنين ، لادين إلا بك ، ولادنيا إلا معك . قال كيف ترى دارى هذه ؟
قال قلت رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك . فقال
لى ما تقول فى عبيدالله بن يحيى ؟ قلت نعم العبد لله ولك مقسم بين طاعته وخدمته ،
يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة . قال فما تقول
فى صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ، وكان قد علم أنى واجد عليه لتقصير وقع منه
فى أمرى ، فقلت يا أمير المؤمنين يد تشرق واست تضرط ! وهو مثل اليهودى
سرق نصف جزيته ، فله إقدام بما أدبى ، وإحجام بما أنبى ، إساءة طبيعة ، وإحسانه
تكلف .

قال قد أردت لك المجالسى ، قلت لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلا بما لى فى
هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محجوب ، والمحجوب يختلف عليه الإشارة ،
وينفى عليه الأيما ، ويموز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض أو بكلام راض
ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت . قال صدقت ، ولكن
تأزمنا ، قلت لزوم الفرض الواجب اللازم . فوصلنى بعشرة آلاف درهم

أحاديثه مع المتوكل

ولأبى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها فى بعض وسأورد
مستطرفها إن شاء الله

— قال له المتوكل يوما: يا أبا العيناء لا تكثر الوقعة فى الناس ، قال إن لى فى
بصرى لشغلا عن الوقعة فيهم . قال ذلك أشد لحيفك فى أهل العافية !
— وقال له يوما هل رأيت طاليبا حسن الوجه قط ؟ فقال يا أمير المؤمنين رأيت

أحدا قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل تجده كان مؤاجراً وتجدك كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أتراني أدع موالىً على كثيرهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال أسكت يامأبون ؟ قال مولى القوم منهم ! قال المتوكل أردت أن أشتقى به منهم فاشتقى لهم منى !

— وكان أبو العيناء أحدَّ الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً وأبلغهم خطاباً

— والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بني العباس الانهماك على شهوته ، وكان أصحابه يستخفون ويسفون بحضرته ، وكان يهاتر الجلساء ، ويقاخر الرؤساء ، وهو مع ذلك من قلوب الناس محبَّب ، واليهم مقرب : إذ أمات ما أحياء الوائق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجلبال

رسائل أبي العيناء

قال محمد بن مكرم الكاتب :

من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي العيناء إذا أحسَّ بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم . كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكانه من عقار وأثاث وعبد وأمة ، وقد أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون ديناراً

« قد علمت أصلحك الله أن الكريم التكبُّب أجرى على الأحرار من اللثيم الموفور ، لأن اللثيم يزيد مع النعمة لثوماً ، والكريم لا يزيد مع الحنة إلا كرمًا ، هذا متكل على رازقه ، وهذا يسيء الظن بخالقه ، وعبدك إلى ملك « كافر » فقير ، وثمنه على ما اتصل بي يسير ، لأنه بخدمته السلطان ، يعرفني

الرؤساء والاخوان ، ولست بواجد ذلك في غيره من الغلمان ، فان سمحت به فتلك عادتك ، وان أمرت بأخذ ثمنه فثالك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك

فأمر له به

— وسمع ابن مكرم يقول : من ذهب بصره قلت حيلته . قال ما أغفلك عن أبي العيناء ! وكتب أبو العيناء الى عبيد الله بن سليمان :

— أنا أعزك الله تعالى وولدي وعيالي زرع من زرعك ، إن سقيته راع وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى ، وقد مسنى منك جفاء بعد ير ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم علوي ، وشمت حاسد ، ولعبت بي ظنون رجال كنت بهم لاعبا ، ولم حجرا ، والله در أبي الاسود في قوله :

لا تهني بعد إذا كرمتنى * فشديد عاده متزعة

فوقع في رقته :

— أنا ، أسعدك الله ، على الحال التي عهدت ، وميلي اليك كما علمت ، وليس من أنساناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حقا علينا أن نذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ، وقد وقعت لك برزق شهرين ، لتريح غلتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لأطلق لك باقي أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام

— وكان اذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعوذ بك من الركب والركب والآجر والخشب ، والروايا والقرب

نواذره وفكاهاته

قطعة من خطابه ومجوابه :

— دخل على أبي الصقر بعد ما تأخر عنه فقال : ما أخرك عنا ؟ قال سرق حماري : قال وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال فلم لم تأتنا على غيره ؟

قال قعد بن عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذلة المكارى ، ومنة العوارى
— وزحه رجل بالجنس على حمارة ف ضرب بيديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى
قل للحمار الذى فوقك يقول : الطريق !

— ودخل على ابراهيم بن المدير وعنده الفضل ابن اليزيدى وهو يلقي على ابنه
مسائل من النحو . فقال فى أى باب هذا ؟ قال فى باب الفاعل والمفعول به . قال هذا
بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ، وكان البحترى حاضراً
فكتب بعد ذلك بقصيدته الى ابراهيم بن المدير التى أولها

ذكرتنيك روحة للشمول * أوقدت لوعتى وهاجت غليلي
أى شئ أهلك عن سر من را * وظل للعيش فيها ظليل (١)
وفى يقول :

أقتصاراً على أحاديث فضل * وهو مستكره كثير الفضول
فعلام اصطفت منكسف البأ * ل معاد المحرق نزر القبول
ان تزده تجده أخلق من شيبب التواني ومن بقى الطاول
مسرَجاً ملجماً وما متع الصب—ح ادلاجاً للشخذ والتطفيل (٢)
غير أن المعلمين على حا * ل قليلو التميز ضغنى العقول
فاذا ما تذاكر الناس معنى * من متين الاشعار والمجهول
قال هذا لنا ونحن كشفنا * غيبه للسؤال والمسؤل
ضرب الأصمى فيهم أم الاحمر * ر أم ألقوا بأير الخليل (٣)
جل ما عنده التردد فى الفا * هل من والديه والمفعول

— وهزى بعض الأمراء فقال : أيها الأمير اكن العزاء لك لباك ، والعناء لنا
لالاك ، وإذا كنت البقية ، فالرزية عطية ، والتعزية تهنية

(١) سر من راه : هى مدينة سر من رأى (٢) منع الصبح : ظهر ، والشخذ
والتطفيل : التسول والسؤال (٣) الاحمر : هو خلف الاحمر

— وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال : لو كان في زمن بني اسرائيل ونزل ذبح البقرة ما دُحَّح غيره ! قيل : فأخوه عمر ؟ قال كسر اب ببيعة يحسبه الظآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

— وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شراب شربه عنده . فقال المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء : ما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال ما قال الله تعالى : فوكزه موسى فقضى عليه ! فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبيد الله بن يحيى ابن خاقان فقال : أيها الوزير أردت قتلى فلم تجد إلى ذلك سبيلا إلا بأدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لى ، فعاتب عبيد الله أبا العيناء في ذلك فقال والله ما استعذبت الواقعة فيه حتى دحمت سريره لك . فأمسك عنه . ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال : في أحوال مختلفة خيرهه رؤيتك ، وشرها غيبتك . فقال قد والله اشتقتك ! قال إنما يشتاق العبد ، لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فحقى أراد عبده دعاه .

— وقال له المتوكل : من أسخى من رأيت ؟ قال ابن أبي دواد . قال المتوكل تأتى إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع من المواضع أوفق منه في مجلسك ، وإن الناس يفلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب إلى المأمون ، وجود بن أبي دواد منسوب إلى المعتصم ، فإذا نسب الناس الفتح وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين . قال صدقت . فمن أبخل من رأيت ؟ قال موسى بن عبد الملك . قال : وما رأيت من أبخل ؟ قال رأيت يخنم القريب كما يخنم البعيد ، ويستنذر من الإحسان كما يستنذر من الإساءة . فقال له : قد وقعت فيه عندي مرتين وما أحب لك ذلك فالفه واعتذر اليه ، ولا يعلم أتى وجهه بك . قال يا أمير المؤمنين ، من يستكتمنى بحضرة ألف ؟ قال لن تخاف ، قال على الاحتراس من الخوف . فصار إلى موسى فاعتذر كل واحد منهما إلى

صاحبه ، واقتراعن صلح . فلقية بعد ذلك بالجفري فقال : يا أباعبد الله قد اصطلحنا فمالك لا تأتينا ؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ فقال موسى ما أرانا إلا كما كنا !

— وقال له المتوكل : ابراهيم بن نوح النصراني واجدٌ عليك ، قال : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم !
— قال ان جماعة من الكتاب يلومونك ، فقال :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضباناً على لثامها
قال المتوكل له : أكان أبوك فى البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين أبى لراى عبداً له لا يرضانى عبداً له

— وقيل لأبى العيناء : ان المتوكل قال لولا انه ضرير البصر لنادمته ، فقال : ان أعفانى من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة
— ولقيه رجل من اخوانه فى السّحر ، فجعل يعجب من بكوره ، فقال أراك تشاركى فى الفعل وتفردى بالتمعجب !

— ووقف به رجل من العامة فأحس به فقال : من هذا ؟ قال : رجل من بنى آدم .
قال مرحباً بك ، أطال الله بقاءك ، وبقيت فى الدنيا ، ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع !

— ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : اقرب منى يا أبا عبد الله ، فقال أعز الله الوزير ، قريب الأولياء ، وحرمان الأعداء ، قال تقرّيبك غم ، وحرمانك ظلم ، وأنا ناظر فى أمرك نظراً يصلح من حالك ، ان شاء الله
— وقال له يوماً : اعترفى فاق مشغول . فقال له : إذا فرغت من شغلك لم نحتاج اليك ، وأنشد

فلا تعتذر بالشغل عنا فإنا * تُنابطك الآمال ما اتصل الشغل
ثم قال : ياسيدى قد عذرتك ، فانه لا يصلح لشكرك ، من لا يصلح لعذرك .

— وأقبل اليه يوماً فقال : من أين يا أبا عبد الله ؟ قال : من مطارح الجفاء !
 — وقال له مرة : نحن في العطلة مرحومون ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة
 كل نفس بما كسبت رهينة
 — وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد فقيل هو مشغول يصلى ، قال : لكل جديد
 لذة ! وكان صاعد نصرانياً قبل الوزارة
 — ودخل إلى عبيد الله بن سليمان فشكا إليه حاله فقال : أليس قد كتبنا لك إلى
 إبراهيم بن المدير فقال : كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، ودل
 الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخففته في طلبتي ! قال أنت اخترته ؟ قال وما عليّ أعز
 الله الوزير في ذلك ، قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً ، فما كان منهم رشيد ،
 واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً ، فرجع إلى المشركين مرتداً ،
 واختار على ابن أبي طالب أبا موسى حاكماً له فحكم عليه !

إبراهيم بن المدير

وكان إبراهيم بن المدير أسره صاحب الزنج بالبصرة وجبسه ، فاحتال حتى هرب
 السجن وهرب ، فلذلك ذكر أبو العيناء ذل الأسر ، وكان قد ضرب في وجهه ضربة
 بقي أثرها إلى أن مات .
 — ولذلك قال البحترى :

ومدينة شهر المنازل وسماها * واخيل تكبو في العجاج الكابي
 كانت بوجهك دون عرضك اذ رأوا * أن الوجوه تصان بالاحساب
 ولئن أسرت فما الإسماع على امرئ * نصر الإسماع على الفرار صاب^(١)
 نام المضلل في سراك ولم تحف * عين الرقيب وقسوة البواب
 فركبتها هولا متى تخبر بها * يقل الجبان أتيت غير صواب
 ماراعهم إلا استراقك مصلتنا * في مثل بُرد الأرقم المنساب^(٢)

(١) العاب : العيب (٢) المصلت : السيف ، والارقم : الحية

تحمي أُغَيْلِمَةً وطائشة الخطى * تصل الثقلب خشيّة الطلاب
قد كان يوم ندى بطولك باهراً * حتى أضفت إليه يوم ضراب^(١)
ذكر من البأس استعذت إلى الذي * أعطيت في الاخلاق والآداب
ووحيدة أنت افردت بفضلها * لولاك ما كتبت على الكتاب

صاحب الزنج

قال أبو بكر الصولي حدثني محمد بن أبي الازهر وقد ذاكرته خبر علي صاحب
الزنج قال: ادعى أنه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فنظرت مولده ومولد محمد بن أحمد الذي
ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين . وكان ل محمد بن أحمد ولد اسمه علي مات بعد
هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه علي بن محمد
ابن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن علي . قال أبو عبدة
محمد بن علي بن حمزة ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره لانه قتل بن
ثمانى عشرة سنة ولا ولد له . قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب:
هو ابن عم أبي لحا علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ورحيب رجل من
العجم من أهل ورتين من ضياع الرى وهو القائل لبي العباس

بنى عمنا إنا وأنتم أنامل * تضمنها من راحتها عقودها
بنى عمنا وليتم الترك أمرنا * ونحن قديماً أصلها وعمودها
فما بال عجم الترك تقسم فيتنا * ونحن لديها في البلاد شهودها
فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق * فبلغة عيش أو يباد عميدها^(٢)

— وقال أيضا :

لطف نفسى على قصور يبقدا * د وما قد حوته من كل عاص

(١) الضراب : الطمان (٢) البلغة : ما يبلغ به

وخمر هناك تشرب جهراً * ورجال على المعاصي حِراس
لست بأبن القواطم الزهر إن لم * أقحم الخيل بين تلك العراض
وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نجم
إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف

ملح أبي العيناء

— وذكر أبو العيناء رجلاً فقال : ضحكك كالبكاء ، وتودد كالغراء ، ونوادر
كنذب الموتى !
— وكان يهاثر بن مكرم كثيراً : كتب إليه ابن مكرم يوماً : (قد ابتعت لك غلاماً
من بني ناسر ، ثم من بني ناعظ ثم من بني نهد) فكتب إليه (فأتنا بما تعدنا إن كنت
من الصادقين)
— وولد لأبي العيناء ولد فأتى ابن مكرم فسلم عليه ووضع حجراً بين يديه وانصرف .
فأحس به فقال : من وضع هذا ؟ فقيل ابن مكرم ، قال : لعنه الله ! إنما عرض بقول
النبي صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللماهر الحجر .
— وقال لابن مكرم وقد قدم من سفر : مالك لم تهد الينا هدية ؟ قال لم آت بشيء .
وأما قدمت في خوف . قال : لو قدمت في خوف لخفت روحك !
— وآتى إلى باب إبراهيم بن رباح فحُجِبَ فقال : إذا شغل بكأس يمينه ، وبحر
يسراه ، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه ، لا يخجل بحجاب من أمه
— وقلم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة فجعل لا تقع يده الأعلى عظم ، فقال ::
جعلت فداك هذه قدر أو قبر !
— ودعا ضرياً ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا دعوتك رحمة .
فتركتني رحمة

فهرست الجزء الأول

من كتاب زهر الآداب

صفحة		صفحة
٥٨	فصل الشعر	٤ مقدمة الطبعة الاولى
٥٩	شذو من كلام الرسول	٢١ مقدمة الطبعة الثانية
٦٢	شراء الرسول	٣٣ مقدمة المؤلف
٦٤	أبو سفيان	٣٨ إن من البيان لسحرا
٦٤	شعر كعب بن مالك	٣٩ عمرو بن الأهتم والزيبرقان بن بدر
٦٥	قصة النضر بن الحارث	٤٠ غلام يتكلم في حضرة عمر بن
٦٦	وفاة رسول الله	عبد العزيز
٦٩	مناقب أبي بكر	٤١ السحر الحلال
٧٠	رثاء أبي بكر	٤٣ وصف رجل نبيل
٨١	عمر بن الخطاب	٤٢ كلمة تهديد
٧٣	بكاء عمر	٤٣ حلاوة الحديث
٧٤	حائكة بنت زيد	٤٤ عليّة بنت المهدي
٧٤	عثمان بن عفان	٤٦ قيد الاوابد
٧٥	علي بن أبي طالب	٤٨ عود الى حلاوة الحديث
٨٢	عمرو بن عبد ود	٥٣ الشعر والبيان
٨٣	بيعة البلد	٥٤ عبد الله بن كعب
٨٤	هوان قبيلة طلمة	٥٥ حكومة عمر في الشعر
٨٤	كلام الصحابة والتابعين	٥٥ جرات العرب
٨٥	آثار معاوية	٥٦ انتقام امرأة
٨٦	الاحنف بن قيس	٥٦ تمر يض قاذح
٨٨	شعر زهير	٥٧ دفع شعر جرير
٩٠	التهنئة والتعزية	

صفحة		صفحة
١٢٨	ابراهيم بن هرمة	٩١ فتن الحياة
١٢٩	موسى بن عبد الله	٩١ كلمات مأثورة
١٣٠	الجناح المبيض	٩٣ أهل البيت
١٣٠	العباس بن الحسين	٩٤ وصف قريش وبنى هاشم
١٣٢	موسى بن جعفر	٩٦ الحسن بن علي
١٣٢	علي بن موسى	٩٨ المصيبة بأبناء النبوة
١٣٣	دعبل بن علي	٩٩ بين الحسن ومحمد بن الحنفية
١٣٥	أوصاف الاشراف	٩٩ الشينافي رأى الحسين
١٣٧	الابتداء بحمد الله	١٠٠ معاوية والحسين
١٣٨	محمود الوراق	١٠١ ابن أبي ربيعة وسكينة
١٣٩	البيان	١٠٢ علي بن الحسين
١٤٠	الكلام البليغ	١٠٢ قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين
١٤١	وصف القرآن	١٠٥ هيئة اللقاء
١٤٢	ماهية البلاغة	١٠٨ عاقبة الحرب
١٤٣	عمرو بن عيد	١١١ قتال الاقارب
١٤٤	البلاغة عند أهل الهند	١١٣ مالك بن أنس
١٤٥	البلاغة في رأى ابن المقفع	١١٤ شعر أبي تمام
١٤٦	الاطالة والايجاز	١١٦ محمد بن علي
١٤٧	المعاني والالفاظ	١١٧ زيد بن علي
١٥٠	بشار بن برد	١١٩ مصرع زيد بن علي
١٥١	وصية أبي تمام للبحترى	١١٩ عبد الله بن الحسن
١٥٢	فضل الليل	١٢٠ الجمال المصون
١٥٢	فضل التروى والأناة	١٢١ عود الى عبد الله بن الحسن
١٥٤	واجب النساخ	١٢٣ امرأة محمد بن عبد الله
١٥٤	صور مختلفة للبلاغة	١٢٣ جعفر بن محمد
١٥٨	صفة البلاغة والبغاء	١٢٤ عبد الله بن معاوية
١٦٢	وصف الثمر والشعر	١٢٦ الحسن بن زيد

صفحة		صفحة
٢٠٠	طرف أدية	١٦٥ كتاب لابن العميد
٢٠٢	ملح القاضى	١٦٥ كتاب للصاحب بن عباد
٢٠٣	ملح أشعب	١٦٦ أبو الفضل الميكالى
٢٠٤	أبو نواس	١٦٨ أبو منصور الثعالبي
٢٠٤	الجزز	١٦٩ ألفاظ أهل المصر
٢٠٥	مناقب الرجال	١٦٩ رسائل الميكالى
٢٠٦	رواية الشعر والنسب	١٧٢ وصف أبى الفضل الميكالى
٢٠٧	عروة بن أذينة	١٧٤ أمراء البيان
٢٠٨	أبو السائب الخزومى	١٧٥ وصف البلاغة
٢٠٩	عود الى عروة بن أذينة	١٧٩ الوزير المهلبى
٢٠٩	حب الاحوص	١٨٠ الحكمة ضالة للمؤمن
٢١٠	يفخر الله لاهل الجلال	١٨١ وصف الكتاب
٢١١	أبو حازم	١٨٤ تهادى الكتب
٢١١	عيد الله بن عبد الله بن عتبة	١٨٧ أوصاف الكتب
٢١٢	ما يفعل الحب بالقلب	١٩٠ لوعة الشوق
٢١٣	أبو نواس وجنان	١٩١ الفهم والافهام
٢١٤	ظرف اهل المدينة	١٩٢ ربيع القلب والروح
٢١٥	التشبيب بأخت الحجاج	١٩٣ طرفة أدية
٢١٧	وصف الدنيا	١٩٤ واجب المجلس
٢١٧	يقين ابن المعتز وعلب	١٩٥ الحديث المعاد
٢١٩	شعر ابن المعتز	١٩٥ أنواع الادب
٢٢١	وصف النار	١٩٦ اللهو المباح
٢٢٢	عود الى شعر ابن المعتز	١٩٧ تقسيم الايام
٢٢٣	رثاء المنصور	١٩٨ فضل الایجاز
٢٢٣	أوصاف الرجال	١٩٨ فضل السكوت
٢٢٥	طبيب الوصال	١٩٩ ذكاه اياس
٢٢٥	نثر ابن المعتز	٢٠٠ القرار من الحديث المملول

صفحة		صفحة
٢٥٩	همة سعد بن ناشب	٢٢٧ وصف الماء
٢٥٩	كلام الملوك	٢٣٠ بركة الجعفرى
٢٦٠	مقتل المتوكل	٢٣١ قصور المتوكل
٢٦١	وفاء البحترى	٢٣٣ وصف موضع
٢٦٣	رثاء المتوكل	٢٣٤ دار البحر
٢٦٤	أبو حية النخري	٢٣٥ المياه والتغدران
٢٦٦	جناية المشيب	٢٣٧ وصف الرعد والبرق
٢٦٧	وصف الشباب	٢٤٢ الشرب فى الصحو
٢٦٨	نجابة الشباب	٢٤٣ الوامق المنوع
٢٦٩	بين ابن منذر وابى حية النخري	٢٤٣ وصف رجل حازم
٢٧٠	اعباء السكولة	٢٤٤ ابراهيم بن آدم
٢٧٠	حميد بن ثور	٢٤٥ وصف التقي والزهد
٢٧١	جناية الليالى	٢٤٥ ابن المنقع
٢٧٤	وصف الثغر	٢٤٦ حاتم بن ثابت
٢٧٦	وصف الجوارى السود	٢٤٧ فهم المتصور
٢٨٠	التهنئة بتوأمين	٢٤٧ بلية الحسد
٢٨٠	ثىء من الهجاء	٢٤٨ ألسنة الحساد
٢٨٢	وصف الافواه	٢٤٩ وصف الحسد
٢٨٤	فتة الساقى	٢٤٩ التلطف فى الطلب
٢٨٥	شعر ابن ابى ربيعة	٢٥٠ نجوى عب
٢٨٦	مزيد المدنى	٢٥١ بين ابراهيم بن المهدى وأحمد بن
٢٨٦	بكاء الديار	أبى حواد
٢٨٨	شعر ابى نواس	٢٥٢ أردشير بن بابك
٢٨٩	طرفة اديبة	٢٥٣ أخلاق الملوك
٢٩٠	تظرف الحارث بن خالد	٢٥٤ أخت ملك الحزر
٢٩٠	عائشة بنت طلحة	٢٥٥ أقوال الملوك والحكام
٢٩١	ابن ابى عتيق	٢٥٨ الرأى والعزيمة

صفحة		صفحة
٢٩١	الثرى بنت على	٣٠٨ كتابه الى أبى نصر الميكالى
٢٩٣	عزة كثير	٣١١ عتابه للميكالى
٢٩٣	ظرف ابن أبى عتيق	٣١٣ آيات مختارة
٢٩٥	كنل الشيطان	٣١٦ أبو العيناء
٢٩٥	رملة بنت عبد الله	٣١٧ بن أبى الصقر وابن الرومى
٢٩٦	صفقة أبى غيثان	٣٢٣ عود الى أبى العيناء
٢٩٧	حب ابن أبى ربيعة	٣٢٤ احاديثه مع المتوكل
٣٠٣	عائشة بنت طلحة	٣٢٥ رسائل أبى العيناء
٣٠٤	عمامة بن الرومى	٣٢٦ نواذره وفكاهاته
٣٠٥	شليمان بن عبد الملك	٣٣٠ ابراهيم بن المدبر
٣٠٦	وصف رجل ماجد	٣٣١ صاحب الزنج
٣٠٧	البديع الممذانى	٣٣٢ ملح أبى العيناء

مَدَامْ أُرُوعُ الْعُقُوتَا

هذا كتاب لم يسبق له نظير في الآداب العربية ، تناول فيه المؤلف بالنقد والتحليل أروع وأبدع ما قال الشعراء في قهر الحب للنفوس ، وأسرهُ للقلوب ، وفَصَّلَ به النوازع الوجدانية في نحو سبعين باباً في كل باب منها بحث شائق طريف . وفيه مقدمة بديعة تمثل رأى المؤلف في دولة الجمال ، هي وحدها كتاب قائم بذاته ، لمن يعنيه فهم تلك القوة الساحرة ، التي تَقَنَّنُ في استعباد الأحرار !

وانك لتجد في هذا الكتاب تفصيلاً لموجبات الدموع ، والدمع عند الوداع ، والدمع بعد الفراق ، وشكوى الصبابة ، والبكاء عند منازل الأحباب ، ووشاية الدمع ، وسلطان الحب ، وغرام النساء بالنساء ، وطيف الخيال ، ولبالي سنتريس ، واليأس والرجاء ، والعتاب ، ونوح الحلم ، وثورة الوجد ، والآرق والسهاد ، ومداواة الرقاء ، وبخل الحسان ، وظلم الحبيب ، والهرب من الفراق ، وبلايا الغيرة ، والرفق بالحبيب المريض ، وأهوال الصدود — وما إلى ذلك من الأبحاث الممتعة التي لا تجدُها مفصلة في أى كتاب

الْعَلَّامُ

كتاب يمثل قوة الحق وروعة الجمال

ما بال فريق من الناس ، يؤمنون بما خلقت له أيديهم وأرجلهم ،
وعيونهم وآذانهم ، ثم يرتابون فيما خلقت له عقولهم ؟
فلا وربك لا يؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل
مسئول ، وما كنت لأعقّ العقل ، وقد حكّمه الله يوم هدداني إلى
الايمان ، فمن كان يريد أن يرى غضبتي للحق ، وعبادتي للجمال ، فليقرأ
هذا الكتاب ، ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من
الكتاب والشعراء ، فليعلم أن الجول أحب إليّ من أن أكون صدّي
لأحد من القدماء أو المحدثين ، وما أهون التّجنيّ في سبيل الابداع
إذا انحصرت في الجول !

المؤلف

الأخلاق عند الغزالي

يقع هذا الكتاب في ٤٣٤ صفحة ، وبه كثر من الرسوم التاريخية ،
التي تمثل طائفة من المعالم القديمة ، وبه مقدمة شائقة بقلم الأستاذ
الكبير الدكتور منصور فهمي — وهذا الكتاب ضروري جداً لمن
يحب الوقوف على فلسفة الأخلاق ، وهو مكتوب بلغة صريحة
جريئة تتناسب مع خطورة الموضوع الذي كتب فيه ، وعلى الأخص
عند الكلام عن الفرق بين الخير والشر ، والكفر والإيمان ، والشك
واليقين ، والجبر والاختيار ، وما إلى ذلك من تلك المباحث العويصة
التي حار في فهمها المتقدمون ، وخطب أكثرهم فيها خطباً عشواء
وقد قامت حول هذا الكتاب ضجة عنيفة ، فمن الملاحظ أن
يطلع عليه أهل العلم ليقفوا على كنه ما فيه من آثار حرية
إن كانوا ممن يرفضون الظن ويطلبون اليقين

